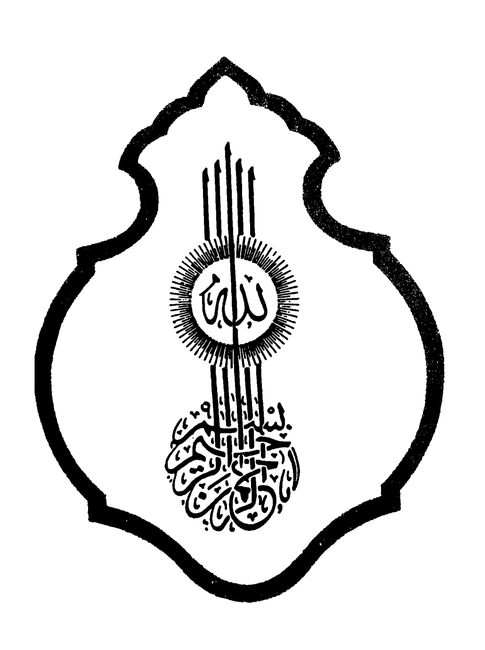
جوادي آملي

منازل الآخرة



دار الوسيلة
للطباعة والنشر والتوزيع


منازل الآخرة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

جوادي آملي





الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥ هجرية

دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ١ / ٨٢٣٣٥٨٠ - ص.ب. : ٢٧٥ / ٢٥ - حارة حريك - بيروت

المقدمة

سبب تأليف هذا الكتاب

في سنة ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ ـ هجرية قمرية، وبحضور طائفة من إخواننا المؤمنين تعرضنا إلى بعض المباحث التي تتعلق بالمعاد وتذكر الدار الآخرة ليكون ذلك تذكرة للبعض، وتبصرة للبعض الآخر وقد ألّفت هذه المباحث والمقالات بمجموعها، هذا الكتاب الذي هو بين يدي القارىء الكريم.

إن ما نذكره في المقدمة، هو ترسيم لأهم علل الخلاص والنجاة، وتصوير لأهم عوامل التقوى، التي تكون الغفلة عنها وإهمالها، والإعراض عنها من أوثق حبائل الشيطان وأهم وساوس وتسويلات النفس الامارة بالسوء، وهذه الأمور هي ذكرى الدار الآخرة، وتذكر المعاد ويوم القيامة.

وأنه وإن كانت بعض مراحل المعاد ومراتبه في مكنون الغيب، ولا يتيسر لأهل الشهادة ذكرها وتذكرها، إلا أن بعض أقسامه ودرجاته، قريب من عالم الشهادة بل مصاحب له، وفي متناول أيدي الجميع، ولذا يكون كل إنسان مكلف، ذاكراً للمعاد، وبما أن المعاد له مراتب كثيرة، فلمواقفه أيضاً درجات متعددة، بمعنى أن مسألة البعث، واليقظة من الغفلة، والصراط، والحساب، والميزان وأمثال ذلك، لها مراتب مختلفة ومتعددة، وبعض هذه الدرجات قريب من عالم الشهادة، بل هو مقرون به.

الرجوع إلى الله معادل للصدور منه

كما أن منشأ صدور تمام الموجودات هو الله تعالى، لكن مع حفظ الترتيب فيما بينها بشكل يكون فيه أكمل هذه الموجودات في صدوره من الله تعالى، أقرب إلى الله من سائر الموجودات الأخرى، وله مزية عليها أول ما خلق الله نور نبينا ﷺ فكذلك هي في رجوعها نحو الله، فإن هذا التفاوت محفوظ أيضاً فيما بينها، بنحوٍ يكون فيه أكملها أقرب إلى الله في رجوعه إليه من بقيتها ﴿**دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾.

لما كان قوام الموجودات الممكنة ـ الأعم من الإنسان وغيره ـ بالله الذي أفاض عليها الوجود، فإن معرفتها بدون معرفة مقوّمها غير ممكنة كما أن معرفة الله تعالى ستكون موجبة للإلتفات إلى آثاره الأعم من العالم الصغير والعالم الكبير.

وكما أن معرفة الموجودات كالإنسان والعالم بدون معرفة خالقها وموجدها سوف لن تكون معرفة دقيقة وعميقة، كذلك فإن معرفة الله يلازمها معرفة آياته الأعم من الآفاقية والأنفسية.

بما أن المعاد هو المبدأ، والمبدأ ينجلي في المعاد بكل وضوح، بحيث يكون سبباً لاعتراف المنكرين كما يكون سبباً لتكامل معرفة المعترفين، فلذا لا يمكن معرفة المعاد بدون الاعتقاد بالمبدأ، كما أن معرفة المبدأ بدون الإذعان بالمعاد غير ممكنة، ولهذا ورد في حق المنكرين للمعاد الذي يزعمون معرفة الله، قوله تعالى: ﴿**وما قدروا لله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة**﴾(الزمر ٦٧).

وكما أن معرفة المبدأ ملازمة لمعرفة المعاد، ومعرفة المعاد موجبة لمعرفة المبدأ، فإن ذكر أي منهما سيكون موجباً لذكر الآخر، ونسيان أي

منهما مستلزماً لنسيان الآخر أيضاً، وأساس جميع معارف الإنسان وتذكراته هو معرفة حقيقة نفسه وتذكرها، كما أن منشأ جميع الجهالات والغفلات هو عدم معرفته حقيقة نفسه، ونسيانه لجوهر ذاته.

إن تذكر أي شيء ـ كالعلم به ـ له مراتب ويترتب عليها، ولا يمكن حصول التذكر العميق من المعرفة السطحية والتذكر الدقيق للمعاد غير ميسور إلا للذي له به معرفة دقيقة. وإذا وُجد مؤمنون متصلبون عميقون في تذكرهم للمعاد بحيث صار تعمقهم هذا سبباً لكمالهم، فالسبب في ذلك هو ترميمهم لضعف معرفتهم التحقيقية، بقوّة معرفتهم التقليدية، وجبرانهم لنقص طريق العقل بواسطة كمال طريق القلب والاشتياق.

قول المعصوم يقع حداً وسطاً في البرهان

كما أن علة كل شيء في برهان ـ اللِمّ ـ واحد المتلازمين في برهان ـ الإنّ ـ تقع حداً وسطاً في إثبات ذلك الشيء، وتكون سبباً لليقين به.

فكذلك قول المعصوم، فإنه يقع حداً وسطاً في الاستدلال، ويكون أساساً للجزم النظري وسبباً للعزم العملي في حالة ما إذا كان الكلام المنسوب للمعصوم واجداً للأركان الثلاثة الأساسية. الأول أن يكون صدور ذلك الكلام عن المعصوم يقينياً لا ظنياً الثاني أن تكون جهة الصدور فيه يقينية بأن يكون لغرض بيان الحكم الواقعي لا للتقية وما شابه ذلك. الثالث أن تكون دلالة الكلام قطعية لا ظنية. فإذ كان واحد من هذه الأركان المذكورة غير قطعي، فبمقتضى تبعية النتيجة لاخس المقدمات لا يمكن الاستدلال بهكذا حديث في المعارف التي لا ينفع فيها سوى اليقين.

والغرض أن الإيمان التقليدي قد يكون قوياً بحيث يصير سبباً لجبران ضعف الفكر، وفي النتيجة يكون مصاحباً للذكر القوي.

وبدون قوة الإيمان، سواء كانت حاصلة عن طريق البرهان العقلي أو عن طريق الدليل النقلي، لا يكون الذكر العميق للمعاد ميسوراً. وإن كان من الممكن أن لا يكون ملازماً لكل منهما، إلا أنه مستلزم لأحدهما جزماً لأنه من الممكن أن يكون هناك صاحب نظر غير قاصر من جهة البرهان العقلي ولكنه من جهة تذكر المعاد والآخرة ناقص، وذلك لأن العقل العملي ليس تابعاً على نحو الدوام لإرشادات العقل النظري، بل قد يتخلف عنه أحياناً، كما يمكن أن يكون هناك صاحب سمع ـ والمراد به صاحب العلوم السمعية التي هي علوم نقلية في قبال العلوم العقلية كما في اصطلاح القوم ـ غير مقصر من جهة الدليل النقلي بحيث يثبت لديه الحق من خلال السمع من المعصوم، ولكنه يكون من جهة تذكر الآخرة راجلاً لا راحلاً، وقوله تعالى ﴿**ليهلك من هلك عن بيّنة**﴾ شامل لكل منهما والسبب في ذلك هو كما أن البرهان العقلي بيّنة من الله، كذلك الدليل النقلي بينة من الله، لأن كلا منهما حجة إلهية.

ذكر الله من صفات فعله تعالى

الذكر، من أوصاف الله تعالى الفعلية، وكل ما كان موجباً لتذكر الحق فإنه من مظاهر هذا الوصف الفعلي لله تعالى، وأكمل الموجودات الإمكانية يكون أعلى مظاهر هذا الإسم الشريف، ولهذا وصف النبي الأكرم ﷺ وكذلك القرآن الكريم الذي لا ينفك عن العترة ولا تنفك عنه بـ«الذكر»، يعني أن الجوهر الوجودي للإنسان الكامل وكذلك حقيقة القرآن الكريم هو ذكر للحق، والارتباط بهم سيكون سبباً لتذكر الله الذي هو المبدأ وهو المعاد أيضاً.

إن الله تعالى كما يسمي كلامه وكتابه بالذكر ﴿**إن هو الا ذكر وقرآن مبين**﴾[١] ﴿**ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم**﴾[٢].

---

(١) ياسين: ٦٩.

(٢) آل عمران: ٥٨.

فإنه كذلك يصف نبيّه الكريم محمداً ﷺ بالذكر. يقول تعالى ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً**﴾[1] وبما أن المذكور واحد فإن مرجع هذين الذكرين سيكون واحداً أيضاً، يعني أن حقيقة القرآن متحدة مع واقع النبي الأكرم ﷺ.

وأما أهل البيت عليهم السلام فبالإضافة إلى أنهم أهل الذكر، وإلى كونهم المصداق الكامل لقوله تعالى ﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾، فبما أنهم متحدون باطناً مع وجود النبي ﷺ وسلم وغير منفكين عن متن حقيقة القرآن، فهم أيضاً يكونون نفس ذكر الله.

والنتيجة هي أن القرآن والعترة الطاهرة أبرز مظهر للذكر والانس بهم تذكرة للحق، ونسيانهم سيكون نسياناً لذكر الله.

وبما أن الذكر من صفات أفعال الله، فإنه لا يكون مقهوراً لشيء أجنبي، ولا يتبدل إلى النسيان بأي عامل من العوامل، غاية الأمر أنه تارة يكون محفوفاً بالتشريف والإكرام وأخرى يكون مقروناً بالتوهين والتحقير، وإلا فإن الله لا ينسى شيئاً أبداً، لأن ذكر الله من الشؤون العلمية لله، وهو متكيء على العلم الإلهي المطلق، وهو علم محض ولن يتبدل إلى الجهل والخطأ والنسيان والسهو والعزوب، لأنه لا يمكن الجمع بين النقيضين كما لا يعقل سلب الشيء عن نفسه. ولذا يقول القرآن الكريم في هذا الصدد ﴿**وما كان ربك نسيا**﴾[2] ﴿**في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾[3] وكذلك دعاء الجوشن الكبير المليء بالتوحيد الذاتي والصفاتي والإفعالي، والذي نزل من مكمن الغيب بصورة حديث قدسي في بعض الغزوات الإسلامية على النبي الأكرم ﷺ وسلم فقد أتى فيه «يا من له ذكر لا ينسى، يا من له نور لا يطفى»

---

(١) الطلاق: ١٠ ـ ١١.

(٢) مريم: ٦٤.

(٣) طه: ٥٢.

والخلاصة إن الله تعالى لا ينسى أبداً كما أنه لا يُنسى أبداً.

وخلود ذكر الله من جهة أن الله تعالى منزه عن السهو، وكذلك من جهة أن جميع عالم الإمكان ـ الأعم من الإنسان ـ وغيره ـ دائمة في ذكر الله، وإن كان بعض الناس في غفلة وسهو من جهة الذكر التشريعي، إلا أنه ليس هناك موجود يعرض عليه النسيان في ذكره التكويني.

ذكر الله تارة يكون بصورة ذكر نعمائه، وطوراً بصورة ذكر ذاته، وكل منهما عبادة، وإن كان أحدهما أفضل من الآخر، لأن قيمة الذكر بقيمة المذكور. فالذي يعرف الله في مظاهر نعمه، يكون غافلاً عن تذكر ولي نعمته، وإن كان يعرفه في ملامح نعمائه، ويعيش بذكر نعمه، إذ أنه سوف لن يوفق لذكر الله في جزماً في حال زوال النعمة.

والذي يعرف الله، ويعيش عمره بذكره، فإنه دائم الذكر لوليّ نعمته، لا أنه فقط يعرفه في مظاهر نعمائه، ويعيش عمره بذكر نعمته، وسوف يكون قهراً في حال وجود النعمة وزوالها ذاكراً لله تعالى على نمط واحد، وسيتساوى السرّاء والضراء عنده في ذكر الله، لأن نعمته الحقيقية هي الله لا غير الله «يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي».

يقول القرآن الكريم الذي هو متن ذكر الله ﴿**يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾[١] ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾[٢] ففي الآية الأولى يتكلم عن ذكر نعم الله، وفي الثانية عن ذكر نفس الله، لا شك أن نعم الله تعالى ليست بمرتبة واحدة، وتذكر هذه النعم أيضاً ليس متساوياً في كل الموارد فمثلاً لا يمكن مقايسة النعم المادية العادية بنعمة النبوة والرسالة.

ولهذا فقوله تعالى لعيسى عليه السلام ﴿**أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ**

---

(١) البقرة: ٤٠.

(٢) البقرة: ١٥٢.

أيدتك بروح القدس﴾[1] لا يكون مساوياً للأمر بذكر النعم الموجه للأفراد العاديين، بل بينهما تفاوت، ومعيار هذا التفاوت يكمن في التفاوت بين المذكورات كما تقدم سابقاً.

بما أن ذكر الله عبادة، والعبادة ذات مراتب، فذكر الله له درجات ومراتب قهراً فذكر بعض المتذكرين يكون خوفاً من الله ومن فرط هيبته، فلذا يكونوا دائبين في ذكر الله القهار، ويتكلمون عن جهنم والوقود وسجين، والاغلال والسلاسل.

و ذكر بعض الذاكرين يكون شوقاً إلى الجنة، ولذا يتكلمون كثيراً عن الحدائق والأنهار والفواكه والكوثر ونحوها، وأما الجماعة الثالثة وهم الأحرار، فذكرهم أرفع من الخوف من النار أو الشوق إلى الجنة، بل هو ناشيء عن الشوق إلى لقاء الله، شعر:

لو خيروني في القيامة وقالوا لي ما تريد

لاخترت المحبوب وتركت لكم نعم الفردوس

تكامل الإنسان في ظل ذكر الله

ذكر نِعم الله تعالى سبب لازدياد النعم، لأن ذكر النعمة هو بدوره شكر للمنعم وشكر النعمة سبب في ازديادها ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[2] «الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله»[3] ومعنى زيادة النعمة هو أن الله على ذكر من زيادة نعمة الشخص الذي هو ذاكر لنعمه، أما ذكر الله تعالى فإنه يكون سبباً في أن يكون الله المذكور ذاكر لنفس العبد وأن يكون متذكراً لجوهر ذاته، ومكملاً لباطن وجوده، وأن يمنحه توفيق الشوق

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) ابراهيم: ٧.

(٣) نهج البلاغة خطبة ١٥٧.

إلى لقاء ذاته المقدسة، وفي هذه الحال يصير جوهر ذات العبد الذاكر، مذكور لله الذي هو خير الذاكرين، فانظر مدى التفاوت بين الطريقين.

لقد مضى على الإنسان دهرٌ لم يكن شيئاً، ولم يكن يطلق عليه عنوان الشيء لأن المعدوم لا شيء، لا أنه شيء **﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾**(١) ثم دخل بعد ذلك في مرحلة الشيئية ولكنه لم يكن شيئاً مذكوراً **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾**(٢) وعندها ينطلق في ظل ذكر الله وطيّ مراتبه لينتقل من ذكر نعم الله ليصل إلى ذكر نفس الله تعالى، وفي هذه المرحلة النهائية لا يكون الإنسان شيئاً قابلاً للذكر فحسب، ولا أن العباد الصالحين وملائكة الله ذاكرين له فحسب، بل أن ذات الله تعالى يكون بذكر جوهر وجوده المتكامل وذلك أيضاً يكون في الملأ الأعلى وفي محضر الملائكة.

إن أهميّة ذكر الله والأثار القيمة له، كانت سبباً للأمر بكثرته يقول تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾**(٣) وقد جعل ثواب هذا الذكر هو ذكر الله لذاكريه **﴿فاذكروني أذكركم﴾**(٤) الإمام السجاد عليه السلام ـ الذي لم يكن بنفسه من الذاكرين لنعم الله فحسب ـ وكذلك أهل بيت النبي والنبي ﷺ الذي هو ذِكْر مجسم، ـ بل انه ـ الإمام السجاد ـ بنفسه عليه السلام ـ متن ذكر الله كما ذكرناه سابقاً يقول هذا الإمام عليه السلام : «فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وأعظاماً وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فانجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين»(٥) .

---

(١) مريم: ٩.
(٢) الدهر: ١.
(٣) الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢.
(٤) البقرة: ١٥٢.
(٥) مناجاة الذاكرين.

الإستغفار من كل لذة بغير ذكر الله

ومن هنا يتضح أن الذاكرين لله غير مستعدين لاستبدال ذكر الله تعالى لهم، بازدياد النعم عليهم بأن يأخذوا هذه مكان تلك، وإلا فإنهم وعلى حد تعبير القرآن ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾[1] يكونوا قد انتقصوا أنفسهم، وينشدون:

ليست الحور ونحوها من النعم الموجودة في الجنة هي لوحدها تعتبر جحيماً بالنسبة للأولياء، بل أن تنزيلهم من مرتبة كونهم مذكورين لله إلى مرتبة زيادة النعم هو جهنم بالنسبة لهم أيضاً.

ويرون كل شيء سوى ذكر الله تعالى ذنباً عرفانياً وإن كان طاعة عقلية أو نقلية ويستغفرون الله تعالى منه على الدوام، وإن كان يعد عند الآخرين طاعة كما يقول الإمام السجاد عليه السلام ـ في مناجاته لله تعالى «واستغفرك من كل لذة بغير ذكرك»[2] واحترام المذكور بمستوى أن يقول عليه السلام : «إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك من ذكري إياك على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك»[3].

. وهذا التذكر لله والكون في ذكره شرف وفضيلة للذاكر، كما ورد في دعاء الجوشن الكبير، «يا من ذكره شرف للذاكرين» ومن هنا يعلم أنه بما أن القرآن الكريم ذكر الله وتذكرة الله، فإنه يرفع ذكر الأمة الإسلامية ويجعلها معروفة مشهورة كما يقول تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾[4] لأن الشرف بالأصالة لله ولذكر الله، فأي أُمّة تكون ذاكرة للحق

---

(١) البقرة: ٦١.

(٢) مناجاة الذاكرين.

(٣) مناجاة الذاكرين.

(٤) الأنبياء: ١٠.

تعالى، فانها سوف تكون مرفوعة الذكر من قبل هذا الشريف بالأصالة، وكل من يكون أذكر لله، واسبق من غيره إلى القرآن والاستفادة منه، فإنه سوف يكون أرفع ذكر من غيره وأشهر وأعرف، حتى يصل إلى حد لا يقبل القياس فيه مع الآخرين، كما قال تعالى في حق نبيّه الكريم ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾.

شهود الله سبب اطمئنان الروح

ذكر الحق تعالى، موجب لسكون القلب وهدوءه، كما أن شهوده أساس سكون الروح، كما ورد في مناجاة الذاكرين «فلا تطمئن القلوب إلا بذكرك، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك» وهذا الشهود للحق يحصل لبعض الناس بعد الموت الطبيعي ويحصل للأوحدي من الناس بالموت وإن كان بدنه ما زال حياً ويعيش في عالم الدنيا.

ذكر العبد محفوف بذكرين من الله

والمطلب المهم الذي له أثر بالغ في وضوح جميع المعارف الإلهية هو أن ذكر العبد يكون دائماً محفوفاً بذكرين من الله تعالى له، أي أن العبد إذا كان ذاكراً لله فإن ذكره هذا يكون مسبوقاً بذكر من الله وملحوقاً بذكر منه تعالى للعبد بحيث أن الله تعالى يكون أولاً ذاكراً للعبد، ويذكّره بذاته المقدسة بظهور أمر في قلب العبد يوجّهه نحو الله، فحينئذ يتذكره هذا العبد، ثم يذكره الله تعالى على أثر ذكره بمقتضى وعده بذكر الذاكر له، ويجعله تحت عناية متجددة من طرقه والسر في هذا المطلب هو ان ذكر العبد نعمة من النعم الإلهية، وكل نعمة فإنما هي مفاضة من الله ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**﴾[(١)] فبناء على هذا فالله تعالى يكون بداية الذكر ونهايته ﴿**هو الأول والآخر**﴾ نعم

---

(١) النحل: ٥٣.

أن الله تعالى دائم الذكر لعباده، إلاّ أن بعض الناس لا يعتنون بذلك التجلي الخاص الذي هو من الأسباب الأولية للتذكر، ولا يتذكرون بذكر الله، أي أن لا يعملون بشرط التذكر الإلهي اللاحق والمجدّد، فلذا يحرمون من الثواب المترتب عليه وهو الذكر اللاحق من الله لهم، لأن الله وعد على هذا النحو ﴿فاذكروني أذكركم﴾[1] يقول القرآن الكريم في حق هؤلاء الذين لا يعتنون بتذكير الله ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾[2] .

وسرّ أهمية المطلب المذكور هو أن الخطوط الأصلية للقرآن الكريم في تحليل هكذا معارف هي أن الفيض ينزل من طرف الله تعالى إلى العبد، وعندها تتحقق يقظة العبد وتذكره، ينصب عليه الثواب الإلهي المترتب على الذكر، وهذا من قبيل ما يذكر في التوبة من أنها محفوفة بتوبتين، إذ أن الله تعالى يتوب أولاً على العبد وعلى أثر ذلك يتوب العبد إلى الله تعالى ويرجع ويعود نحوه، ثم يتوب الله على العبد ويقبل توبته، أما شرح هذه الأقسام الثلاثة للتوبة وبيان سرّ التعابير المختلفة مثل ـ على العبد ـ إلى الله ـ من العبد التائب ـ فهو موكول إلى بحث التوبة. ومسألة محفوفية طاعة العبد بعنايتين من قبله تعالى، سارية ومشهودة في جميع المعارف الإلهية.

الله تعالى لا ينسى من ينساه

وينبغي التوجه إلى أمر، وهو أن الذكر الابتدائي من الله تعالى لعبده، إنما هو تفضل محض من جانبه، ولا مجال هنا لتوهم استحقاق أو وجوب الذكر على الله أو من الله، إلا أن ذكر الله الأخير، مشروط بذكر العبد كما قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ أي أن حتمية ذكر الله لعبده مشروطة بذكر العبد، ومفهوم هذه الجملة الشرطية هو أنكم إذا لم تذكروا الله فليس هناك

---

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) الصافات: ١٣.

حتمية لذكر الله لكم، لأنه لم يعد بهكذا وعد في حالة نسيانكم وليس مفهوم هذه القضية الشرطية هو سلب العناية والفيض الإلهي المحض عن العبد في حالة نسيانه، بحيث أنه لا يذكر عبده الناسي أبداً إذ أنه تعالى قد يذكر أحياناً عبيده الغافلين عنه كما أن ضرورة مغفرة الله تعالى موقوفة على التوبة، دون أصل المغفرة، لأنه قد يغفر أحياناً لغير التائب **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**.

فبناء على هذا فإن حتمية ذكر الله تعالى للعبد وإن كانت موقوفة على ذكر العبد إلا أن أصل ذكر الله له ليس موقوفاً على ذلك، هذا كله في مجال ذكر الله للعبد.

وأما نسيانه تعالى للعبد، بمعنى ترك توفيقه وإمساك فيضه الخاص عنه فإنه لا يكون ابتدائياً قط، ولا يبدأ النسيان من طرفه، بل هو مسبوق دائماً بغفلة العبد ونسيانه، وهذا أيضاً في حد الإمكان لا في حد الضرورة، بمعنى أنه لو أراد الله حرمان العبد من لطفه الخاص فإن ذلك موقوف على نسيان العبد وغفلته، ونسيان العبد هذا ليس سبباً في حتمية نسيان الله له، بل يمكن أن يكون الله ذاكراً لعبده الناسي كما تقدم ـ ومن الآية الكريمة **﴿نسوا الله فنسيهم﴾**[1] لا يستفاد أكثر مما ذكرناه، وهو أن أصل نسيان الله لعبده مشروط بنسيان العبد، لا أن نسيان العبد سبب حتمي لنسيان الله له بنحوٍ لا يكون الله فيه ذاكراً لعبده الناسي.

الدنيا والآخرة متقابلتان

كما أن المتقابلين لا يجتمعان في الوجود الخارجي فإن التوجه إلى واحد منهما وانبعاث النفس نحوه واشتياق النفس إليه، سبب في نسيان الطرف الآخر المقابل له، وجمع كلا منهما في محور الشوق والميل الباطني

---

(١) التوبة: ٦٧.

الذي هو بدوره وجود خارجي أيضاً غير ميسور. وبما أن الدنيا والآخرة متقابلتان، ولا يمكن جمعهما في الخارج، فإن الميل إلى أحدهما موجب لنسيان الآخر، إلا أن التوجه إلى الدنيا سبب للنسيان المذموم، والالتفات إلى الآخرة موجب للنسيان الممدوح أما أن الدنيا والآخرة متقابلتان، وإن الميل إلى أحدهما مبعد عن الآخر، فيمكن استفادة ذلك من تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام الحكيمة (كلما قرب من واحدة بعد من الأخرى وهما بعد ضرتان)[1] ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله لبعض نساءه في شأن الستار المزخرف (غيّبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا)[2] ولا يخفى أن هذه التعابير منه صلى الله عليه وآله لها جهة تعليمه ـ أي أنها بغرض التعليم ـ وإلا فإن الإنسان الكامل منزه عن الميل إلى الزينات المعنوية فضلاً عن المادية، لأن الإنسان الكامل كنبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، تكون جميع الصفات الكمالية بالنسبة له حجاب، إلا أنه حجاب نوري، ونبينا المقدس صلى الله عليه وآله كما أنه متحرر من قيود الحجب المادية، فكذلك هو بالنسبة إلى الحجب النورية أمثال العلاقة بالعبادة، والاشتياق إلى المعرفة، والميل إلى المحبة وأمثال ذلك، وذلك لأن المهمّ عنده هو المحبوب فقط والمعبود فقط والمعروف فقط، ولذا كان يقوم عن محبة ومعرفة بعبادته في ساحة الكبرياء دون أن يكون له أدنى توجه إلى نفسه أو إلى صفاته الكمالية كالعبادة و. . . الخ. (فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن نفسه) والأصل الكلي المذكور، جارٍ في كل المتقابلات كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه (من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده)[3] ولذا فإن المشركين الذين أشربوا في قلوبهم الشرك، والراغبين عن التوحيد، كانوا ينزجرون من سماع الكلام الذي يتحدث عن الوحدة ووحدانية الله ﴿وإذا ذكر

---

(١) نهج البلاغة الكلمات القصار ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٦٠.

(٣) نهج البلاغة: ١٦٠.

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾[1] .

إن أهميّة ذكر الله وتذكر نعمائه جعلت من إحدى الوظائف المهمة للأنبياء تذكير الناس بالنعم الإلهية المنسية وتنبيه هؤلاء الناسين لها «ويذكروهم منسيّ نعمه»[2] .

اهتمام أولياء الله بذكر الله

يمكن إدراك مدى أهمية ذكر الله من خلال شدة اهتمام أولياء الله بذلك إذ أنهم كانوا شديدي الحرص على أن يكون في شكر وذكر دائم لله تعالى كما يقول سيد الأولياء أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين (فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين. . يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر)[3] والسرّ في هذا الاهتمام البالغ هو الأثر الذي يؤثره ذكر الله في رفع الغبار عن سيماء القلب وذود الغشاوة عن صفحة النفس، وإزالة الصدأ عن ساحة الفؤاد، وبذلك تصير أذن القلب سميعة، وعين النفس بصيرة (إن الله تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة)[4] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يمكن تبديل كل غربة ووحدة بواسطة ذكر الله، كل أنس وائتلاف كما يمكن في ظل ذكر إسم الذي لا إسم له ولا سمة، دفع كل وحشة عن النفس (اللهم إنك آنس الانسين لأوليائك. . . وقلوبهم إليك ملهوفة إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك)[5] .

والخلاصة أن ذكر المبدأ ملازم لذكر المعاد وبالعكس، ولكل منهما

---

(١) الزمر: ٤٥ .

(٢) نهج البلاغة خطبة ١ .

(٣) نهج البلاغة خطبة ١٩٣ .

(٤) نهج البلاغة: ٢٢٢ .

(٥) نهج البلاغة خطبة ٢٢٧ .

درجات، ولكل واحد منهما أثر، وأهم أثار تذكر المعاد، إجراء العدل، وتحصيل القسط في صفات وأفعال الفرد والمجتمع، كما أن نسيانه سبب للإنحراف والظلم الفردي والاجتماعي، ولهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام (من تذكر بعد السفر استعد)[1] (أذكر قبرك فإن عليه ممرك)[2] ولأجل إصلاح النظام الإسلامي يقول لمالك بن الأشتر (... ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثّر همومك بذكر المعاد إلى ربك) اللهم ثبت ذكرك في قلوبنا، وذكرنا بكتابك وبعترتك الطاهرة.

جوادي آملي.

---

(١) نهج البلاغة الكلمات القصار ٢٨٠.
(٢) نهج البلاغة خطبة ١٥٣.

الدرس الأول

الأخلاق في القرآن الكريم

الله نور نظام الخلق والإبداع، والناس يصلون إلى النور تحت ولاية الله، ولكي يدخل الناس تحت ولاية إله النور فقد بعث الله سبحانه وتعالى أنبيائه برسالته، بغرض إحياء الإنسان وإخراجه من الظلمات، وإيصاله إلى النور حتى يصبح قلبه نورانياً، ولهذا الغرض أرسل نبيّه محمداً خاتم الأنبياء ﷺ بالقرآن وعرّف القرآن بأنه نور، يقول الله تعالى **﴿قد جاءكم من الله نور﴾** المائدة/ ١٥.

وإذا كان القرآن نوراً من عند الله فإن التوغل فيه والاستئناس به يجعل الإنسان نورانياً، والإنسان النوراني كما يكون متمكناً من معرفة الطريق ورؤيته كذلك يكون قادراً على إرشاد الآخرين إليه بخلاف الإنسان المظلم التائه المتحير فإنه كما يكون عاجزاً عن رؤية الطريق ومعرفته كذلك يكون عاجزاً عن إرشاد الآخرين إليه.

وعلامة تنوّر القلب أن يكون الإنسان مراعياً للأدب مع الله تعالى ومع نفسه ومع الآخرين. والأدب عبارة عن الدقة واللطافة في العمل وذلك من

قبيل ما ينقل عن العباس عمّ النبي ﷺ حيث قال - عندما سئل هل أنت أكبر أم رسول الله ﷺ (هو أكبر وأنا أسنّ)[1] ولم يقل أنا أكبر منه بل قال هو أكبر مني ولكني أسنّ منه. وهذا نحو من أنحاء الأدب في القول.

على الإنسان أن يكون حافظاً ومراعياً لحرمة الله، وحرمة نفسه وحرمة الآخرين، فإذا كان مراعياً لذلك في جميع هذه الجهات يصبح إنساناً نورانياً، والله تعالى يقول في وصف هؤلاء الأشخاص النورانيين ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**﴾. الأنعام الآية ١٢٢.

وعلى هذا الأساس يقسم القرآن الكريم الناس إلى قسمين، قسم نوراني يعيش بين الناس بالنور وقسم غارق في الظلمات ليس بخارج منها والقرآن الكريم يهدف إلى جعل الإنسان نورانياً حتى يكون على معرفة من الغرض الأقصى لمسيرته ويكون شاقاً للطريق أمام الآخرين.

السبيل إلى تشخيص النورانية

إن أول سؤال يعرض على الذهن في هذا المقام هو أنه هل بإمكاننا معرفة أن القرآن قد نور قلوبنا أم لا؟ لا شك في أن جوابنا عن هذا السؤال هو إمكان ذلك، لأنه إذا لم نستطع معرفة ذلك وتحديده فسوف نكون عاجزين عن الاستمرار في حياتنا المعنوية. والنتيجة إن إمكان معرفة صفاء النفس وكدورتها، وتحديد كونها نورانية أو ظلمانية، ليس منحصراً في مرحلة ما بعد الموت، بل هو ثابت حتى في ظرف وجودنا في الدنيا.

أما أسلوب تحديد ذلك ومعرفته فيستفاد مما رواه المحدث الكليني

---

(١) كحل البصر في سيرة سيد البشر للمحدث القمي ص ٥٨.

عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن فأجاب عليه السلام (بالتسليم والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط)[1] حيث أنه عليه السلام قد جعل علامة وجود الإيمان هو الرضا والتسليم إزاء أوامر الله تعالى وأحكامه، وعدم ذلك دليل على عدم وجود الإيمان. والمتحصل من ذلك هو أن معرفة صفاء النفس ونورانيتها، وكدورتها وظلمانيتها يتم من خلال الإحاطة بما يصدر عنها من الأفعال ويعرض عليها من الحالات.

وعليه فبحثنا في المقام يقع في جوانب ثلاثة:

الأول: أدب الإنسان مع نفسه.

الثاني: أدب الإنسان مع الآخرين.

الثالث: أدب الإنسان مع الله تعالى.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في صدد بيان رعاية الأدب مع الله ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾. الأنعام الآية ١٦٢.

هذا هو شعاع الأدب في كل أبعاد الوجود، إن الإنسان المؤدب يكون متوجهاً نحو الله تعالى في كل أطوار حياته وشؤونه، لا أن التوجه المذكور يتحقق عنده في حال صلاته أو ممارسته لسائر عباداته فحسب، بل حتى موته يكون لله يقول الله تعالى (قل) بأن طريقتي وأسلوبي في الحياة هكذا. والأمر هنا للنبي صلى الله عليه وآله بالقول في قوله تعالى(قل) لكون النبي صلى الله عليه وآله وبمقتضى الآية الكريمة ﴿**لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾الأحزاب: ٢١ أسوة وقدوة للسالكين إلى الله فلذلك فإنه صلى الله عليه وآله يبيّن للناس أطوار العبودية وكيفية حياته وموته ثم يدعو الناس للتأسي به بإرشادهم إلى الطريق الذي سار عليه.

على الإنسان أن يحيا حياته على نحو يكون موته بعد هذه الحياة لله أيضاً، فينبغي أن يكون الغرض من كل أبعاد وجوده هو الله تعالى إذ أن في

---

(١) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء ج٢ ـ ص ٦٢.

هذه الحالة فقط يمكن أن يكون موته لله. والشاعر الذي يقول:

طوبى للذين هم دائما في حالة

صلاة في كل أحوالهم وتقلباتهم

مراده الإشارة إلى ما ذكرناه لأن الإنسان الذي يتحرك لأجل الله في تمام شؤونه الحياتية، تكون صلاته وأعماله كلها لله تعالى حتى نومه وطعامه، فلا ينام لمحض إراحة جسده، ولا يأكل لمحض تنمية بدنه، بل إنما يكون ذلك لله، ومن أجل الله. ولذلك تجده عند تناول الطعام متوجهاً لله تعالى مناجياً له بشراشر وجوده قائلاً (قوّ على خدمتك جوارحي) وعند النوم مراعياً لكل الآداب والسنن الشرعية الواردة في النوم من طهارة وأدعية وإذكار وأعمال، وببركة هذه الأمور تنكشف لديه كثير من الأسرار والأمور المعنوية في عالم الرؤيا، فهذا الشخص وأمثاله هو الذي يمكن أن تكون حياته لله وموته لله وكذلك نومه ويقظته.

تتعرض الآية الكريمة في قوله تعالى ـ عقيب الآية المتقدمة ـ ﴿لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ الأنعام: ١٦٣ إلى واحدة من مختصات النبي ﷺ وهي وصفه عليه السلام بين الملأ بأنه﴿أول المسلمين﴾ وهذا الوصف الوارد في القرآن الكريم خاص بالنبي الأكرم ﷺ. أما بقية الأنبياء فقد ذُكروا بعنوان (من المسلمين) لا بعنوان أول المسلمين، وهذا يشير إلى أن الأوّلية المقررة في حق النبي ﷺ هي الأوّلية الرتبية والمعنوية لاسلامه ﷺ بالنسبة إلى من سواه، ولا يراد بها الأولية الزمانية بمعنى تقدم زمان إسلامه على إسلام أمته، فإن هذه المزيّة وإن كانت ثابتة أيضاً في حقه إلا أنها ليست من مختصاته، ضرورة مشاركة جميع الأنبياء عليهم السلام له في ذلك، إذ أن إيمانهم بما أرسلوا به متقدم زماناً على إيمان أتباعهم برسالتهم بالبداهة، مع أنه قد تقدم أن هذا الوصف له على نحو الاختصاص.

وأسلوب القرآن الكريم في تنوير قلب الانسان هو دفعه للتأسي بأول

المسلمين وهذا الاقتداء وهذه التبعية إنما يحصلان فيما إذا كانت تمام أبعاد حياة الإنسان لله تعالى.

وقد ورد في المناجاة الشعبانية، التي كانت من أدعية جميع الأئمة عليهم السلام (إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك) وهذا القسم من المناجاة يدركه الإنسان المجاهد في سبيل الله جيداً، لأنه أعرض عن كل شيء واتجه نحو الله تعالى، ونحن وإن كنا نقرأ هذه المعاني، إلا أن ذلك الإنسان يتذوقها ويستشعرها وإنا وإن كنا نكتبها ونتكلم بها إلا أنه هو يجدها ويحتوي عليها لقد أمرنا في هذه المناجاة أن نطلب من الله تعالى أن يهب لنا تمام الارتباط به وكمال الانقطاع إليه.

فإذا حصل لدينا هذا الأمر فسوف لن نكون مرتبطين مع الله في أمورنا العبادية فحسب، بل سنكون كذلك في جميع أبعاد وجودنا، وبعبارة أخرى سنكون كذلك في جميع الشؤون والأحوال التي تعرضت لها الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿**قل إن صلاتي ونسكي**. .﴾ الخ.

الكلام الصادر عنا إن كان قبيحاً وغير مشروع، فإن صدوره يكشف عن وجود ظلمة وكدورة في النفس، لأن الكلام بمثابة الصوت الآتي من نقر الأواني الخزفية والطرق عليها عند إرادة امتحانها لمعرفة السالم منها من المكسور، وينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال(كما تعلم أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور، كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ما عنده).

هذا الكلام يشكل علامة جليّة عند نقّاد الكلام على نضوج قائله ومستواه أو عدم ذلك كما أنه يكون معياراً لمدى سلامته واستقامته أو عدم ذلك، غاية الأمر أن تشخيص النضوج والاستقامة أو خلافهما ليس مقدوراً لكل أحد، بل هو منحصر في أشخاص معينين وقد قال الله تعالى مخاطباً لرسوله الكريم ﷺ في مقام الكلام عن المنافقين ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾ محمد: ٣٠ وهي تفيد أن النبي ﷺ كان يعرفهم ويفهم لحن

كلامهم. ومما يجدر ملاحظته في المقام كلام لعلي عليه السلام في هذا الصدد حيث يقول «المرء مخبوء تحت لسانه» الحكمة: ١٤٨ فبمجرد أن يشرع المتكلم بكلامه تتضح معالم شخصيته وحجمه ومستواه الواقعيان، لكن لا يخفى أن استكشاف هوية المتكلم من خلال كلامه يحتاج إلى مزيد من العناية والدقة فإذا كان الإنسان نورانياً كان كلامه كلاماً نورانياً ومواجهته وتفاعله مع الآخرين تفاعلاً نورانياً ومسيرته ومسلكه نورانياً. إن الآية الكريمة ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**﴾ الأنعام: ١٢٢. تدفعنا لتحصيل حياة واضحة المعالم بمعنى أنها تطلب منا أن نكون من الصنف النوراني من الإنسان كما أنها تدعونا لنكون من الصنف الحي منه. فالإنسان الذي يكون مراعياً للأدب مع الله يكون نورانياً وحياً بخلاف الذي لا يكون مراعياً لذلك فإنه يكون ميتاً ومظلماً.

يقول الله تعالى في سورة يس الآية ٧٠ ﴿**لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين**﴾ وبضم هذه الآية الكريمة إلى الآية المتقدمة في سورة الأنعام، يتحصل لدينا أن القرآن الكريم يرى الإنسان المؤمن إنساناً حياً بخلاف الكافر. والقرآن الكريم يسعى لإيجاد الحياة في الإنسان لأن هذه الحياة المادية الموجودة عند الإنسان، هي موجودة في الحيوان أيضاً، بل في النباتات كذلك فالقرآن يريد أن يضفي حياة جديدة على الإنسان مغايرة لتلك الحياة المتقدمة من حيث الهوية، وارفع منها من حيث المستوى، والقرآن الكريم قد بين الحدود والفواصل بين كل من نوعي الإنسان والحيوان.

أما نحن فينبغي لنا أن نلاحظ أنفسنا، ونتفحص أحوالها حتى يتيسر لنا معرفة كوننا أحياء أم لا، نورانيين أم لا، وهذه المسألة من أهم وظائفنا.

نموذج من الأدب مع الآخرين

يقول القرآن الكريم في مجال بيان أساليب الأدب مع الآخرين ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**﴾ الأنعام: ١٠٨ ـ يعني أيها الناس في مقام

تفاعلكم الاجتماعي مع المشركين أو الكفار واحتكاكم بهم، إياكم أن تواجهوهم بالسباب، أو تلاقوهم بالشتيمة لمعبوداتهم ومقدساتهم على اختلافها سواء كانت أشخاصاً، أو أصناماً أو أي شيء آخر من الأمور التي تتحلى بشيء من القداسة في نظر مقدِّسيها، لأنهم سوف يواجهونكم بمثل ما واجهتموهم به. وهذا العمل مخالف للأدب الإسلامي.

الأدب الإسلامي يأمر بالمحاورة مع الوثنيين، واستعمال البرهنة الصادقة معهم وإقامة الحجج الدامغة عليهم، لا أنه يأمر بسب أصنامهم وشتمها بل ينهى عن ذلك ويعلل نهيه المذكور، بأن المشركين أيضاً سوف يواجهوكم بنفس الأسلوب عداوة منهم وجهلاً، هذا ما يفيده صدر الآية الكريمة. وأما مفاد ذيلها فهو إن هذا الأدب المذكور أدب إسلامي عالمي ليس مختصاً بزمان دون آخر أو بمكان دون آخر أو بمبدأ دون آخر، فإنه كما يجري في عقائد الوثنيين كذلك يجري في عقائد الماديين وغيرهم، وكما يجري في عصور صدر الإسلام فإنه يجري في عصرنا هذا وكما أنه يجري في منطقة الحجاز كذلك هو جار في إيران وغيرها من الأماكن **﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾** الأنعام: ١٠٨ فيجب على المؤمن التزام هذا الأدب الإسلامي في كل الحالات. نعم يحق للمؤمن أن يكشف عن الواقع القبيح لهذه الأمور المزينة في نظر أصحابها بل لا بد له من السعي في ذلك، كما أنه لا بد له من السعي لإبطال هذه المزينات وإظهارها في الملأ بأنها أمور ليس لها شيء من الواقعية والتحقق والثبوت وهذا الأمر يعجز الآخرون عن مقابلة الإسلام به لفرض حقانيته وواقعيته. وهذا بخلاف السباب والشتم المخالف للأدب الإسلامي فإن المناوئين للإسلام يمكنهم مقابلة المسلمين بذلك فيما لو تعرضت آلهتهم له فالواجب علينا ـ بمقتضى هذا الأدب المذكور ـ أمران. الأول عدم مواجهة الآخرين بشتم معتقداتهم وسب آلهتهم، فإن السب أمر سهل ومؤونته خفيفة، والآخرون قادرون على المقابلة بالمثل وهذا بخلاف إتباع طريق الاستدلال، وسلوك سبيل الاحتجاج فإن مؤونته غير يسيرة وهو

يحتاج إلى نوع من التأمل والدقة. وهذا مما يعجز عنه الطرف المقابل.

وعند ذلك قال، وضحوا وبيّنوا الأمور بعنوان أنكم نور وأناس نورانيين كونوا مصدراً لإفاضة النور عند سيركم في الطريق الذي أنتم سالكون فيه، حتى تبصروا أمامكم من جهة، ولكي تهدوا الآخرين من جهة أخرى فالإنسان الذي لا يمتلك الحياة النيرة، لا يستطيع تحصيل الفائدة المطلوبة من القرآن الكريم، بمقتضى الآية المذكورة من سورة الأنعام، لأنه لم يمش في المجتمع بعنوان النور وقد اتضح بما ذكرناه وظيفة الإنسان الأولى وهي الاستدلال على أحقيّة دين الله، وإبطال المقدسات الباطلة، ووظيفته الثانية وهي عدم الفحش والسباب والشتم لهذه المقدسات الباطلة، وذلك لأن هذه الخشبة اليابسة مثلاً تحظى بتقدير الإنسان الوثني واحترامه، ﴿**كذلك زينا لكل أمة عملهم**﴾ ألن يأتي يوم يتبين فيه أن الحق إلى جانب من؟ هناك مقدسات متعددة وعقائد مختلفة في هذا العالم لا تفي المناظرات بحلها ولا تقوم المؤتمرات بإزالتها، وإنما هي تساعد في دفع الخلافات وبيان الحق لا أنها تحل الأمور، هذه الخلافات الفكرية الموجودة على المستوى الثقافي للإنسان، هل هناك يوم ترتفع فيه ويتضح الذي هو حق من بينها؟ يعني أنه هل على البشرية أن تستمر بهذه الاختلافات؟ هل أنه لا يعلم في النهاية من المحق ومن المبطل؟ أو أنه يوجد هكذا يوم؟.

وقد قال تعالى، أنه يوجد يوم يتضح فيه أيّ المقدسات حق، وأيّ الأديان حقّ ومع من كان الحق، وأين كان الحق، وهو يوم القيامة﴿**ثم إلى ربهم مرجعهم**﴾ وهذا من الأدلة المحكمة على يوم القيامة، إذا كان هذا العالم مبنياً على النظام ـ كما هو كذلك ـ وكان الواضع لهذا النظام حكيماً ـ كما هو كذلك ـ فلا بد من وجود يوم ترتفع فيه هذه الاختلافات، وهو يوم القيامة، وفيه ترمى كل الأفكار جانباً، فليس فيه مجال للإنكار، وليس محلاً للبحث عن صحة هذا الاعتقاد أو ذاك، مثله كمثل شبح يرى من بعيد، وكل شخص يتخيله أمراً ما، ولكن عند ذهابهم إليه ومشاهدتهم له ومعرفتهم بات

هذا الشبح هو شجرة فإن كل خلافاتهم حينئذ ترتفع، هناك يوم في عالم الخلق، يرفع الاختلافات بين العقائد والأديان، وهو يوم القيامة، في ذلك اليوم يعلم من الذي كان يدير هذا الكون ويرعاه **﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾** يفهم الجميع وبكل وضوح في الآخرة بأن الله حق بيّن ومبيَّن، فلم يخلق هذا العالم لكي تبقى فيه هذه الخلافات قائمة دون أن تصل إلى يوم ترتفع فيه، فإن حرب الإثنين والسبعين ملّة كانت على أثر عدم وضوح الحق بل هناك يوم تتضح فيه الأمور **﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾** فهذا العالم المتفرق سيصل إلى عالم الجمع، ذلك العالم الذي ترتفع فيه كل الاختلافات، وهناك تظهر كل الأمور وتتضح كل الحقائق، ويظهر فيه كل شيء، وإلا فعدم وجود هكذا يوم يعني عدم وجود هدف لهذا العالم، والنتيجة أن القرآن قد بين كيفية المواجهة والمقابلة مع العقائد والأديان المختلفة، كما أنه قد اكد بأن هذا العالم سيصل إلى يوم ترتفع فيه كل الاختلافات والخلافات.

خلاصة البحث في الدرس الاول

١ ـ القرآن نور، والغرض من إنزاله على النبي هو تنوير قلوب البشر.

٢ ـ الإنسان النوراني تكون أفعاله وأقواله نورانية، وهو الذي يكون مراعياً للأدب مع الله ومع نفسه ومع الناس.

٣ ـ ينقسم الناس ـ بناءً على ما تقدم في الآية ١٢٢ من سورة الأنعام إلى قسمين أحدهما نوراني والآخر مظلم.

٤ ـ طريق تشخيص نورانية النفس هو صدور الأعمال الصالحة والنورانية منها.

٥ ـ إن كل ما يصدر عن النبي ﷺ بتمام أبعاد وجوده الشريف إنما هو لله ومن أجل الله لكونه ﷺ مراعياً للأدب مع الله.

٦ ـ من إحدى خصائص النبي ﷺ كونه أول المسلمين بالنسبة لجميع الأنبياء، وقد تقدم ان هذه الأوّليّة رتبية معنوية لا زمانية.

٧ ـ أسلوب التربية في القرآن عبارة عن دعوة الناس للتأسي بأول المسلمين.

٨ ـ الكلام الجميل علامة النورانية، والكلام القبيح علامة الظلمانية في نفس قائله. ولذلك فإن الإنسان النوراني لا يسب ولا يشتم الكفار ومعتقداتهم وإنما يفنّد مزاعمهم ويوضح لهم الحق بالمنطق والحكمة والبرهنة الصادقة.

٩ ـ يوم القيامة يتضح الحق من الباطل للناس وفيه تنتهي الاختلافات والمشاجرات.

١٠ ـ في الدرس المقبل سوف نتحدث عن الحياة الطيبة وعن آثارها.

الدرس الثاني

الحياة الطيبة

كما أن القرآن الكريم ـ على ما تقدم في البحوث المتقدمة ـ نور، ويهدف إلى إيجاد الإنسان النوراني، فكذلك هو طيّب، وطاهر ومنزه، ويسعى إلى إيجاد الإنسان الطيب والطاهر، ثم أن النورانية من جهة والطيبة والطهارة من جهة أخرى، وإن كانا متلازمان من حيث الوجود الخارجي بمعنى عدم قابليتهما للإنفكاك، إذ حيثما توجد النورانية في الخارج فالطهارة والطيبة موجودة وكذلك العكس، إلا أنهما متباينتين ومتغايرتين من حيث العنوان والمفهوم إن القرآن الكريم يقسم البشر والمجتمعات والحياة الفردية والحياة الاجتماعية إلى قسمين، قسم طيب، وآخر خبيث، أحدهما نظيف والآخر ملوث، ويحدد كل من علائم وامارات النظافة والطيبة أو الخبث والتلوث.

يقول الله تعالى في سورة النحل: ٩٧ **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى﴾** في الأمور الحقيقية، والكمالات الإنسانية ومدى امكان تحصيلها، لا يوجد أي فرق بين الرجل والمرأة. قد تجد في بعض الأحيان، وفي بعض المجالات، وجود وظائف معينة خاصة بالرجل وأدوار محددة خاصة

بالمرأة، أما في الأمور الحقيقية المذكورة فإنه لا يوجد أدنى فرق بينهما من هذه الناحية فلا الذكورة شرط للوصول إلى أي نوع من أنواع الكمالات الإنسانية ولا أن الأنوثة مانعة عن الوصول إلى ذلك الشيء، فإن النفس إذا حصلت فيها جهة الإيمان والعمل الصالح فإنّ صاحبها سوف تكون حياته حياة طيبة سواء كان رجلاً أو امرأة. **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾** وإذا كان عمله صالحاً فلا بد أن يكون مؤمناً وههنا قد أخذ في الآية الكريمة قيدان أحدهما الإيمان والآخر العمل الصالح، فإذا كان مؤمناً ولم يكن متحلياً بالعمل الصالح فسوف لن يكون متلبساً بالحياة الطيبة، لأن النفس ذات الاستعداد والتهيؤ إذا لم يصدر منها العمل الصالح فسوف لن يحصل على الحياة الطاهرة. وكذلك العمل الصالح بدون الإيمان. فإن الإنسان السيىء ليس له نصيب من الحياة الطيبة وإن كان عمله صالحاً. وكل واحد من هذين الأمرين ـ أعني وجود الإيمان مع فقدان العمل الصالح أو العكس ـ مانع عن الوصول إلى الحياة الطيبة.

والذي يهيىء الأرضية الصالحة للوصول إلى هذه الحياة الطيبة هو الجمع بين كلا الأمرين بين الإيمان والعمل الصالح، بين الإيمان والتأثير، بين الإيمان والسعي، فإذا حصل الجمع بين هذين الأمرين حصل التهيؤ المذكور.

﴿من عمل صالحاً﴾ أحد القيدين والقيد الثاني **﴿وهو مؤمن﴾** فلو أن الكافر مثلاً ساهم في مشروع من المشاريع الخيرية كإعمار مستشفى مثلاً، فإنه وإن كان سيواجه بالتكريم والاحترام بين الناس، وسوف يحقق لنفسه شهرة واسعة في مجتمعه إلا أن حياته السعيدة هذه ليست هي الحياة الطيبة التي يشير إليها القرآن لأن نفسه ملوثة، مظلمة، ومن كان كذلك كيف يمكنه الحصول على الحياة الطيبة إن الشخص الذي يسير على خلاف نظام الوجودات الكونية بأجمعها كما يعطيه قوله تعالى: **﴿وله أسلم من في السموات والأرض﴾** آل عمران: ٨٣.

أي السموات والأرض منقادة لله ومطيعة له ومسلمة له. هذا الشخص ـ وهو الكافر ـ كيف يمكنه وبهذه السريرة الملوثة أن يدرك الحياة الطيبة أو يحصل عليها. نعم قد يحصل في الدنيا على بعض المزايا الوهمية الاعتبارية نتيجة لعمله، إلا أن المزية المشار إليها في القرآن الكريم والمسماة بالحياة الطيبة سوف لن تكون من نصيبه، وهذا المعنى قد أشير إليه في عدة مواطن من القرآن الكريم. حيث أنه ينفي وجود حياة طيبة للكافر ويصف عمله بأنه عمل باطل. قال تعالى **﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** هناك وفي ذلك العالم يتضح للإنسان الكافر أنه قد بذل عمره الغالي ولم يحصل في مقابله على شيء ثمين والخسارة في سوق الدنيا أن يدفع الإنسان شيئاً ثميناً دون أن يحصل في قباله على شيء. والقرآن يصف الكافرين بالخسران وبطلان العمل وكذلك في سورة هود فإن القرآن يتعرض إلى بطلان عمل الكافر وعدم استفادته منه **﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾** هود: ١٥ ـ ١٦.

إذا كان الإنسان صاحب تفكير مادي، وكان طالباً للدنيا فحسب، وكان يزعم أن الإنسان يكون موجوداً إلى حين الموت فقط، وبعد الموت ينعدم ويتحول إلى لا شيء، أو على حد تعبير الماركسيين حيث يقولون: بأن الإنسان كالشجرة تعيش مخضرة مزدهرة مورقة فترة من الزمان، ثم تتحول إلى قطعة يابسة لا حياة فيها وينتهي كل شيء إذ يكون الموت قد أعدمها وقضى عليها لأن الموت عبارة عن الفناء عبارة عن الإنعدام. فهذا الإنسان الذي يتبنى هذا النمط من التفكير فإنه يصب كل جهوده ويعمل كل مقدراته في مجال الدنيا فقط لأنه يرى الحياة منحصرة فيها هذا الإنسان القاصر الناظر والمحدود التفكير، في هذه الدنيا يرى ثمرة أعماله ونتيجتها التي عملها من أجل الدنيا. ولكنه مع ذلك فإن عمله باطل لأنه فارغ عن المحتوى، عار عن المضمون، فاقد للحياة، وهكذا عمل لا يمكن أن يكون موصلاً للحياة الطيبة الطاهرة وكيف يمكن أن يكون موصلاً له إلى ذلك، أو ليس الله هو الذي

يفيض تلك الحياة الطيبة على العبد، أو ليست كل نعم الوجود من إفاضاته وهباته. فكيف يمكن أن يصل إليها الإنسان الكافر. نعم الإنسان الكافر قد يحصل على بعض المزايا الوهمية من احترام الغير له، أو تكريمهم، أو نعتهم له بالأوصاف الحسنة، وغير ذلك إلا أن هذه الأمور كلها أمور خيالية وفضائل وهمية ليس لها وجود إلا في هذا العالم المادي وهي سريعة الزوال لكونها تنقضي بانقضائه. أما الحياة الطيبة فإنه ليس له حظ منها، كما أن ذلك الاحساس الذي يشعر به المؤمن من قبيل اطمئنان القلب وسكون النفس وهدوء البال، وما يشاهده من نفسه من أنسها وركونها إلى كونها خالدة غير فانية وغير ذلك من الأحاسيس والمشاعر، فإن هذه الأمور كلها ليس للكافر فيها نصيب بل هو على العكس من ذلك فإن مخاوف الموت والزوال تراوده باستمرار والموت في نظره يعني انعدامه وانتهاء أمده فهو دائماً يخشى الفناء والانعدام. وهذا الإنسان الخائف الوجل سوف لن يكون مسروراً ولا نشيطاً ومنشرحاً بالطبع نعم الإنسان المؤمن هو الذي يمكنه أن يقول أني ما دمت في هذا العالم المادي فإني مستفيد ومنتفع بذلك، وعندما أحطم هذا القفص البدني وأطير إلى عالم الخلود والبقاء فسأكون أكثر استفادة وانتفاعاً. يقول الشاعر حافظ الشيرازي:

أنا طير من بستان الملكوت ولست من عالم التراب

ولكن ضعوا من بدني قفا لبضعة أيام

المؤمن ليس عنده خوف من الموت كما أنه لا يكون وجلاً من انتهاء هذه الحياة لأنه يدرك بأنه ينطلق من هذه الحدود الضيقة ليقفز إلى عالم الخلود والبقاء فلا خوف عنده أصلاً وهذا هو بعينه ذلك المضمون الراقي الوارد في القرآن في حق أولياء الله تعالى حيث يقول **﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** المائدة: ٦٩ فلا يخافون مما مضى ولا يغتمون بذلك. كما أنهم لا يخافون على مستقبلهم.

وعلى هذا الأساس فالقرآن الكريم يرى أن الحياة الطيبة إنما هي من

نصيب الإنسان الجامع للإيمان والعمل الصالح، أما المؤمن بلا عمل، أو العامل بدون الإيمان، فإن كلا منهما محروم من هذه الحياة، هذا كله بعد الفراغ عن محرومية الفاقد لكل من الإيمان والعمل الصالح وهو مما لا بحث فيه ولا كلام، والحاصل أن فريقاً واحد من الناس هو الذي يحظى بتلك الحياة الطيبة، وهو الذي تكون نفسه متصفة بالإيمان وأعماله صالحة.

فقوله تعالى ﴿من عمل صالحاً﴾ قيد من قيود ثبوت الحياة الطيبة، سواء كان العامل ذكراً أو أنثى.

إن التكافؤ والمساواة بين الرجل والمرأة المطروح في القرآن، مباين للمساواة المطروحة في الثقافة الغربية في عصرنا هذا بين الرجل والمرأة، حيث أن القرآن يرى أن موطن التعلم والتعليم والتربية إنما هو النفس الإنسانية لا الجسم الإنساني والنفس الإنسانية ليست مذكرة ولا مؤنثة. فهل جسم الإنسان وبدنه هو الذي ينجز الأعمال ويؤديها في الخارج؟ أو انه يصدر الأوامر في إنجاز الأعمال؟ أو انه هو الذي يعتقد بالأمور لا، لا شيء من ذلك، كل ذلك ليس من وظائفه، النفس الإنسانية هي التي تعمل، والنفس الإنسانية هي التي تتصف بالإيمان والعمل والصالح، والنفس الإنسانية ليست مذكرة ولا مؤنثة! . فهل تصورت النفس الإنسانية بقالب مادي حتى يقال بأنها تارة تخلق بصورة معينة وأخرى بصورة أخرى، موطن القيم والكمالات هو النفس الإنسانية وهي ليست برجل ولا امرأة، ولذا ترى أن الذكورية والأنوثة تندرج في الحكمة الإسلامية في عداد الأصناف لا في عداد الفصول. والفصل يعبر به في علم المنطق عن الجزء الذي يكون دخيلاً في تركيب الذات وتكونها، أما الأمر الذي لا يدخل في تركيب الذات ولا يؤلف جزءاً من ماهيتها فإنه وإن كان عارضاً ومحمولاً عليها إلا أنه يعبر عنه بالصنف. وعليه فالذكورة والأنوثة صنفان من أصناف الإنسان لا نوعان منه والإنسانية تأبى عن الاتصاف بالذكورة والأنوثة ولا يصح عروضهما وحملهما عليها وموطن اهتمام القرآن هو الإنسان بعنوان الإنسانية ولذا يقول ﴿من ذكر أو

أنثى﴾ يعني سواء كان مخلوقاً من الجهة الجسمانية بكيفية معينة أو بكيفية أخرى فإذا كانت النفس متصفة بالإيمان وكان عملها صالحاً سواء كانت مذكرة أو مؤنثة فالقرآن يعدها بأنه سوف تحيا حياة طيبة **﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾** ونظير هذه الآية الواردة في سورة النحل الآية ٩٧ ـ ما ورد في سورة غافر الآية ٤٠، سورة غافر تقع بعد سورة الزمر وتسمى أيضاً بسورة المؤمن، نقرأ في سورة المؤمن التي هي سورة غافر ـ قوله تعالى: **﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾** في القسم الأول من هذه الآية الكريمة يبين تعالى وقوع المجازاة على العمل السيىء مهما كان وكيفما كان، فإذا اتصف الفعل بالسوء ثبتت له المجازاة.

أما العمل الصالح فقد قيد المجازاة عليه بصدوره من النفس الصالحة، في القسم الأول أثبت المجازاة للعمل السيىء مطلقاً سواء كان صادراً من المؤمن أو الكافر ولم يقيد العمل السيىء بصدوره من الإنسان الكافر أو السيىء حتى تثبت له المجازاة، بينما نجده في القسم الثاني لم يكتف بصدور الفعل الحسن من الإنسان حتى يقع مورداً للمكافأة بل قيد ثبوت المجازاة عليه بكونه صادراً عن الإيمان لا مطلقا.

فإذن هناك فرق بين الفعل الجميل والفعل القبيح، بين الفعل الحسن والفعل السيىء، بين العمل الصالح والطالح، كل من عمل عملاً سيئاً فإنه يرى جزاؤه، سواء كان مؤمناً أو كافراً. ولكن ليس كل من عمل عملاً صالحاً يجازى عليه بل لا بد من ضميمة الإيمان والاعتقاد الصحيح إليه. أما إذا لم يكن صاحبه مؤمناً فإنه لا يحصل من عمله على شيء اللهم سوى بعض المزايا الوهمية الزائلة. هذا هو نظر القرآن الكريم في هذا المقام **﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾** ولم يقيد الجزاء بشيء بل أثبته للعمل السيىء مطلقاً سواء كان فاعله مؤمناً أو كافراً هذا في القسم الأول من الآية.

القسم الثاني ﴿من عمل صالحاً﴾ أي أن الجزاء على العمل الصالح موقوف على حصول الإيمان فينبغي أن يكون العمل لله ومن أجل الله، وهذا هو الذي يهب للإنسان الحياة الطيبة والسعادة الأبدية، وهذا المعنى هو بعينه ما تشير إليه العبارة القائلة إن الحسن الفعلي مع الحسن الفاعلي يهيىء السبيل أمام الإنسان للوصول إلى السعادة الأبدية.

أما أثر الحياة الطيبة، فإن القرآن لم يقل بأن المؤمن ذا العمل الصالح سوف نجعل حياته حياة طيبة، بأن يكون المراد أننا نجعل حياته هذه الحياة الطبيعية المادية التي يحياها الإنسان فعلاً طيبة. هناك فرق بين أن يقال ننظف له هذه الطاولة وأن يقال نعطيه طاولة نظيفة، فعلى الأول تكون طاولة كسائر الطاولات ولا تفترق عنها في شيء سوى أنها نظيفة بخلاف غيرها، وعلى الثاني تكون الطاولة شيئاً آخر مغايراً للطاولات الموجودة فعلاً.

والمستفاد من الآية الكريمة أن الإنسان يعطى حياة طيبة لا أن حياته الموجدة فعلاً تصير طيبة، وهذه الحياة الطيبة مغايرة للحياة العادية الطبيعية من ناحية كما أنها ليست في متناول أيدي الآخرين من ناحية أخرى، وهذا مستفاد من قوله تعالى ﴿فلنحيينه﴾ حيث عبر بذلك ولم يقل فلنطيبن حياته حتى يكون المراد من الحياة هذه الحياة الطبيعية غاية الأمر أنه قد أجري عليها بعض الإضافات والتعديلات حتى صارت طيبة. لا ليس المراد ذلك بل المراد هو إعطاءه حياة طيبة، نقية، فإذا كانت الحياة نقية حياة طهارة فحينئذ تكون عالماً آخر لا يمكن تحصيل إنسان في هذا العالم بل الترابي لا بد من صنع عالم جديد وإنسان جديد وهذا الإنسان الذي يمتلك هذه الحياة يصبح إنساناً مغايراً للناس العاديين يتلذذ بغير ما يتلذذون به، ومسلكه مغاير لمسلكهم، يحشر مع أولياء الله في الوقت الذي يحشر فيه الآخرون مع نظائرهم ومن هم على شاكلتهم. وهذه الأوصاف تتحقق لديه في ظرف وجوده في الدنيا لا أنها موقوفة على موته وانتقاله إلى الآخرة أما حاله في الآخرة فقد تقدم ذكره عندما تعرضنا للحديث عن الآية ٤٠ في سورة المؤمن

وإنما المراد من هذه الآية الشريفة أن هذه الحياة المذكورة توهب للإنسان حال وجوده في هذا العالم، ففي عين كونه في هذه الدنيا ومع الناس يكون إنساناً متميزاً ليس كسائر الناس يحيا حياة طيبة، يعيش حياة نقية لا يمتلكها الآخرون. حياة ليس فيها خوف ولا حزن ولا جهل ولا حرص ولا حسد ولا عداوة ولا حقد ولا بخل ولا ضلال ولا إضلال، بل طيبة، نقية زاكية لا تزلزله الحوادث ولا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلاً **﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾** التوبة: ٥١.

كل ما كان من عند الله فنحن راضون به، حياته مغايرة لهذه الحياة العادية وأعلى منها مستوى، وأرفع منها درجة، وأجل منها شأناً. وليس المراد ـ كما تقدم ـ هو تطييب حياته وإجراء تعديلات وإصلاحات عليها أو ترقيعها وتحسينها وصياغتها صياغة تتحول به إلى حياة طيبة، وذلك لأن هذه الحياة المادية مهما جرى عليها من إصلاح وترقيع وتحسين وتزيين وصباغة وصياغة فإنها بالطبع سوف لن تصبح حياة طيبة، لأنها هي بعينها تلك الحياة التي يعبر عنها القرآن الكريم باللعب **﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾** وما كان كذلك لا يكون بعد إصلاحه وتعديله حياة طيبة. بل يبقى لعب ولهو، فميدان اللعب مثلاً بعد ترميمه وإصلاحه لا يمكن أن يصير مدرسة مثلاً، حتى ولو صبغناه بالألوان الزاهية، حتى ولو رممنا ثغراته وسددنا فرجاته حيث أن ميدان اللعب يبقى ميداناً للعب يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدنيا وبيان حالها: ألستم تعرفون الدنيا، وخلاصة ما ورد في كلامه عليه السلام بتوضيح مختصر: إن هذا الإنسان الذي كان يحرص على تعطير جسمه، وقد أمضى عمره بتدبير شؤونه وإصلاحه، بمجرد أن يتخلى عن بدنه ويفارقه بالموت (صار جيفة بين أهله وأسلموه إلى عمله)[1] نعم يقع ميتاً بينهم بحيث أن أقاربه يكممون آنافهم حتى لا يتأذون برائحته. الميت كريه الرائحة ولذا يسعى الجميع لدفنه بأسرع وقت ممكن، لأنه إن تأخر قليلاً أنتن وفاحت

---

(١) خطبة ١٠٩ نهج البلاغة: صبحي الصالح.

منه رائحة كريهة، ويستحب في الفقه الإسلامي أيضاً الإسراع في تجهيز الميت ودفنه فإذا تأخر ذلك فإن بدن الميت ينتن وذلك موجب لهتك حرمته، فالجميع متحفزون للإسراع في تجهيزه ودفنه، وإلى أين يأخذوه؟ انهم يأخذونه إلى المقبرة (واسلموه إلى عمله) وما يكتب على ألواح القبور مثل: هذا مقر فلان أو مكان استقرار فلان أو مستقره فإنه ليس بصحيح دائماً وفي كل الأحوال لأن القبر ليس مقراً ومكان استقرار للجميع، إذ أن البعض قد لا يقر لهم قرار فيه لشدة ما يرونه من البأس والتنكيل، بل حاله فيه مرتبطة نوعاً بعمله فالإنسان هناك يكون رهين أعماله، فإن كان صالحاً فهو مستأنس ومسرور (إن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك) وحينئذ إما أن يكون الإنسان منعماً، وأما معذباً. فإذن هذه الحياة ليست حياة طيبة الحياة التي يكون ختامها الموت، الحياة التي تنتهي بالتعفن والإنتان سوف لن تكون حياة طيبة ونقية، ولذا فإن الموت والتعفن إنما هو للجسد الذي أنهكنا فيه مدة من الزمن.

وعليه فهذه الحياة ليست بالحياة الطيبة، المكان الذي يكون موطناً للطبيعة، وللدنيا، وللعب واللهو، لا يصلح أن يكون موضعاً للطيبة والطهارة، للحياة الطيبة والحياة الطاهرة.

القرآن الكريم يحدد لنا علامة الطيبة والطهارة **﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** الروم: ٤٧ هذا الإمداد الغيبي للمؤمنين مؤشر على وجود تلك الحياة الطيبة.

في جميع أدوار التاريخ كان المؤمنون منتصرين مع ما هم عليه من القلة في العدة والعدد، وكذلك كان الكفار منهزمين على ما هم عليه من القوة عدة وعدداً هذا الوعد الإلهي وهو نصر المؤمنين دليل على وجود الحياة الطيبة، لأن المدد الإلهي إنما يناله الذين يمتلكون تلك الحياة الطيبة، وأما غيرهم فهم دائماً منهزمون لفقدانهم لتلك الحياة. فهذا الوعد أثر للحياة الطيبة،

وعلى هذا فإن المؤمن إذا قام لله تعالى وهب للجهاد في سبيله فإنه من ناحية يكون على علم بهذا الوعد الآلهي، ويكون معتقداً بأن الله تعالى سوف لن يخلف وعده من ناحية أخرى، فبهذه الروحية يقوم لله ويجاهد في سبيل الله، وبهذه الحياة الطيبة يقف في وجه العتاة والطغاة والجبابرة، وبهذا الإيمان يقف ليواجه العدو الداخلي والخارجي.

وبهذا الاعتقاد والأمل يهب لمقاومة أعداء الله من جهة ولمجاهدة الأهواء والنزوات النفسية من جهة ثانية، يتحرك على مستوى الجهاد الأكبر والأصغر يشدد حملاته على الأعداء وعلى الأهواء النفسية، ويحارب الغرباء على المستويين الداخلي والخارجي، والله ينصر المؤمن على كلا المستويين وفي المجالين.

علامة أخرى للحياة الطيبة

ومن الآثار الأخرى للحياة الطيبة ما تفيده الآية ٦٩ من سورة المائدة وهي قوله تعالى **﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** والإنسان، أما أن يحزن ويغتم لفوات شيء وفقدانه منه في الزمن الماضي فيكون الآن مغموماً لأجله والغم عبء ثقيل على النفس ومكدر لصفو الحياة وهو مؤلم للنفس، أو أن يخاف من طرو شيء عليه في المستقبل أو فقدانه لشيء لا يستطيع فراقه، والإنسان المؤمن المرتبط بالله تعالى والمذعن بالمعاد، وكانت أعماله متسمة بالصلاح وموافقه لأوامر الله ورسوله، فلا يهدده الخطر الماضي ولا الحاضر فلا يحزن لما مضى ولا يخاف مما يأتي، لأنه قد تجاوز الماضي والمستقبل، **﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** وهذا علامة الحياة الطيبة، إذا تكامل الإنسان وتجاوز هذا النقص فإنه ينجو من غم الماضي ومن خوف المستقبل، فلا الماضي يحزنه ولا المستقبل يقلقه، فحياته تكون خالية من أنواع الهم والغم والخوف والحزن والحياة الخالية من هذه الأمور هي التي تكون طيبة ونقية.

أما الحياة الطبيعية المادية ففي كل لحظة فيها حزن وغم من الماضي وخوف من المستقبل، والحياة التي تكون محددة بالحزن من جانب وبالخوف من جانب آخر تكون محصورة وحياة من هذه القبيل لا يمكن أن تكون طيبة بل الحياة العارية عن الغم من الماضي والخوف من المستقبل هي التي تكون طيبة.

خلاصة الدرس الثاني

١ ـ إشارة مقتضبة إلى الدرس الأول وبيان الملازمة بين النورانية والحياة الطيبة.

٢ ـ ينقسم الناس والمجتمعات البشرية والحياة في نظر القرآن الكريم إلى قمسين أحدهما طيب والآخر خبيث.

٣ ـ إن المعيار للحصول على التكامل والوصول إلى الهدف العالي للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح. ولا يفرق الحال من هذه الناحية بين الرجل والمرأة فهما متساويان وأحدهما مكافىء للآخر فلا الذكورة شرط فيما ذكر ولا الأنوثة مانعة من ذلك لأن محل التعليم والتربية وموطنهما هو النفس الإنسانية.

٤ ـ إذا صدر العمل الصالح من الكافر كما لو بنى مستشفى ونحو ذلك فإنه يبقى على ما هو عليه من الحرمان من الحياة الطيبة وإن حصل على بعض الامتيازات الوهمية الدنيوية الزائلة. وذلك لأن القرآن يرى عمله باطلاً ويصفه بالفساد وذلك أولاً لأنه يسير على خلاف النظام الذي تسير عليه الكائنات وثانياً لأنه ينظر إلى الموت على أنه انعدام وفناء وانقضاء.

٥ ـ قسمان من الناس لا يمتلكون الحياة الطيبة :

١ ـ من عمل صالحاً ولم يكُن مؤمناً

٢ ـ من كان مؤمناً ولم يعمل صالحاً .

٦ ـ قسم من أثار الحياة الطيبة عبارة عن :

١ ـ حشره مع أولياء الله

٢ ـ التنزه عن البخل والغم والحزن والحرص والعداوة والحقد والجهل والضلالة والإضلال .

٣ ـ التخلص من الخوف والوجل . ٤ ـ وقوعه مورداً للتأييد الغيبي والنصر الإلهي .

٧ ـ عندما يموت الإنسان فإنه يُسَلَّم إلى عمله .

٨ ـ سوف نتعرض في البحث القادم إلى باقي آثار الحياة الطيبة .

الدرس الثالث

الحياة الطيبة وأثارها

إن دعوة الأنبياء عليهم السلام في نظر القرآن الكريم هي دعوة نحو الحياة، كما أنه يرى أن إجابة هذه الدعوة من عوامل الحياة، وهي أيضاً حياة طيبة نقية لا سبيل للتلوث والألم والإنكسار فيها، ويرى من جملة أثار هذه الحياة الطيبة، هو أنها ترفع صاحبها وترتقي به عن حدود عالم الطبيعة والمادة وتدفعه نحو الله تعالى، ومثل هذا الإنسان الذي يكون مهاجراً إلى الله سوف يصبح أبدياً خالداً وبعبارة أخرى أن من لوازم الحياة الطيبة أنها توصل الإنسان إلى مستوى من الكمال بحيث لا تناله يد الموت والعدم ولا تؤثر فيه تغييراً، أو تحويلاً أو انعداماً.

أثر الحياة الطيبة

يقول القرآن الكريم في هذا المجال ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ الأنفال ٢٤.

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله عباده بلفظ الإيمان وهذا من أشرف

الخطابات التي يخاطب الله بها العبد، وهو مغاير لخطاب يا أيها الناس ومختلف عنه، يروى عن الإمام الصادقعليه السلام في ذيل الآية الكريمة **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾** أنه قال (لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء).

وبعد هذا الخطاب المشفوع بالمحبة، يقول تعالى **﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**[1] . دعا فعل ماضي مفرد، وفاعل دعا هو رسول الله ﷺ والنكتة في التعبير بالمفرد في لفظ دعا، مع أنه كان ينبغي أن يعبر بلفظ التثنية كأن يقال دعواكم، على ما تقتضيه القاعدة، هو أن الدعوة واحدة ودعوة رسول الله ﷺ عين دعوة الله.

ثم يقول بعد ذلك **﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾** قد يشعر الإنسان أحياناً أنه غير مسيطر على نفسه، ويلاحظ بأن هناك عامل خارجي غير اختياري يتصرف في كثير من مواقفه وقراراته ويؤثر فيها سلباً أو إيجاباً.

فتراه مثلاً يعزم أحياناً على إنجاز فعل ما أو على ترك هذا الفعل المعين وبعد هذا العزم والتصميم يبرز في صميمه عامل معين، يصرفه عن الفعل في الأول، أو يدفعه نحوه في الثاني، وينساق الإنسان أراد أم لم يرد معه، القدرة الإلهية حائلة بين الإنسان وقلبه ـ فإذا لم يرع الإنسان حرمة القلب ولم يؤد حقها فإن الله تعالى يخرج اختيار التصرف بالقلب من يده، وتُسلب منه التوفيقات القلبية.

علامة مرض القلب

ولهذا فإن القرآن الكريم يصور لنا مرض القلب وانحرافه بهذا الشكل **﴿وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا﴾**

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

التوبة: ١٢٧ ـ المنافقون كان ينظر بعضهم إلى بعض في حالة نزول سورة ما على النبي إذا كانوا في مجلسه، ليروا إن كان لا يراهم أحد حتى ينصرفوا من المجلس، أو أن يبقوا إن كان هناك من يراهم ولم يكن حضورهم في المجلس بغرض الاستماع إلى الآيات الإلهية والتعرف عليها وإنما كان رغبة أو رهبة أو لتحقيق بعض المآرب الأخرى. وقد جازاهم الله على هذا الأسلوب المتسم بالنفاق، بسلب التوفيق من قلوبهم، وصرفها عن التعلق بالحق والانقياد إليه **﴿صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾** وقد علل سبحانه إنصراف المنافقين من المجلس الذي يترتب عليه سلب التوفيق وانصراف القلب بأنهم لا يفقهون. والفقه يطلق على الفهم الظريف والإدراك اللطيف، والمنافقون ليسوا أهلاً لإدراك هذه الدقائق واللطائف، ولذا فإنهم يعرضون عن التوجه إلى الآيات الإلهية في محضر النبي ﷺ ويساهمون في ازدياد المرض في قلوبهم، وهذا تحذير لجميع الذين يحرصون على أن يكونوا من أصحاب القلوب السليمة، وحاصلة أن عدم التفقه قد يؤدي بالشخص إلى الإعوجاج في المسلك والإنحراف في القلب يقول تعالى في سورة الأعراف **﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾** الأعراف: ١٤٦.

أي سأطرد هؤلاء المتكبرين عن حريم آياتي، ولن أجعل لهم نصيباً من الإدراك للمعارف الحقة والأحكام النورانية المودعة في كتابي وسوف أحرمهم من الإنس بي. وهذا جزاء عملهم حيث انتخبوا بسوء اختيارهم طريق التكبر بغير الحق **﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾** لا يؤمنوا بهذه الآيات لأن أثار الذنوب المترسبة في قلوبهم، تجعلها قاسية صعبة المراس والقلب القاسي يأبى عن الخضوع والانقياد للآيات الإلهية **﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** هذا هو السبب في ترتب هذه الأحكام المذكورة في الآية عليهم. وهو التكذيب بآيات الله والسعي لإبطالها والغفلة عنها.

وعلى ما تقدم يعلم بأن تقلبات قلب الإنسان وما يعرض عليه من أحوال لا تكون دائماً تحت اختيار الإنسان، فإن الإنسان إذا كفر النعمة ولم يعرف لها حقاً فسوف تسلب منه، إن كون الإنسان صاحب قلب حي سليم متوجهاً نحو الله هو بنفسه توفيق من الله ونعمة منه، وهذه النعمة إنما تفاض على الأشخاص ذوي الحياة الطيبة النقية.

من اليسير على الإنسان ضبط الأشخاص الغرباء الداخلين والخارجين على مستوى البيت أو المدينة أو الدولة أو القارة.

ولكن هل بإمكانه ضبط الخواطر العارضة على القلب بحيث يكون قادراً على إثبات ما يريده وطرد ما لا يريده؟ ما الذي ينبغي فعله حتى يكون مركز تصميمنا تحت اختيارنا، وبعبارة أخرى ماذا علينا أن نفعل حتى نكون تحت ولاية الله ولا يكون الشيطان هو المصمم لنا.

علامات الحياة الطيبة

هل يمكننا معرفة كوننا أحياء أم لا وعلى فرض الحياة فهل بالإمكان معرفة كون حياتنا طيبة أم لا.

يقول القرآن الكريم في مقام الإجابة عن هذا السؤال ﴿**لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين**﴾ يس: ٧٠ ـ فالإنسان الحي هو الذي يؤثر فيه كلام الله.

ويقول في حق البعض الآخر من الناس ﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾ البقرة: ٦ هؤلاء لا يعيرون أدنى اهتمام لمستقبلهم ومصيرهم ولا يؤثر فيهم الإنذار. بخلاف الحي فإن الإنذار يؤثر فيه ويوجد عنده حالة من القلق على مصيره ومستقبله، والشخص الذي ليس بحيّ يهوي قليلاً قليلاً إلى الحضيض يتنزّل في البداية إلى درجة الحيوانية، ثم إلى درجة النبات والشجر، ثم إلى مرتبة الجماد لا بل قد يكون أصلب من الحجر أحياناً.

هذا هو طريق السقوط ومراحله كما يحدده القرآن الكريم.

مراحل السقوط

بعض الناس ليس لهم هم ولا شغل سوى رعاية أبدانهم والتمتع بالملذات الدنيوية وبعضهم تستهويهم الأوهام والخيالات فينجذبون إليها وهؤلاء ليس لهم نصيب من الإنسانية، وإنما يعيشون في مستوى الحدود الحيوانية حيث أن الحياة الحيوانية واجدة لكلا الصنفين من اللذات المذكورة، فالحيوان يستلذ بالرئاسة وبالانتصار على خصمه، كما أن السرور يستولي عليه عندما يهشم ضعيفاً بمخالبه، هذه بعينها الطبيعة الحيوانية، فالذئب الذي يشن هجوماً على قطيع من الغنم فإنه لا يقتصر في ذلك على تمزيق ما يسد رمقه ويشبعه، بل يمزق من القطيع بمقدار القوة الغضبية الثائرة فيه، وإلا فإن الخروف الواحد كاف لإشباعه وهذه صفة من صفات الذئب، وتوجد أيضاً في الإنسان.

عندما يطرد الإنسان من حريم الانسانية فإنه يهوي أولاً إلى وادي الحيوانية وأدنى من هذه المرتبة من حيث المستوى أن لا يكون للإنسان علاقة أو إنجذاب نحو السجايا الحيوانية واللذائذ الخيالية والعاطفية، بل يكون همه مقصوراً على رعاية بدنه والانغماس بملذاته المتعلقة به، فإن هذا الموجود يعيش في مستوى النباتات والأعشاب.

وأدنى من هذه المرحلة عالم الجمادات، الذي لا يكون للموجود نفع فيه لا لنفسه ولا لغيره، وأسفل من ذلك وأحط المرتبة التي هي أنزل مراتب السقوط وهي الا يصدر من الموجود أي خير مطلقاً، والسر في كونها أنزل من المرحلة السابقة هو أن الجمادات كالحجر مثلاً قد ينبع منه الماء أحياناً فيكون فيه نفع ما، أما هذا الموجود فلا خير فيه أصلاً.

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد **﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾** الفرقان: ٤٤ بعض الناس كالحيوانات، بل هم أدنى مستوى من الحيوان، هم في حدود النبات والأعشاب، وفي هذه المرحلة لا وجود للمسائل العاطفية والاجتماعية والتولي والتبري والإرادة والكراهة وأمثالها، بل يكون هم الشخص فيها مقصوراً على ما يتعلق بتأمين الطعام الأفضل واللباس الأجود ونحو ذلك، ويلي هذه المرحلة في التدهور والسقوط مرحلة الجماد، إذ يكون الإنسان فيها كحجر ملقى في الفلاة، **﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾** البقرة: ٧٤ أي بعض القلوب تكون كالحجارة شدة وصلابة، وبعضها أشد منها في ذلك أي في مرحلة أنزل من مرحلة الجماد **﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وأنّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء﴾** البقرة ٧٤ ـ فبعض الحجارة قد تكون لها آثار ما، أما الإنسان القاسي القلب فليس له أي أثر يترشح عنه، والقرآن الكريم يعلل هذا السقوط الفظيع بهذا الشكل **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾** الحديد ١٦.

إن الأهواء المختلفة، والذنوب المتتالية، والخواطر والخيالات الباطلة تشبه ـ في نظر القرآن الكريم ـ تلك الرسوبات المترسية في العيون النابعة، التي تسدّ الخِلل والفُرج التي يندفع الماء منها، حيث أنها تكدّر صفحة القلب، بحيث لا يبقى مجال لنفوذ شيء فيه وتعبير القرآن اللطيف قوله **﴿فطال عليهم الأمد﴾** أي طال أمدهم وطالت مدتهم، فقست قلوبهم على أثر ذلك وحرف الفاء هنا إما للتفريع أو النتيجة.

والحاصل أن القلب كحبة صغيرة تندمل على مرور الزمن تحت الأحجار وتدفن بحيث لا يكون لها أي أثر، فلا تثمر ولا تورق ولا تزدهر: يقول حافظ الشيرازي: (رأيت المزرعة الخضراء والمنجل القمري ـ في حال كونه هلالاً ـ فتذكرت يوم زرعي ووقت حصادي) إنه يخبر عن قلب عامر

بالزراعة، ولم يصر قاسياً من أثر المعاصي فالشكل الهلالي للقمر في وسط السماء الذي هو على شكل المنجل.

ذكر هذا الشاعر بوقت الزراعة والحصاد، وتذكر من هناك أيام بذره لتلك البذور وغرسها في أرض قلبه، وأيام الحصاد والمحصول وأنشد هذا الشعر الجميل.

وهذا التشبيه إنما يكون صحيحاً سليماً فيما لو لم يخسر القلب قابلية الزرع، وإلا فإن الأرض الصلبة لا يزرع فيها شيء حتى يكون هناك حصاد ومحصول.

يقول أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام في كتابه إليه «ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، ـ وفيها ـ من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر، المستسلم للدهر ـ وفيها ـ أي بني أني لما رأيتني قد بلغتِ سناً ورأيتني أزداد وهنا بادرت بوصيتي إليك وأوردت خصالاً منها ـ إلى أن يقول ـ وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته»[1].

لنسعى أن نزرع بذور الفضائل والكمالات ومكارم الأخلاق في نفوسنا من حين زمن الحداثة، وإلا فإن الشيطان سوف يبذر فيها ولن يدعها خالية، وواضح أن بذر الشيطان ليس سوى شوك أم غيلات، وعلف لا فائدة منه.

بما أن هذا العالم المادي عالم حركة وتحول فإن من الممكن أن تظهر عند الإنسان في هذه الدنيا بعض العوامل التي تسوقه نحو الفضيلة أو الرذيلة، وكنموذج لحسن العاقبة نتعرض لذكر قصة الفضيل بن عياض.

يذكر في صدد الآية الكريمة ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم...**﴾الخ قصة حدثت في عصور صدر الإسلام، مثبتة في الكتب

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٢١.

وحاصلها: إن الفضيل بن عياض ـ أحد عرفاء إيران ـ كانت له سوابق سيئة، وكان يقوم بأعمال منحرفة فاسدة، كان من قطاع الطريق في شرق إيران في منطقة خراسان ولم يكن أحد يأمن شره ويسلم من أذيته، فكان الناس ـ تفادياً لأذيته ـ يسافرون بشكل قوافل كبيرة، ويسيرون بمنأى عنه حتى لا يشعر بهم وكانوا يهيئون أنفسهم لدرء الأخطار التي يمكن أن تهددهم بسببه، قبل شروعهم بالسفر، ففي ذات ليلة قصد فضيل إلى بعض المنازل، وتسلق جداره بقصد سرقته، وتناول السراج وأراد أن يدخل إلى المنزل، فوجد هناك شخصاً مشغولاً بتلاوة القرآن وهو يتلو قوله تعالى **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾**[1] فكان لها أثر عجيب في نفسه تلك الليلة، وقال، نعم لقد آن وقت ذلك، وبعد ذلك صار من مشاهير العرفاء، وله كتب وكلمات راقية وآثار قيمة، والحاصل أن الإنسان قادر على الرجوع نحو الله تعالى في أي وقت، فهذا نموذج لحسن العاقبة والختام[2].

وفي مقابلة نموذج لسوء العاقبة نتعرض لذكره. ولكن قبل بيان هذا النموذج وهذه القصة، لا بأس بشرح وتوضيح الآية الكريمة الواردة في هذه القصة وهي قوله تعالى **﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**[3] فهل يستوي هؤلاء الذين يعلمون أصحاب هذه الصفات مع أولئك الذين لا يعلمون.

في هذه الآية الكريمة نكتتان يجدر ملاحظتهما.

الأولى: أنه قد جعل الخوف في صدر الآية خوفاً من الآخرة لا خوفاً من الله، لأنه لا خوف من الله تعالى إذ أنه أرحم الراحمين ولا خوف من أرحم الراحمين، نعم الذي يوجد هنا هو الخوف من العواقب وسوء الأعمال.

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) سفينة البحار ٢ ـ ٣٦٩.

(٣) الزمر: ٩.

الثانية: وهي تتعلق بذيل الآية وهي، ان هذه الجملة المعروفة وهي **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** ليست آية مستقلة بل هي ذيل للآية المتقدمة.

القرآن الكريم يعطي للعلم قيمة على نحو المقدمية، لا قيمة نهائية وعلى نحو الاستقلال، ولهذا فإنه يطرح أولاً مسألة التزكية ثم يبين مسألة العلم، وإنما يعطي هذه القيمة المذكورة للعلم الذي يكون محتوياً على تلك المعاني العالية وهذه الآثار العظيمة التي تكون ثمرتها الخضوع والخشوع تجاه الحق، ذلك العلم الذي يبلغ بالإنسان مقاماً ويجعله في منزلة تكون ثمرتها الخوف والخشية من الله والتواضع أمام الحق، فهل المهندس المادي مثلاً متفاوت عند الله مع العامل المادي العادي؟ أي أن مقام أحدهما أرفع من مقام الآخر بسبب علمه، أبداً لا يكونان متفاوتان عند الله من هذه الجهة فليس هذا هو المراد من العلم، وإنما المراد منه ذلك العلم الذي يهب للإنسان الحياة الطيبة، ويصل به إلى لقاء الله والحياة الأبدية، وهذا هو الذي له عند الله تعالى كل قيمة وتقدير، وإلا فان الشخص الذي لا يعتقد بتجرد الروح ولا يؤمن بالمبدأ والمعاد، فأي قيمة له عند الله تعالى، مع أنه لا يرى تفاوتاً في الوجود إلا في حدود الطبيعة والمادة وليس لاختلاف المراتب في عالم المعنى أي مفهوم في نظره.

وعلى هذا فعندما يقول القرآن الكريم **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**، فإن هذا بعد مسألة التزكية، فقد ذكر أولاً الخشية من الآخرة والأمل برحمة الله، والخضوع والعبودية وتهذيب النفس، وبعد ذلك بيّن عدم التساوي بين العالم وغير العالم.

قصة القارىء النهرواني

وأما تلك القصة التي أشرنا إليها فهي كما يلي: في ليلة من الليالي كان

أمير المؤمنين عليه السلام عائداً إلى منزله وكان يصحبه أحد خواص أصحابه وهو الكميل بن زياد، في تلك الليلة المظلمة، كانت الأمور هادئة والشوارع خالية وأكثر الناس نائمين، وكان قد مضى مقدار من الليل، وعندما كانا يجتازان من أمام أحد البيوت، بلغ أسماعهم صوت يتلو هذه الآية الشريفة وهي ﴿**أمن هو قانت آناء الليل**﴾ . . الخ فاندهش كميل من ذلك وغبط ذلك الشخص الذي هجر لذيذ رقاده في الوقت الذي أكثر الناس فيه نائمون، وأقبل على تلاوة كتاب الله، فالتفت إليه أمير المؤمنين حينئذ وقال له يا كميل لا يخدعنك صوت هذا القارىء، فهو من أهل النار وسأريك ما يكون من أمره في المستقبل القريب، فتعجب كميل من كلامه عليه السلام واخباره عن حال هذا الشخص، ولكن بما أنه كان من حوارييّه عليه السلام فقد أذعن بما قاله، وصدق به، فمضت مدة على هذه الحادثة إلى أن وقعت حرب النهروان بسبب الناسكين الجهلة، أي الخوارج في ذلك الزمان وفي خضم هذه المعركة وضع عليه السلام سيفه الملطخ بالدماء على أحد الرؤوس المقطوعة، وأشار لكميل نحوه وقال ﴿**أمن هو قانت آناء الليل**﴾ . . . الخ إشارة منه عليه السلام إلى أن هذا الرأس هو رأس ذلك القارىء الذي أخذ صوته وتلاوته بمجامع قلبك، وخدعك بتلاوته الحزينة، وها هو الآن يقوم لمحاربة إمام زمانه، فوقع حينئذ كميل على أقدام أمير المؤمنين وقبلهما، واستغفر الله[1] . فهذا نموذج لسوء عاقبة المتنسكين الجهلة الذين ليسوا أهلاً لمعرفة الحق والفحص عنه وتحقيقه. وذلك نموذج لحسن العاقبة واختتام الحياة بالسعادة.

---

(١) سفينة البحار ٢ ـ ٤٩٦.

خلاصة الدرس الثالث

١ ـ أحد آثار الحياة الطيبة ترقي الروح من عالم الطبيعة إلى عالم الملكوت وهو عالم لا سبيل للزوال والإنعدام والتحول والتغير والتبدل إليه.

٢ ـ إن أشرف خطابات الله تعالى للإنسان هو خطاب **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾**.

٣ ـ أحد آثار الحياة الطيبة حماية وحفظ حريم القلب وفي النتيجة جلب التوفيق الإلهي، وإذ لم يراعي الإنسان حرمة القلب ولم يحفظه ولم يحميه فإنه يبتلى بمرض القلب وهكذا إنسان يعدّ في نظر القرآن الكريم منافقاً.

٤ ـ أحد آثار الحياة الطيبة قابلية التأثر بكلام الله تعالى.

٥ ـ المنافقون ليسوا أهلاً للفقه وفهم المعارف الإلهية.

٦ ـ إن الإنسان على أثر إنشغاله برعاية بدنه وانغماسه بالاستمتاعات المادية يهوي إلى درجة الحيوانية، ومن هذه المرحلة يسقط إلى مرتبة النباتات ثم إلى مرتبة الجمادات بحيث يكون أدنى مستوى من الحجارة لأن الحجارة قد تصدر عنها بعض الآثار النافعة، أما ذلك الإنسان فلا نفع فيه أصلاً.

٧ ـ إن أفضل فترات السعي للحصول على الحياة الطيبة هو عصر الشباب لأن الإنسان في ذلك الوقت يكون مهيأً لغرس أي نوع من أنواع الفضائل والكمالات فيه.

٨ ـ بما أن عالم الطبيعة والمادة هو عالم الحركة والتحول وبالتالي يمكن أن يتحول الإنسان فيه من الفضيلة إلى الرذيلة أو العكس، فإن الإنسان

قادر على تهيئة الظروف لنفسه للوصول إلى أي حالة من الحالات.

فيمكن أن يتنور بنور القرآن كما حصل ذلك للفضيل بن عياض حيث أنه قضى عمراً في الإنسياق نحو الرذائل، ولكن باستماع آية من القرآن انصرف عما كان عليه وتحول إلى صراط السعادة وختمت عاقبته بخير.

ويمكن أن يكون مثل ذلك الرجل النهرواني الذي سقط بانحرافه عن الصراط المستقيم وابتلي بسوء العاقبة.

سوف نتعرض في البحث القادم إلى بعض الآثار الأخرى للحياة الطيبة.

الدرس الرابع

المحبة وتحصيل المحبوب من إحدى آثار الحياة الطيبة

من أحد بيانات القرآن النافعة، إرشاد الإنسان إلى طريق المحبة والحصول على الصديق إذ أن الإنسان لا يستطيع العيش بدون الحب.

والمهم هو أنه بأي موجود يجب أن يتعلق هذا الحب، وما هو السبيل إلى تحصيله، وكيف ينبغي أن تكون المعاملة معه، والقرآن الكريم إنما يتعرض لهذا المطلب لكونه ﴿**شفاء لما في الصدور**﴾ يونس: ٥٧ أي أنه يعالج الأمراض الأخلاقية الكامنة في قلب الإنسان، والمحبة الكاذبة نوع من هذه الأمراض، فينبغي أن يكون هو المعالج لها.

القلب الذي يتعلق حبه بأمر باطل، أو الذي يوزع حبه بين أمر حق وأمر باطل هو قلب مريض، وينطوي على محبة كاذبة، أما القلب الذي ليس فيه محبة إلا للحق وإن أحب شيئاً ففي طول محبته للحق لا في عرضها على نحو الاشتراك والتقسيم فهكذا قلب يعتبر في نظر القرآن قلباً سليماً، لأنه إن تعلق بشخص أو شيء آخر فإنما يتعلق به ليصل من خلاله إلى الحق، وعلامة الحب للحق، أن يكون حب الإنسان للأمور الأخرى وسيلة لحبه للحق، وهذه الأمور يمكن استنباطها من القرآن بوضوح.

أما مسألة ان الإنسان لا يمكنه العيش مع فقدان الحب فهو أمر بديهي لأنه لا ينبعث خلف شيء إن لم يكن عنده رغبة فيه أو إنجذاب إليه وبدون الشوق والحب لا يحرك ساكناً، فالأصل في تحرك الإنسان وسعيه وانبعاثه هو الحب، أما المحبوب الذي ينبغي أن يتعلق به الحب فإن القرآن الكريم يصف بعض الناس بالارتباط والإنجذاب نحو الباطل، وبالتعلق بالأمور الزائلة الفانية، هؤلاء لا يعلمون بأن هذه النعم المادية ليست ثمناً لنفس الإنسان لأن النعم الإلهية المادية تذكر في القرآن الكريم بعنوان غذاء للإنسان كما تذكر بعنوان كونها غذاء للحيوان، فإذا كان سعي الإنسان مقصوراً على تهيأتها والتلذذ بها فإنه سوف يبقى في حدود الحياة الحيوانية كسائر الحيوانات، ولن يكون له نصيب من الحياة الإنسانية، وهذا المطلب يمكن استفادته من الآية التالية.

﴿**أو لم يروا إنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم**﴾ السجدة: ٢٧ ـ وفي موضع آخر يذكر القرآن الكريم إن هذه النعم المادية ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ النازعات: ٣٢.

هذه النعم المذكورة مشتركة بين كل من الإنسان والحيوان، وعليه فهي عاجزة عن الارتفاع بالإنسان وإيصاله إلى ذروة الإنسانية.

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما مضمونه: أنظر كيف يذكر الله تعالى نعمه التي أنعم بها على الإنسان، فإنه عندما يتعرض للنعم التي هي من قبيل العلم والمعرفة ونحوهما من الكمالات الإنسانية الراقية فإنه يذكرها بنحو من البيان، وعندما يتعرض لذكر النعم المادية كاخضرار النباتات ونزول الأمطار ونموّ الأشجار ونحوها فإنه يذكرها بنحو آخر من البيان إذ يقول ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾.

فإذا كان حب الإنسان وارتباطه وتعلقه في حدود هذا المستوى من الحياة فإنه يصنف في نظر القرآن الكريم في عداد الحيوانات لا أكثر.

ويذكر القرآن الكريم في موطن ثان﴿**كلوا وارعوا أنعامكم**﴾ طه: ٥٤ ـ هذا عندما يتحدث عن النعم الطبيعية المادية، أما عندما ينساق الكلام لذكر العلم والمعرفة وغيرهما من الكمالات المعنوية فإنه يرى أن حدود الإنسان الإلهي مباينة لحدود الإنسان المادي، ويفرق بينهما في الكلام، يقول تعالى في سورة فاطر بعد ذكر نزول الأمطار ﴿**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عبادة العلماء**﴾ فاطر: ٢٨ ـ ولفظ الأنعام تطلق على الحيوانات التي تسير بنعومة وهدوء.

والمراد من الآية أن بعض الناس والأنعام والدواب ألوانها مختلفة إلا أنهم في الحقيقة في رتبة واحدة من حيث المستوى، ثم يذكر العلماء ويفصلهم عن الآخرين بعلامة مميزة، وهي العلم الواقعي الذي يمتازون به عن غيرهم، وليس مرادنا أن هؤلاء ليسوا من نوع الإنسان، بل هم كذلك غاية الأمر أنهم بما لديهم من هذا العلم الواقعي يتميزون عن سائر أفراد الناس ويصنفون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم أناس تبدو علامة الخوف من الله وآمارات الخشية منه في تمام وجودهم وهذا بخلاف الإنسان الذي يتعلق حبه ورغبته في حدود الماديات فإنه يعتبر في مستوى الحيوانات حيث أنها هي الأخرى متعلقة ومرتبطة بالأكل والنوم والعلف ونحوها فأين يكون حينئذ فرق الحيوان مع الإنسان، وعليه فهذا الارتباط والعلاقة ليس حباً، ولا بد من الارتفاع عن هذا المستوى.

وإن أراد الإنسان أن يتعلق ويرتبط بشبابه وغضارته، فإن القرآن الكريم يتعرض لهذا المطلب أيضاً ويوضحه، حيث يقرر أن الشباب والقوة محفوفة بضعفين أحدهما متقدم على هذه القدرة والشيبة والآخر متأخر عنها ففي سورة الروم ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة**﴾ الروم: ٥٤ ـ ففترة الشباب محدودة وزائلة وبزواله يزول الحب والارتباط المتعلق به، والعاقل لا يسمح لنفسه بالارتباط بما هو كذلك إذ أنه بعد زوال هذا الحب وما تعلق به الحب فما يصنع الإنسان وبأي شيء يرتبط وما الذي يتعلق به قلبه.

وعندما يرى الإنسان أن شخصه وشبابه لا يستحق أن يرتبط به ويركن إليه فإنه بطريق أولى يرى عدم استحقاق الموجودات الأخرى بأن تكون مورداً لارتباطه وتعلقه.

والقرآن يذكر في بعض المواضع أحوال الجماعات الذين يرتبطون بغير الله تعالى وينبه على أن ذلك الشيء المحبوب والذي يقع مورداً لهذا التعلق، إنما هو أمر زائل فان منقضٍ ولا نفع فيه للإنسان بل يصف هذا النمط من الناس بالخاسرين حيث أن هؤلاء جعلوا من نفوسهم ظرفاً لتلك المحبة الزائلة، التي تزول بزوال الأمر المتعلق به.

إن الإنسان إما أن يكون ما زال في مستوى البنوة أو أن يكون هو بنفسه قد صار أباً أو أن يكون تاجراً كاسباً أو صاحب مسكن ونحو ذلك وإما أن يكون واجداً لجميع ذلك والقرآن الكريم يقول ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**﴾ التوبة ٢٤ هذه الأمور المذكورة يجب أن يكون ارتباط الإنسان بها في الله ولله، وأما إن كان الارتباط بها يشكّل عائقاً عن إنجاز الوظائف الدينية فليتربّص صاحب هذه الحالة ولينتظر مجيء أمر الله.

أي أن هذه المحبات محبات كاذبة، صحيح أن القرآن الذي هو شفاء يرى أن قلب الإنسان هو ظرف للحب والمحبة، إلا أنه لا على أن يكون ظرفاً لأي محبة وتعلق ونحوهما، والحاصل أن ارتباط الإنسان بهذه الأمور المذكورة، إن كان لأجل الله فهو المطلوب وإلا فليتربص ولينتظر نزول العذاب يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام ما مؤداه: الناس قسمان إذ أن الدنيا مكان التجارة والبيع والشراء فمنهم من يبيع نفسه ويشتري بها الملذات، وبعضهم يبيع لذاته ويشتري بها نفسه، وذلك عندما يبين أن الدنيا مكان عبور إلى الآخرة (والناس فيها رجلان رجل باع فيها نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها) فالأول أوبقها أي أهلكها والثاني فكها من قيودها وحررها.

في تلك الآية المشار إليها يبين القرآن بأن مرجع العلاقات الدنيوية إلى هذه الأمور الثمانية المذكورة في الآية ـ كالأخوان والآباء والأبناء. . الخ وبعد ذلك يحذر بأن الارتباط بهذه الأمور إن كان صاداً للإنسان عن القيام بمهامه الدينية فعلى هذا الإنسان أن يكون منتظراً للعذاب الإلهي.

لا يقال انه من الممكن أن يوزع الإنسان حبه وارتباطه وتعلقه بين كل من الله تعالى وبين هذه الأمور المذكورة فإن ذلك ليس بميسور إذ أن للإنسان قلب واحد وجسم واحد وروح واحد **﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** الأحزاب: ٤.

فقلب الإنسان إذن لا يمكن أن يكون محلاً لمحبة الله ومحبة الدنيا في آن واحد قلب الإنسان هو ظرف لمحبة الله وأولياء الله.

(ليس في حريم القلب مكاناً لكلام الأغيار، عندما يخرج الشيطان يدخل الملك) فلا يمكن الجمع في بيت القلب بين الملائكة والشياطين، فإذا احتل الشيطان مكاناً من هذا القلب ونفذ إليه، فإنه حينئذ يحيط بقلب الإنسان ويهيمن عليه وهذه حالة مشكلة جداً وفي غاية الصعوبة. فلا بد من حماية القلب والمحافظة عليه حتى لا يكون هناك مجال لنفوذ الشيطان إليه وينبغي مراقبة القلب ومتابعته على الدوام ولا يكفي القول والكلام في أمثال هذا المقام بأن يقول الشخص أنا لا أدع الشيطان ينفذ في قلبي، بل لا بد من التصدي عملياً لذلك.

فالشخص الذي ينام بعد تناول العشاء إلى حين صلاة الصبح مثلاً بحيث لا يقوم على صلاة الصبح إلا بعد بذل الجهود الشاقة في إيقاظه كيف يمكن أن يعتبر محافظاً ومراعياً لقلبه، بل يكون الشيطان قد وصل إليه في النوم أو في اليقظة، لقد أكل هذا الإنسان مقداراً من الطعام بحيث أنه لا يستطيع أن يستيقظ ليؤدي هاتين الركعتين التي يصليها بتكلف ظاهر، هكذا إنسان لا يتذوق حلاوة الصلاة، غاية الأمر أنه لا يعذب على عدم تأدية

الصلاة في النار، وأين هذا من تلك المقامات العالية فإنه ليس الشخص الوحيد الذي لا يعذب وإنما هنالك الأطفال والمجانين لا يعذبون أيضاً وكذا المستضعفون وهم الذين يعجزون عن تحقيق الحق ومعرفته، هل يكفي أن يكون هدفنا هو النجاة من عذاب النار أم ينبغي أن يكون لنا غرض أسمى ومقصد أرقى:

صرت حارساً لحريم القلب كل الليل

حتى لا أفكر بقلبي فأجد غيره

وهذا ما يحتاج إلى السعي وبذل الجهد وتحمل المشاق.

ما أجدر الإنسان الذي يقطع كل ارتباطاته ويتجاوزها، ويغض النظر عن النوم والراحة، والاسترخاء، ويهب لبذل نفسه في سبيل الله وينهض ليضحي ويقدم ما يمتلكه من طاقات مما لم يتيسر له القيام بذلك بمجرد الفكر والتفكير، فقد يكون في فكره أمور كثيرة غير هذه ولكن الشيء الذي يجذبه ويدفعه إلى ذلك هو الحب والمحبة والحاصل أنه لا يمكن للإنسان أن يجمع بين حب الله وحب ما هو غير الله والذي يحاول ذلك فهو مخادع لنفسه، لأن الملاك لا يجتمع مع الشيطان ويحسن بنا في المقام أن نلقي نظرة على أواخر سورة المجادلة حيث نجد بعد ذكر مواصفات حزب إبليس قوله تعالى **﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾** المجادلة: ٢٠ ـ فهؤلاء الأشخاص أصحاب المواصفات المذكورة يصنفون في عداد أخسّ أفراد الإنسان، لأنهم ارتبطوا بما يهيأه قانون الخلق ويعطيه نظام الوجود لهم وللحيوانات على حد سواء أي ارتبطوا بهذه الاستمتاعات المادية التي هي **﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾** على ما تقدم بحثه وعن الإمام السجادعليه السلام ما معناه. عندما يتحدث القرآن الكريم عن التوحيد ومعرفة الحق فإنه يذكر العلماء والعارفين مردفاً لهم بالملائكة وعندما ينساق الكلام لذكر الأكل والمال واللباس ونحوها فإن هذه الأمور تذكر في مستوى الحيوانات.

يقول تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾** آل عمران: ١٨ ـ والكلام في الآية عن الشهادة على وحدانية الله والشهود هم الله والملائكة وقد جعل أولوا العلم تالين للملائكة في الشهادة على الوحدانية.

وعن الإمام السجاد عليه السلام ما معناه: كل آية من القرآن مخزن من مخازن العلوم الربانية، وأهل البيت المطهرون المعصومون، هم الذين يستنبطون هذه المعاني منها.

وعلى كل حال فقد ذكر القرآن الكريم بأن المتجاوزين لحدود الله في الأذلين ثم يقول بعد ذلك **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾** المجادلة: ٢١ ـ وبعد ذلك يعطف البيان على ذكر مواصفات المؤمن الواقعي الطافح القلب بالإيمان فيقول **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءَهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾** المجادلة: ٢٢ فالمؤمن الواقعي لا يرتبط بهكذا أشخاص وإنما ارتباطه فقط وفقط بالله تعالى وأوليائه، وكل من يتجاوز الحدود الالهية كائناً من كان لا تكون بينه وبينهم أي رابطة مودة أو علاقة محبة وإذا لم يرتبط الشخص بهؤلاء المذكورين فإنهم بطريق أولى لا يرتبط حينئذ بماله ومسكنه وزوجته.

والقوم هنا بمعنى المجموعة وهو مشتق من القيام وإنما عبر عنهم بالقوم لأنهم من الموجودات القائمة.

وإنما عبر بقوله **﴿لا تجد﴾** لأن قلب المؤمن مستوعب في محبة الله فلا مكان لغير الله فيه، ومن هنا يقول الشاعر ما مؤداه (الشيطان يفر من القوم الذين يقرأون القرآن) ولهذا قال الشاعر:

ما دام لم يخرج الشيطان من البيت فـــإن الملـــك لا يـــدخلـــه

فالملك إذا لم ير النفس طاهرة طيبة فإنه لا يدخلها، وإذا صار للملك سبيل إلى القلب وحل فيه فإن الشيطان حينئذ يفر منه، يعني أنهم دائمون على

قراءة القرآن بقلوبهم وأرواحهم، لا بألسنتهم فحسب، وفي هكذا قلب لا محل إلا لحب الله، ولا سبيل لغيره إليه **﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾** المجادلة: ٢٢ ـ فالإيمان ثابت في قلوبهم فلا مجال فيه للإنحراف والكفر، وهم مؤيدون بروح من الله تعالى، وهي الروح التي تكون منشأ للحياة الطيبة والنقية، وهي مغايرة للحياة المادية الزائلة.

خلاصة الدرس الرابع

١ ـ إحدى علامات الحياة الطيبة التحلي بالمحبة الحقيقية التي يصل إليها الإنسان عبر التعاليم الإلهية، لأن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن المحبة فالحب من احتياجاته الضرورية هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القرآن الكريم يعالج كل جوانب حياة الإنسان ويلبي له كل احتياجاته من خلال التعاليم المودعة فيه، ومن إحدى تعاليمه الحب والمحبة إذ يتعرض في هذا المجال إلى ذكر المحبوب الواقعي وإلى بيان الطريق الموصل إليه، كما أنه يبين حقيقة الأمور الباطلة التي يتعلق بها الإنسان وينجذب إليها ويوليها حبه، ويرشد الإنسان إلى طرق الخلاص والوقاية منها.

٢ ـ إن الحب الكاذب والتعلق الباطل يعد مرضاً باطنياً كامناً في قلب الإنسان ودواءه هو العمل بأوامر الله وإرشاداته، إذ أن القرآن شفاء للأمراض القلبية.

٣ ـ إن هذه النعم المادية والملذات الزائلة الفانية الموجودة في الطبيعة غير جديرة لأن تكون المحبوب الواقعي للإنسان الذي هو خالد لا يفنى وباق لا يزول.

٤ ـ إن الذي يمكن أن يقع مورداً لحب الإنسان وتعلقه في هذه الدنيا من الموجودات المادية، إما أن يكون من قبيل الطعام واللباس ونحوها من الأمور المشتركة بين الإنسان والحيوان، فإذا ولّاها الإنسان قبلته وصرف إليها وجهته فإنه حينئذ في عداد الحيوانات. وإما أن يكون من قبيل القوة والشباب الزائلين والشباب زائل لكونه محفوفاً بضعف متقدم عليه وضعف متأخر عنه. وإما أن يرتبط بالآباء والأبناء والأخوة والنساء والأقارب والأموال والتجارات والمساكن وهذه سوف لن تبقى مع الإنسان إلى الأبد.

٥ ـ إن الذي يستحق أن يكون مورداً لتعلق الإنسان وارتباطاته ويصلح أن يكون محبوباً له، هو الله تعالى ومعرفة الله والكمالات الروحية والمعنوية وذلك أولاً: لأن الإنسان حينئذ يكون خالداً ودائمياً وباقياً.

وثانياً: لكون ذلك خير على حد تعبير القرآن حيث يقول **﴿ما عند الله خير وأبقى﴾** وفي موطن آخر **﴿والله خير وأبقى﴾**.

٦ ـ من الحدود الفاصلة بين الإنسان والحيوان العلم والمعرفة المذيلة بالخوف من الله تعالى والخشية منه.

٧ـ لا يمكن أن يكون القلب محلاً لكل من حب الله تعالى وحب الدنيا ومظاهرها والكمال الواقعي أن يكون القلب موطناً لحب الله تعالى وأوليائه.

٨ ـ إن الموجب لتخلص الإنسان من جميع الارتباطات والعلائق الباطلة والخوض في مشاكل الجهاد ومتاعبه، ليس مجرد الفكر والتنظير، بل ان الأمر يحتاج إلى السعي والجهد والمشقة ومحبة الله تعالى.

٩ ـ يقول الإمام السجاد عليه السلام إن الله قد جعل شهادة العلماء العارفين تالية لشهادة الملائكة على الوحدانية.

١٠ ـ المؤمن المملوء القلب من محبة الله تعالى لا يقيم أي علاقة من علاقات المودة والمحبة مع الذين يتجاوزون حدود الله لأن الإيمان مكتوب

في قلبه ولا مكان فيه لمحبة الكافرين والمنحرفين.

١١ ـ إن أصحاب الحياة الطيبة لا يحبون أحداً سوى الله وهم أولاً من الذين يدخلون الجنة وثانياً يكونوا راضين عن الله كما يكون هو راض عنهم وثالثاً هم حزب الله وحزب الله هم الغالبون.

١٢ ـ سنتحدث في البحث الآتي عن دور المحبة، وعن طريق الوصول إلى المحبة الصحيحة وعن عاقبة المحبة الباطلة ونتيجتها.

الدرس الخامس

دور المحبة والصداقة

بما أن الإنسان أبدي وخالد، ولا يستطيع العيش بمنأى عن الحب والرغبة فلا بد أن يكون ذلك الشيء الذي يوليه حبّه ويمحضّه وده أبدياً وخالداً أيضاً، بحيث يستوعب كل مشاعره وارتباطه، دون أن يكون في قلبه حظ لشيء آخر غيره، وبما أن المادة والماديات ليست كذلك، فليس للإنسان أن يحلّها ذلك المحل من قلبه، والقرآن الكريم يبين لنا عواقب المحبات الباطلة والمحبات الحقّة، فالذي تعلق حبه بموجود دائم وخالد هو الذي يستفيد من حبه ويعود عليه نفعه، أما الذي يتعلق قلبه بموجود زائل، فإنه بالإضافة إلى عدم تحصيله لأي فائدة من هذا الارتباط، سوف يكون من الخاسرين وسيعود عليه حبه بالوبال والضرر، يقول تعالى في سورة الفرقان **﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾** الفرقان: ٢٧ ـ حيث يبين مدى شدة الندم الذي يستولي على الإنسان يوم القيامة ويصف أقواله وأفعاله حيث يقول **﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾** الفرقان: ٢٧ ـ ٢٨ ـ فهناك تبدو للإنسان آثار تلك العلاقة والارتباط بما لا ينبغي الارتباط به، فيبدي حينئذ كمال تأسفه لهذه الصداقة، ويتمنى لو لم

يكن أقدم عليها وانشغل بها، ومن هنا يعلم مدى الدور الذي تلعبه العلاقات والارتباطات في تحديد مصير الإنسان وما يؤول إليه أمره وهذا الكلام كلام الله وهو الذي يصفه القرآن بقوله ﴿**ومن أصدق من الله قيلا**﴾ النساء: ١٢٢ أو بقوله ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾ النساء: ٨٧ كما في موضع آخر فالله تعالى يحذر الإنسان وينبهه، ويأمره بالتثبت التام في مجال إنشاء العلاقات والارتباط، وأنه لا ينبغي له التعلق بأي شيء يرى قلبه منجذباً نحوه دون الفحص عن حاله والتبين في أمره، وإلا فسيأتي عليه ذلك اليوم الذي يقول فيه ﴿**يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً**﴾، والخليل مشتق من الخلّ بمعنى الحاجة وبما أن الصديق يعرض احتياجاته على صديقه يقال له خليل والله تعالى قد اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً لنفسه فهو خليل الله وخليل الرحمن ومن ألقاب نبينا عليه السلام ـ أنه حبيب الله.

في ذلك اليوم يعض الظالم أصبعه ندامة، لاشتباهه في اختيار الصديق الذي كان السبب في ضلاله وانحرافه حيث يقول﴿**لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني**﴾ فإنه لو لم يكن الذكر حاصلاً عنده وضل على أثر ذلك لكان قاصراً، إما أن يضل عن الذكر بسبب صديق ونحوه مع حصول الذكر عنده فإنه يكون مقصراً في أي مجتمع من المجتمعات أو عصر من العصور يكون ذكر الحق فيه حيا مع مع إمكان الوصول إليه، إذا انصرف الإنسان فيه عن ذكر الله فإنه سيواجه مصيراً مظلماً، ذلك المصير الذي يبينه القرآن حيث يقول ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾ الفرقان: ٢٩ ـ الشيطان يسعى لكي يذل الإنسان ويسلبه تلك العزّة والأبهة التي يحصلها في ظل الإيمان بالله والعمل الصالح، ويبدله بعزة كاذبة مزيفة، لا تبتني على أصل سليم، وفي بعض تعابير القرآن الكريم في هذا المجال قوله ﴿**أخذته العزة بالإثم**﴾ البقرة: ٢٠٦ أي ان الإنسان يحصل بواسطة ارتكاب الذنب على عزة كاذبة مزيفة يستنكف معها عن الإصغاء إلى كلام الحق، وهذه هي العزة الباطلة أما العزة الحقيقية والأصيلة فهي التي يقول عنها ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ المنافقون: ٨ و﴿**فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ فاطر: ١٠ يعني

أن الإنسان وبواسطة الكلم الطيب والعمل الصالح يمكنه أن يصل إلى العزة الحقيقية وهنا يقول **﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾**، فإذا أذل الشيطان الإنسان جعله عبداً للشهوات، وحينئذ يصير تابعاً ومنفذاً لما تمليه عليه الشهوات والأهواء، ولذا ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله (عبد الشهوة أذل من عبد الرق) وذلك لأن هواه يرديه ويهوي به إلى أسفل الدركات **﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾** الفرقان: ٣٠.

الرابطة الوحيدة بين الإنسان وبين الله تعالى كتابه السماوي، لأنه يحتوي على جميع كليات المعارف الإلهية، ومن هنا أمرنا بقراءته قدر الإمكان وقال الله تعالى **﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾** المزمل: ٢٠ ـ عليكم بقراءة القرآن بالقدر المستطاع والسعي في فهم معانيه، وعدم فهم معاني القرآن ليس عذراً لترك تلاوته من رأس فالقرآن ليس كسائر الكتب البشرية حتى تكون قراءته بدون الالتفات إلى معانيه عبثاً، فإذا وقعت عين الإنسان في منزله على بعض آيات القرآن، وبعد خروجه من منزله صادف منظراً محرماً وغض بصره عنه، فليعلم بأن اجتنابه هذا إنما كان من بركات رؤيته للقرآن.

القرآن الكريم كتاب لا يحق للإنسان مباشرته إذا لم يكن متطهراً حتى على نحو التقبيل فهو إذن ليس كسائر الكتب. وقد أمرنا أولاً بتدبر معانيه والتعرف على مضامينه وإن لم يتيسر ذلك فلا أقل من تلاوته وقراءته فلا ينبغي إهماله رأساً.

وثانياً بالاستماع إليه عند تلاوته **﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾** الأعراف: ٢٠٤ وثالثاً بالتدبر فيه حيث يقول **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾** محمد: ٢٤ والمراد أن الذي لا يتدبر القرآن مقفل القلب، وقفل القلب ليس كسائر الأقفال العادية المألوفة لنا، وإنما قفله الذنب والمعصية، ومن هذه حالة لا يوفق لدرك محتوياته، يقول تعالى في موضع آخر **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾** القمر: ١٧ **﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** المزمل: ٥ هو ثقيل لكنه في نفس الوقت سهل سلس لأنه

يتلاءم مع فطرة الإنسان، والخلاصة إن ما يأمر به القرآن بهذا الصدد هو .

١ ـ قراءة القرآن .

٢ ـ الاستماع إلى تلاوته .

٣ ـ التدبر في آياته .

٤ ـ العلم بكون كلام القرآن ثقيلاً وزيناً، وبما أنه منسجم مع فطرة البشر فهو سهل، ولذا يشكو النبي ﷺ قومه إلى الله قائلاً **﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾** .

وعليه فإذا أراد الإنسان أن يتخذ صديقاً لنفسه، فسبيل ذلك هو الارتباط بالنبي ﷺ ، وفي غير هذه الحالة إذا ارتبط بأشخاص أو أمور باطلة فإن بانتظاره مستقبلاً مظلماً كما لاحظنا ذلك في سورة الفرقان .

وأما إذا أراد الإنسان أن يرتبط بالأموال الفانية فإن نتيجة هذا الفعل نقرأه في سورة الكهف، فإنها تنقل لنا قصة ثابتة في الجاهلية القديمة والحديثة حيث تقول **﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً * فجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾**[1] هذه خلاصة كلام هذا الشخص الظالم لنفسه والذي كان صاحب نظرة مادية أما صاحبه الذي هو الطرف الآخر في هذه القصة فقد قال له **﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾** .

العجب منك كيف تقول ذلك ألم تكن قبضة من تراب ثم تحولت إلى نطفة، ثم تصورت بصورة إنسان مستقيم القامة ثم إنك عائد إلى قبضة من تراب، والذي لا يموت هو الروح والنفس، ويوم القيامة يصل الله تلك

---

(١) الكهف ٣٢ ـ ٣٦ إلى تمام القصة .

الأرواح بأبدانها ويحييها، وأنت تكفر بالإله الذي خلقك بهذا الشكل، أما جواب الرجل الإلهي لذلك الرجل المتمكن مادياً فهو **﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾** فإني أَكِل أموري إلى الله واستمد منه العون، وأما أنت **﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾** فهذه كانت وظيفتك التي كان عليك إنجازها، لا أن تدخل فخوراً زاهياً.

وأما جوابك فهو **﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً * فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾** سواء كان علماً أو كمالاً معنوياً أو عدالة أو أخلاق أو أي شيء آخر وإن أراد فيمكن أن يرزقني من النعم الظاهرة والباطنة **﴿واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة﴾** لقمان: ٢٠ فعلى هذا يمكن أن يكون مستقبلي جيداً، كما أنه يمكن أن يؤول أمرك إلى الزوال وجمعك إلى الشتات **﴿ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً﴾** والحسبان السماوي الأفات والبلايا السماوية **﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾** فما الذي يمكنك عمله حينئذ.

إن القرآن الكريم ينسب القصص والتحركات المحتوية على الكمال إلى الله تعالى يقول هذا الماء الذي هو في متناول اليد فعلاً إن غار في الأرض بضع كيلو مترات ولم تكن الوسائل موفرة لإخراجه، الا يؤول أمر هذه الزروع والنبات الخضراء البهيجة إلى الذبول واليبوسة والموت، فما كنتم فاعلين حينئذ.

وهذا المضمون قد ورد بعينه في موطن آخر من القرآن حيث يقول **﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾** الملك: ٣٠ الماء المعين هو الذي يكون في متناول اليد، هكذا يقول هذا الإنسان الموحد لذلك الرجل الضال المغرور، يقول أيها الصديق لعل هذه العيون والآبار تجف وقتاً ما، فعلى أي شيء تعتمد في زعمك بأن هذا البستان باق، بماذا تعلق قلبك وبأي شيء صرت مرتبطاً، ببستان يمكن أن تضربه اليبوسة ويموت **﴿أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً﴾** وحينئذ يقع هذا الحادث الذي يحذره منه **﴿وأحيط بثمره﴾**.

وبعد مدة أحاطت آفة سماوية وبلية أرضية بهذا البستان وثمره ويبس هذا البستان وانتهى ذلك المحبوب الذي كان صاحبه يزعم له الدوام والبقاء **﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾** .

إذا تعلق قلب الإنسان بالشخصيات الباطنة فلينتظر يوماً يعض فيه على كلتا يديه وإذا تعلقت محبته بالأشياء الباطلة فلينتظر يوماً يقلب فيه كفيه تأسفاً وندامة على عمله وذلك عندما يزول ذلك البستان العامر ويصير خراباً وعندها يقول **﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾** والإنسان المشرك ليس له مأوى يأوي إليه عند الشدائد ويعتمد عليه **﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً﴾** فليس له من ينصره من ناحية كما أنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه من ناحية أخرى **﴿هناك الولاية لله الحق﴾** في يوم القيامة يتضح جيداً أن الولي والمدبر لهذا النظام هو الله تعالى، وهذا الشخص قد تعلق بهذه المزرعة وذلك البستان الذي يزول بأدنى آفة من عالم الوجود أو الذي يذبل ويموت فيما لو صار ماؤه غوراً **﴿هو خير ثواباً وخير عقباً﴾** الكهف من الآية ٣٢ ـ ٤٤ الله الذي يكون خير الثواب لقاءه وخير العواقب مقابلته، قلب الإنسان هو المحل الوحيد لمحبة الله ويتجسم هذا الحب باتباع تعاليم محبوبه النبي الأكرم ﷺ وسلم حيث يقول **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** آل عمران: ٣١.

خلاصة الدرس الخامس

١ ـ الناس الذين يتعلقون بالمحبوب الزائل الفاني بالإضافة إلى أنه لا يعود عليهم هذا الحب بشيء من النفع فإنه يكون منشأ لأذيتهم وتضررهم.

٢ ـ في ساحة القيامة يندم الإنسان من مصاحبته للأفراد المنحرفين

ويعض يديه على ذلك ندامة.

٣ ـ في المجتمع الذي يكون ذكرُ الحق فيه حياً مع إمكان التوصل إليه، إذا انصرف الإنسان فيه عن ذكر الحق متعمداً فإن بانتظاره مستقبلاً مظلماً غامضاً.

٤ ـ إن عزة الإنسان الأصيلة وأبهته الحقيقية تحصل في ظل الإيمان بالله والارتباط به والعمل الصالح، وإن كان يريد العزة عن طريق الباطل والذنب والشهوة فسوف لن يصل إليها، بل يصير ذليلاً، لأن الشيطان يسعى إلى جعله خاضعاً ذليلاً.

٥ ـ الرابطة الوحيدة بين الإنسان وربه، كتابه السماوي لأنه يحتوي على جميع كليات الأحكام الإلهية ولذا يجب أولاً تلاوته وثانياً الاستماع إليه، وثالثاً التدبر في معانيه، ورابعاً العلم بأن كلام القرآن ثقيلاً ووزيناً وهو ملائم لفطرة الإنسان، كما أنه هو والعترة الطاهرة متوافقان متلائمان.

٦ ـ في الأنظمة الباطلة يعتبر معيار افتخار الإنسان كثرة المال والعشيرة وبساتينه ومزارعه، بزعم أنها باقية وليست زائلة ولكن ستتضح الحقيقة يوماً ما بأن هذه الأمور كلها آيلة إلى الزوال، وسوف لن تجر للإنسان نفعاً وسوف لن يكون له من ينصره ويعينه.

وأما في الأنظمة الحقة فإن افتخار الإنسان يكون بعلمه وكماله ومعنوياته وخلقه وحبه لأولياء الله، لأنها هي التي تنفعه يوم القيامة، فإنه هناك تعلم حقيقة الأمر، فإن الله هو ولي نظام الوجود ومدبره.

٧ ـ سوف نتعرض في البحث القادم لبيان طريق خلاص الإنسان، ووصوله إلى الحياة الطيبة، وتحليه بالنورانية.

الدرس السادس

بعد بيان أن تنور الإنسان يتم عن طريق القرآن الكريم واتباع تعاليمه، وإن الوصول إلى الحياة الطيبة يكون من خلال الإيمان والعمل الصالح، تصل النوبة إلى البحث عن خلاص الإنسان وتحرره، والعوامل الموجبة لذلك، التي من أهمها تذكّر يوم القيامة وعالم ما بعد الموت.

دور تذكر يوم القيامة في خلاص الإنسان

من أهم العوامل وأكثرها تأثيراً في خلاص الإنسان، الالتفات إلى الموت وإلى يوم القيامة، الشخص الذي يديم ذكر الموت، ولا يغفل عن يوم الحساب، سوف يكون زاهداً ناجياً، إذ أنه يكون مراقباً لكل أعماله وتحركاته، ومحيطاً بجميع ما يصدر عنه.

وبما أنه يرى أن الأعمال الصادرة منه يترتب عليها الثواب أو العقاب، فإنه سوف يحاول أن تكون أعماله مطابقة لما يأمر به الله تعالى، ويحرص على أن لا يتجاوز في شيء منها حدوده التي قررها الشارع له.

وهذا بخلاف الذي يغفل عن الموت وعن الحساب، فإنه يكون تابعاً في أعماله وسلوكه ومنقاداً إلى ما تمليه عليه الأهواء والشهوات، سواء كانت

حقة أم لم تكن، وسواء كانت موجبة لخسارته في المستقبل أم لا، القرآن الكريم يرى أن نسيان يوم القيامة، يهيىء أرضية الإنحراف والضلال عند الإنسان ويقرر أصلاً دينياً ثابتاً حيث يقول **﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾**[1] بما أن الله حق محض، فينبغي أن يكون خليفته حاكماً بالحق، والخليفة إنما يؤدي عمل المستخلِف، الذي حل هذا المستخلف مكانه، وحيث أن الله حق لا باطل فيه وعدل لا ظلم فيه، ينبغي أن يكون خليفته حاكماً بالحق والعدل ولذا يقول **﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾** والفاء هنا للتفريع أي بما أنا جعلناك خليفة فاحكم بالحق **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾** أي أن اتباع الهوى يهيىء الظروف المناسبة للضلال والإنحراف ومن كلمات أمير المؤمنين المعروفة في المقام قوله عليه السلام (إن أخوف ما أخاف عليكم إثنان اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة)[2] فإن صاحب الأمل الطويل يكون مستهلكاً في أمانيه وكيفية تحقيقها ولا يبقى في نفسه مجال لذكر الموت وما بعده، وبالتالي تبدأ عنده مسيرة الإنحراف.

يقول تعالى لنبيه داوود عليه السلام بعد قوله **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾** بسبب نسيانهم ليوم الحساب انحرفوا عن الطريق القويم، وبالتالي حكموا بالعذاب الأليم.

وهذا يدل على أن نسيان المعاد من عوامل انحراف الإنسان وابتلائه بالعذاب كما أن عدم الغفلة عنه موجب لاستقامته وعدم ابتلائه بالعذاب، وهذا واضح إذ أن نسيان المعاد، يجعل زمام الأمور في يد الهوى، بخلاف التوجه إليه وتذكره فإنه يجعل الأمور خاضعة للتعقل والتفكر.

ثم يتعرض القرآن الكريم لمناسبة المقام إلى ذكر المعاد في تكملة هذه

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٤٢.

السورة حيث يقول بأنه من غير الممكن أن لا يكون هناك عقاب وحساب ويوم جزاء، ويستدل على هذه الدعوى بدليلين الأول إن الله تعالى بما أنه حق، فلا يصدر عنه الباطل، وإذا فرض عدم وجود يوم يكون ختاماً لهذه الحياة الدنيوية، ولم يكن هناك كتاب تحفظ فيه أعمال العاملين فسيكون قهراً ـ هذا النظام الوجودي ـ باطلاً، إذ أن العالم الذي لا يتضح فيه الحق في النهاية، ولا يجازي الناس بأعمالهم فيه فإنه يكون باطلاً، مع أنه قد قلنا بأن الموجد لهذا النظام هو الله تعالى، وهو لا يصدر منه الباطل لكونه تعالى حق، فتعين أن يكون العمل الصادر منه حقاً، والحقانية موقوفة على المعاد فتعين ثبوت المعاد **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾** ص: ٢٧.

الحركة التي لا تصل إلى الغاية حركة باطلة، والسعي بلا هدف سعي باطل هذا النظام الوجودي إذا لم يكن مختوماً بالحساب فهو عبث، وبعبارة مقتضبة.

إن العالم في حالة السير والحركة، فإذا لم يصل إلى الهدف ويستقر عنده فهو باطل لأن الحركة إنما تكون للوصول إلى الغرض، والحصول على المقصود، وهذا العالم المتلاطم في حالة سير وحركة ليصل إلى هدفه ويستقر عنده، وفي الكلام المنقول عن أمير المؤمنين عليه السلام **﴿اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب بلا عمل﴾**[1] إذا لم يكن يوم القيامة كما ذكره القرآن حيث وصفه بكونه خاتما لهذه الحياة الدنيوية على أن يكون الهدف والغرض الذي يسعى العالم إلى الوصول إليه، فإن هذا العالم يكون باطلاً **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا﴾**[2] هذا النمط من التفكير مخصوص بالكافر حيث يرى الموت عبارة عن الفناء والانتهاء **﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾** هذه خلاصة الدليل الأول.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٤٢.
(٢) ص: ٢٧.

الدليل الثاني قوله تعالى: **﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾** ص: ٢٨ .وحاصله أنه على فرض عدم وجود يوم للجزاء فإن لازمه التساوي بين الإنسان الصالح والفاسد، لأن كلا من المؤمن والفاسد يؤول أمره بعد الموت إلى الزوال والفناء والانعدام، وإذا لم يعط الثواب على العمل الصالح ولم يقع العقاب على العمل الفاسد يتساوى الحسن والقبيح، وهذا مما لا يتصور صدوره من الحكيم العادل، فينتج من ذلك ضرورة وجود يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه ويؤاخذ فيه العاصي بذنوبه.

الآية الأولى تقرر مطلباً أخلاقياً وهو أن نسيان الموت والمعاد من دواعي فساد الإنسان وانحرافه، وذكرهما يؤثر ـ قهراً ـ في تهيئة ظروف الصلاح والنجاة.

إن الله تعالى يذكر مسألة ذكر الموت والمعاد بعنوان نعمة يفيضها على أفراد مخصوصين، إذ ليس كل مجتمع من المجتمعات مؤهل لأن يكون مورداً لحصول هذا الفيض، لأن ذلك فضيلة يُحتاج إليها في حفظ الدين، وينتج عنها الحركة والانبعاث نحو الهدف المقصود.

يقول تعالى مخاطباً نبيه الكريم **﴿واذكر عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾** ص: ٤٥ هؤلاء أصحاب أيدٍ وأبصار، يمتلكون هذين الأمرين ومن هنا يعلم أن اليد التي تنقبض وتنبسط لغير الله الحق ليست بيد، والعين التي لا ترى الحق ليست بعين، تلك أيدي إبراهيم الخليل على نبينا وآله وعليه السلام ـ التي يذكرها القرآن الكريم بعنوان اليد، حيث يقول بأن إبراهيم عليه السلام من أصحاب الأيدي، تلك الأيدي التي تحطم الأصنام، ولا تمتد نحو غير الحق، تلك الأيدي التي تمتد مرتفعة نحو الله تعالى في حالة الدعاء والمناجاة، وفي حالة الدفاع والجهاد تتحول إلى قبضة تهشم صدور الأعداء، تلك الأيدي التي تنبسط في حالة العاطفة والرقة لتقدم العون والمساعدة، هذه الأيدي هي التي يذكرها القرآن بعنوان اليد حيث

يقول بأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب من أصحاب الأيدي.

والقرآن الكريم كما يمدح أهل العقل والفهم حيث يعبر عنهم بأولي الألباب أي أصحاب لبّ وعقل وفهم، كذلك يمدح أهل العمل والبذل والجهد والإقدام حيث يصفهم لكونهم أصحاب الأيدي والأبصار، يرون بواسطة أعينهم، ويدافعون بأيديهم، بأعينهم يعرفون الصديق، وبأيديهم يقدمون له المعونة، بأعينهم التي تنفذ إلى باطن الأشياء وتدرك ما فيها يعرفون الصديق من العدو ويميزون بينهما وبأيديهم يدافعون عن الأول ويدفعون في صدر الثاني، يدركون بأعين قلوبهم إلى أي جهة ينبغي أن تمتد يد العون وإلى أي شخص من الناس، يقول النبي الأكرم ﷺ (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق)[1] النبي ﷺ هو الذي يأمر بوضع اليد بالتشبث بأذيال حجج الله تعالى حتى يكون الإنسان محفوظاً في هذه الدنيا المتلاطمة، وهذا المعنى هو الذي يشير إليه الشعر القائل (إذا أردت النجاة من الغرق عند هبوب العواصف يكفيك أن تتمسك (بيدك) بأذيال الرجال ولا عليك أن لا تفكر في الخلاص).

فهذا يكون يداً وذاك يكون عين، وهكذا يجتمع وجود الأيدي والأبصار والحاصل أن القرآن كما يمدح أهل العقل والفهم، كذلك يمدح أهل العمل والإقدام ويصفهم بأنهم أصحاب الأيدي والأبصار، ثم يقول في حق هؤلاء الأنبياء المذكورين ﴿**إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾ أي خصصنا هؤلاء العظام، وأنعمنا عليهم بنعمة خالصة وهي تذكر الموت والدار الآخرة.

عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو جيوشه وعساكره لحرب معاوية، كان بعض أصحابه يتذرعون بالبرد أيام الشتاء، وبالحر في أيام الصيف، فكان جوابه عليه السلام لهم بأنه إذ لم تستطيعوا تحمل حرارة الدنيا فكيف بكم بحرّ يوم القيامة.

---

(١) سفينة البحار ج١ ـ ٦٣٠.

ونظير هذا المضمون قوله تعالى **﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً﴾** التوبة: ٨١ الذي يغفل عن ذكر الموت وعن يوم الجزاء يبتلى بطول الأمل ويقول بأن الجو حار ولا ينبغي الذهاب إلى ميدان الجهاد، وأما الذاكر لمعاده فإن تحمل حرارة الدنيا أمر يسير بالنسبة له.

إن هذه النعمة التي أخلص الله بها أنبيائه المذكورين وهي ذكرى الدار، ليست بالسهلة التحصيل، وإنما تفاض من قبله تعالى على من يبذل الجهود ويتحمل المشاق ويكون لذكر الله تعالى محلاً في قلبه، وحينئذ تنحل جميع مشاكله وأموره والإنسان الذي لم يصل إلى هذا المستوى فإنه يشعر بالمشاق والمصاعب، فإذا طوى بعض الطرق الصعبة يستولي عليه التعب، وإلا فإن تذكر المعاد يهون كل الأمور ويسهل كل الأوضاع أمام الإنسان.

وفي سورة الأنعام دليل آخر بكيفية أخرى يدل على مسألة المعاد، وذلك حيث يقول **﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه﴾** الأنعام: ١٢ فيذكر يوم القيامة على أنه من موارد تجلي رحمة الله وظهورها ويصفه بعدم قبوله للريب، فهو يأبى الريب في أصل وقوعه وتحققه، كما يأبى حصول الريب وحدوثه في ظرف الوجود فيه، وإنما جعل يوم القيامة مظهراً من مظاهر رحمته لأنه لا بد لله الرحيم أن يوصل كل موجود إلى كماله، وكمال الإنسان أن يصل إلى جزاء عمله ويرى نتيجة سعيه، حينئذ يصل هذا النظام الأحسن إلى كماله.

كمال الإنسان في ذلك العالم أن يصل إلى لقاء الله تعالى، ويحصل على جزاء إحسانه وبشارات الله له، على أن يكون هذا العالم ميدان امتحان وساحة اختبار له وتتمة الآية المستدل بها في المقام قوله تعالى: **﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾** هؤلاء الذين هم خاسرون ومأسورون لأهوائهم لا يؤمنون بيوم القيامة وغاية سعيهم وجهدهم أن يسيروا خلف الأهواء، ويميلوا نحو المشتهيات لإرواء ذلك العطش الكاذب الذي يشعرون به، ولذا لا يتورعون عن فعل أي شيء يحقق لهم هذا الغرض، ولكنهم مع

ذلك يشعرون بأن النفس لم تهدأ والغرض لم يتحقق وهذا العطش لم يرتفع لأن النفس لا تهدأ بهذه المسائل، ولا تسكن إلى هذه الأشياء ولا تطمئن بها.

ثلاثة أدلة على ضرورة المعاد

إلى هنا تعرضنا إلى ثلاثة أدلة على ضرورة ثبوت المعاد.

الأول إن الله حق، ولا يصدر منه إلا الحق، والعالم الموجود إن كان لغواً فهو باطل وهو لا يصدر من الله، فلا بد أن يكون هذا العالم سائر نحو هدف يستقر عنده وهو عالم البعث والقيامة.

الثاني إن الله تعالى عادل وحكيم فلا يصدر منه ما ينافي العدل والحكمة والتسوية بين الصالح والفاسد ظلم وعلى خلاف الحكمة فهما لا يصدران منه بمقتضى عدله وحكمته، ولكي ينال كل من الفاسد والصالح جزاء سعيه لا بد من وجود يوم يتميز به الأول عن الثاني كما يقول تعالى ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ يس: ٥٩ في الحياة الدنيا يعيش المجرم إلى جنب التقي، وليس هناك إطلاع على بواطن الأشخاص، كلهم يعيشون في مجتمع واحد، وفي حد واحد فلا المسيء ينال عقوبة إساءته ولا المحسن يثاب على إحسانه، فلا بد من وجود يوم يكون صف الصالحين فيه منفصلاً ومتميزاً عن صف الفاسدين، وهو يوم القيامة.

الدليل الثالث: بما أن الله رحيم، ومقتضى الرحمة إيصال البشر إلى كمالهم، لا بد من وجود يوم يرى الإنسان فيه حصيلة عمله، ونتيجة سعيه، ويصل إلى كماله، لا بد لكل إنسان أن يرى هناك عاقبة أفعاله ولهذا يقول تعالى ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضراً**﴾[1] عندما يطلع الإنسان على هذه الأدلة القرآنية والتي هي عقلية أيضاً ويعلم بأن الموت حق والقيامة حق، فسوف

---

(١) الكهف: ٤٩.

يكون على ذكر دائم لهما فإذا كان على ذكر من ذلك، يخفف كثيرا من أهوائه وآماله وطموحاته وأمانيه ويصير خفيفاً وحينئذ يصل سريعاً إلى مقصده.

روي عن النبي ﷺ أنه قال (نجى المخففون) ونظيره عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول (تخففوا تلحقوا)[1] يقول الشاعر حافظ الشيرازي - ما معناه.

(الليل مظلم والخوف من الأمواج والأهوال ودوامات البحر حائل. كيف يمكن أن يعرف حالنا أولئك المخففون الذي هم على السواحل).

المقصود هو المتخفف ذو الحمل الخفيف الذي عبر البحر ووصل إلى الطرف الآخر من الساحل. فإن الإنسان قد لا تطأ قدمه البحر ويكون في هذا القسم من الساحل وهذا لم يجتاز البحر، وتارة يكون هناك صاحب حمل خفيف وقد اجتاز هذه الأمواج والأهوال والدوامات ووصل إلى ذلك الطرف من الساحل، وهذا هو المهم وذو الحمل الخفيف المهم هو الذي يكون قد اجتاز بحر الطبيعة المتلاطم يقول أمير المؤمنين عليه السلام (تخففوا تلحقوا) وهذا أفضل طريق. فإن الذي يدافع عن الدين ويسعى في حفظه إلى حدود الشهادة، ويطير ويحلق كالملائكة، فإنه لهذا يكون متخففاً، وأما الذي لا يكون مستعدا للتضحية والدفاع عن الدين فهو مثقل ذو حمل ثقيل وليس متخففاً، والقرآن الكريم يبين ثقل وتثاقل الضالين بهذا النحو **﴿ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض﴾** كأن الأرض مربوطة بأقدامكم وتريدون أن ترفعوا الأرض، تريدون أن تطولوا حياتكم المحدودة، كان أقدامكم غرست في الأرض، والحركة والمشي عسير عليكم.

خلاصة الدرس السادس

١ - من إحدى أهم العوامل المؤثرة في نجاة الإنسان وسعادته تذكر

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢١.

الموت ويوم القيامة، والإنسان الذاكر لذلك يكون مراقباً لكل أعماله إذ أنه يعلم بأنه أما مثاب أو معاقب عليها، ولذا يحرص على أن تكون أعماله موافقة لرضا الله.

٢ ـ يرى القرآن الكريم بأن نسيان يوم القيامة يهيىء ظرفية الضلال والإنحراف للإنسان لأن هذا الإنسان الغافل يكون منقاداً لأهوائه وميوله في أعماله وسلوكه ولذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام أخاف عليكم إثنان ١ ـ اتباع الهوى ٢ ـ طول الأمل.

٣ ـ وقوع يوم القيامة وتحققه من البديهات، ولا ترديد فيه، والقرآن الكريم يستدل على ذلك بأدلة مختلفة وقد تقدم منها معنا أدلة ثلاثة وخلاصتها:

أ ـ إن الله حق، وما كان كذلك لا يصدر منه الباطل، وهذا العالم متحرك والمتحرك له هدف وليس باطلاً، لأن حركته للوصول إلى غرضه ومقصده وإنما يستقر ويسكن لدى وصوله إليه. ولذا فإن المؤمن لا يرى هذا العالم باطلاً وبلا هدف بخلاف الكافر الذي يرى الموت فناءً وانتهاء ولا يعتقد بوجود معاد، وطبقاً لهذا الدليل يكون ذكر الموت والمعاد باعثاً على الصلاح ومورثاً للنجاة والحركة ونسيانه موجباً للضلال والخسران.

ب ـ إن الله حكيم وعادل، ومن هو كذلك لا يصدر منه ما ينافي العدل والحكمة وعليه فلو لم يكن هناك يوم ينال فيه كل من الصالح والطالح جزاءه، فإن لازمه التسوية بينهما وهي ظلم ومخالفة للحكمة، واللازم باطل فالملزوم مثله، وإذا ثبت بطلان عدم وجود ذلك اليوم ثبت نقيضه وهو وجود ذلك اليوم لامتناع ارتفاع النقيضين، وهو عين المطلوب.

ج ـ إن الله تعالى رحيم ورحمن، ومقتضى الرحمة إيصال الإنسان إلى كماله فلا بد من وجود يوم يرى الإنسان فيه سعيه ويصل إلى نتيجته.

٤ ـ إن الله تعالى يصف أنبيائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام لنبينا صلى الله عليه وآله بأنهم أولوا الأيدي والأبصار، وبما أن هذه الأيدي والأبصار إنما تنبسط

وتنقبض من أجل الحق، فإنها أهل لأن تكون أيدٍ وأبصار، وعليه فالعضو الذي لا يؤدي الوظيفة المطلوبة فهو في منزلة العدم.

٥ ـ القرآن الكريم يمدح كلا من أهل العلم والفهم وأهل العمل والبذل والعطاء.

٦ ـ أهل البيت عليهم السلام كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى.

٧ ـ من النعم الخاصة التي يفيضها الله على أنبيائه وخاصة عباده هي ذكرى الدار.

٨ ـ يقول أمير المؤمنين عليه السلام مؤنباً لبعض أصحابه ما معناه: إذا لم تتحملوا حرارة هذا الطقس، كيف تتحملون حرارة يوم القيامة. مع أن جهنم أشد حراً. والإنسان الذاكر لمعاده يسهل عليه تحمل حرارة الدنيا.

٩ ـ يوم القيامة آبٍ عن الشك من حيث أصل وقوعه، ومن حيث حصول الشك في ظرفه.

١٠ ـ الناس المأسورون لأهوائهم لا يؤمنون بالآخرة لأن سعيهم وجهودهم على مقتضى الأهواء والنزوات، وهم خاسرون إذ قضّوا أعمارهم في هذه الميولات.

١١ ـ يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام المتخفف ناج. لأن الإنسان الخفيف يسهل عليه أن يقطع بحر الدنيا المتلاطم حتى يلحق بأحبابه وأصحابه، ولذا فهم مستعدون للمشاركة في الجهاد في سبيل الله، وأما الفاسقين فلأنهم متثاقلين إلى الأرض حتى كأن أقدامهم مقيدة بها فإنهم يمتنعون عن أي فداء وتضحية وجهاد.

سوف نتعرض في البحث القادم إلى تتمة الكلام عن دور تذكر الموت والمفاد في صلاح الإنسان ونجاته.

الدرس السابع

دور تذكر المعاد في الجهاد

الهدف من بعثة الأنبياء

يذكر القرآن الكريم ـ بعد بيان الهدف والغرض من بعثة الأنبياء ـ إن السبب في إرسال الرسل إخراج الناس من الظلمات، وإيصالهم إلى النور.

ويذكر لنا طريقاً من شأنه الايصال إلى هذا الغرض وتحقيقه، ولنرى الآن ما هي العوامل التي لها الدور في تحقيق هذا الغرض فهل يتحقق بإعمال القوة وممارسة الضغط وبصلابة الحديد؟ للإجابة عن هذا التساؤل لا بد من إلقاء النظر على الآية الكريمة التي تتعرض إلى الهدف من بعثة الأنبياء، كما أنها تشير إلى قدرة الحديد وهي **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾**. الحديد: ٢٥.

العامل في تحقق هدف الأنبياء

والآية الكريمة تعني أن قيام الناس بالقسط والعدل يكون بواسطة البينات والميزان، والحديد إنما هو للمحافظة على الكتاب الإلهي لا لتحصيل المقصد وتحقيق الغرض، أما العامل الباعث على تحقيق هذا الغرض وحصوله فهو ذكر المبدأ الأول وتذكر المعاد ويوم الحساب يعني أن الإنسان إذا أذعن بوجود موجود أزلي أبدي خالد، واعتقد بأن عقائده وأخلاقه وأعماله كلها موجودة محفوظة باقية، وأنها مرتبطة بشخصه ومصيره ولا ربط لها بالآخرين، وشعر بأنها سوف تظهر في يوم من الأيام، وأنه مطالب ومؤاخذ بالفاسد والباطل منها، حينئذٍ يحصل هدف الأنبياء على الشكل الأكمل وبالنحو الأفضل، بمعنى أن المحقق له هو تذكر المعاد، كما أن نسيانه موجب للضلال والفساد.

دور تذكر المعاد في الجهاد

إن المعاد ويوم القيامة بمثابة البيت المحتوي على أنواع الأدوية التي يحتاج إليها الإنسان في حياته، وقد تبين لنا مما تقدم دوره في تحصيل الفضائل الأخلاقية، وإجراء الأحكام الإلهية، وسنتعرض هنا إلى نموذج آخر يبرز من خلاله الدور الذي يؤثره تذكر المعاد في الجهاد، إضافة لما تقدم بيانه آنفاً في قوله تعالى **﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً﴾**، وهو قوله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾**[1] ومما ينبغي ملاحظته في المقام، ما أفاده العلامة الطباطبائي قده من أن البيع والشراء أن تعلقا بأمر مهم له خطر، يُحرَص فيه على مراعاة أمور ستة. الأول

---

(١) التوبة: ١١١.

تعيين المشتري، الثاني تعيين البائع، الثالث تعيين المبيع، الرابع تعيين الثمن، الخامس إشهاد الشهود الصادقين العادلين ذوي الشهادة المعتبرة، السادس تنظيم السند الكافي لهذه المعاملة.

وقد روي في هذا البيع المذكور في الآية الكريمة كل هذه الأمور أما لأول وهو تعيين المشتري ففي قوله تعالى **﴿إن الله اشترى﴾** والثاني وهو البائع ففي قوله **﴿من المؤمنين﴾** وهو خصوص المؤمن أما غيره فلا يشترى منه شيء ولذا يقول في مورد آخر ما حاصله أنفقوا أو لا تنفقوا فإنه غير مقبول منكم وفي نفس هذه السورة على الظاهر يقول، إن الله عز وجل لا يقبل منكم لأنكم إنما تبيعون الشهرة والسمعة أي تعملون لأجلهما، والمشتري لهذه البضاعة الفاسدة هو أنتم أنفسكم، فلذا لا يشترى شيء من غير المؤمن، وهكذا يتحدد الأمر الثاني والثالث هو البضاعة التي تقع المعاملة عليها وهي **﴿أنفسهم وأموالهم﴾** وإذا باع المؤمن هذين الأمرين لله تعالى، فإنه حينئذ لا يكون مالكاً لا لنفسه ولا لماله وإنما المالك لهما هو الله تعالى، ولذا فعليه أن لا يقصر في بذل كل من ماله ونفسه، ولا يحق له الامتناع عن ذلك الرابع وهو تعيين الثمن وهو **﴿بأن لهم الجنة﴾** فثمن نفس المؤمن وماله هو الجنة فإن باعهما بما دون ذلك كان مغبوناً وخاسراً، وحينئذ وبعد تمامية هذا البيع ينتقل الملك إلى المالك وهو الله تعالى، وعليه فلا يحق للإنسان التصرف بهما لكونهما ملكاً للغير إلا بإجازته وفي الموارد التي يرتضيها، وقد أمر ببذلهما في ميدان الجهاد حيث قال **﴿يقاتلون في سبيل الله﴾** فيتعين عليه امتثال ذلك وبذلهما لأنه قد باعهما في إزاء الحصول على الجنة، وهكذا نلاحظ مدى تأثير الدار الآخرة في الجهاد في سبيل الله وإن لم يبذلهما الإنسان في هذا المورد المقرر كان غاصباً ومعتدياً فحياته حياة مغصوبة وعيشه مغصوب وسائر تقلباته الحياتية غصبية، لأنه متصرف في مال الغير بلا رضاه **﴿فيقتلون ويقتلون﴾** وقد قدم يقتلون على يقتلون، والإنسان لا يذهب

إلى ميدان القتال ليكون مقتولاً على نحو الحتم، إذ أن الإنسان الذي يقتل وينتصر لا يكون ثوابه أقل من ثواب الشهيد. والحاصل أن المشتري هو الله، والبائع هو المؤمن والمبيع هو النفس والمال، والثمن هو الجنة.

الخامس الشهود ﴿**وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن**﴾ فموسى عليه السلام شاهد على هذه المعاملة، وعيسى عليه السلام شاهد عليها، ومحمد ﷺ أيضاً شاهد عليها، الأنبياء العظام شاهدون على هذه المعاملة.

السادس السند والمدرك الذي تُثبت فيه هذه المعاملة فهو الآية ١١١ من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين...**﴾ الخ.

حقيقة المسيحية في نظر القرآن

وبملاحظة هذه الآية المتقدمة يعلم أن ما هو ذائع وشائع من أن الدين المسيحي هو دين السلام، مخالف للقرآن، إن هؤلاء أرادوا أن يعرضوا للناس مسيحية محصورة في حدود زوايا الكنيسة وجدرانها فحسب، ولكن القرآن يؤكد أن هذه الحقيقة المشار إليها هي رسالة جميع الأنبياء فضرورة مقاومة الظلم واردة في التوراة والإنجيل والقرآن علي حد سواء، وكذلك مسألة بيع النفس والمال لله تعالى، لا أن على موسى عليه السلام أن يقوم وينهض لمحاربة الباطل بينما تكون وظيفة المسيح هي الإنزواء والانعزال، الأمر ليس كذلك بل المسيح أيضاً يتبنى هذا المطلب ويدعو إليه.

وظيفة المبايعين لله

والدليل الآخر على كون عيسى عليه السلام متبنياً لهذه المقولة أيضاً وحاملاً لها قوله تعالى بعد بيان الخطوط الكلية والملامح العامة لجهاد موسى عليه السلام ﴿**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه**﴾ المائدة: ٤٦ وهذا يدل على تصديق المسيح عليه السلام لكل ما جاء به موسى عليه السلام لأن الطريق

والصراط واحد، وليس هناك طريقان، فالطريق الذي سار عليه موسى عليه السلام هو نفسه الطريق الذي يسير عليه عيسى عليه السلام وهو نفسه الذي يسير عليه الأنبياء الآخرون، فدين عيسى عليه السلام ليس دين الإنزواء والمسالمة ثم يقول تعالى بعد بيان هذه المعاملة **﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾** فليس هناك من هو أوفى منه بالوفاء بالعهد، وبعد ذلك يهنيء المؤمنين ويبارك لهم أقدامهم على تلك المعاملة وحصولهم على الجنة ثمناً لما دفعوه **﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** وما يتعارف من تقديم التهاني والتبريكات في بعض مناسبات الشهادة ومراسمها مأخوذ من هذا المضمون.

ومما يجدر التنبيه عليه هو أن تأثير المعاد ليس منحصراً في خصوص مسائل الحرب والقتل والموت، بل هو جار في كل الأبعاد الدينية.

ثم إن الآية التالية لتلك الآية المتقدمة تبين أن على أولئك المبايعين وظائف ثلاث ١ ـ تطهير نفوسهم. ٢ ـ إصلاح الآخرين ٣ ـ الحفاظ على حدود الله وقوانينه.

فكما يجب عليهم أن يكونوا طاهرين كذلك فإن دعوة الآخرين إلى الطهارة والتطهير والدفاع عن قوانين الله من وظائفهم أيضاً، وهذه علامة الإيمان.

إن الله قد اشترى من المؤمنين وهم الواجدون لهذه الخصائص **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون﴾** والتوبة هي الرجوع إلى الله والحمد هو الشكر وهو قلبي بأن يعتقد الإنسان في قلبه إن كل نعمة في الوجود إنما هي من الله تعالى، وعملي وهو أن يضع هذه النعم في المواضع المقررة لها دون أن يتجاوز في شيء منها، ولساني وهو أن يفصح عما في قلبه من الامتنان لله، وعن أن كل نعمة تصل إليه هي من الله والسائحون أهل السياحة والحركة والسير، يحيون الليل، سياحتهم في أحياء الليل يجولون ويتأملون في هذا الوجود وأطواره، ويتفكرون في آيات الله، وينظرون إلى آثاره، ويعتبرون من ذلك.

الراكعون الساجدون، فهم علاوة على كونهم من أهل الصلاة هم من أهل الركوع والسجود وهما مرغوبان عندهم من دواعي التذاذهم.

العلاقة بين عظمة الله، والتواضع

كلما تنزل الإنسان وتدانى فإنه يجد المبدأ أعلى وارفع ففي حالة الركوع يشعر بعظمة الله في قلبه ـ سبحان ربي العظيم وبحمده ـ وعندما يخر ساجداً على الأرض يصف الله تعالى بالإعلائية ـ سبحان ربي الأعلى وبحمده ـ كما أنه في حال تنزله يرتفع كثير من غروره وإعجابه بنفسه ويزداد إحساسه بعظمة الله تعالى.

ففي الأمور المحسوسة إذ كان الإنسان واقفاً بإزاء عمارة مثلاً فإنه يراها بارتفاع معين، أما لو كان واقفاً في موقف أسفل من موقفه كما لو نظر إليها من سرداب أو ملجأ ونحوها، فإنه سوف يراها أكثر علواً من الحالة الأولى، فكلما تنزل كان الارتفاع محسوساً له بشكل أوضح، وكلما كان غرور الإنسان وزهوه أقل كان أكثر إحساساً بعظمة الله.

ففي دعاء عرفة نجد أن الإمام زين العابدين هو الذي يقول (أنا أقل الآقلين وأذل الأذلين مثقال الذرة وأدنها) فكلما رأى الإنسان نفسه صغيراً، كان أكثر إحساساً بعظمة الله تعالى. فهذا ركوعهم وهذا سجودهم.

فإذا صاروا أهل توبة وعبادة وحمد، أهل سياحة وسير وإحياء الليل والتأمل في الآفاق، أهل ركوع وسجود، وبعبارة أخرى كملوا أنفسهم من هذه الجهات فصاروا كاملين حينئذ يجب عليهم العكوف على تربية وتكميل الآخرين ﴿**الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر**﴾ وليس ذلك في حدود الوعظ والإرشاد فحسب، بل لا بد من الأمر بالفضيلة والوقوف مانعاً في وجه الرذيلة والسعي لعدم حصولها وتحققها خارجاً، فإذ كانوا فارغين من أنفسهم وهذبوا الآخرين وكملوهم فإنهم يسعون حينئذ للمحافظة على حدود الله

﴿والحافظون لحدود الله﴾ وفي ختام المطلب يقول **﴿وبشر المؤمنين﴾** التوبة: ١١٢. وهذا الذيل مربوط بالصدر الذي يقول: بأن الله إنما يشتري من المؤمن، ولا يشتري شيئاً من سوق غيره (إنما الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون)[١] ففي الآية يقول بأن المؤمنين هم هؤلاء الذين باعوا بضاعتهم لله، والله صار مشتر لها، وواضح بأن شراء النفس والمال لا يعني أن يقتل الإنسان حتماً أو أن ينفق أموالاً طائلة، بل بمعنى أن كل ما يعرض على نفس الإنسان من المؤذيات وما يؤلمه، فالله تعالى يشتري ذلك منه، وكذلك كل ضرر يعرض عليه في ماله قليلاً أو كثيراً فالله تعالى يشتري من المؤمن على نحو الجملة وعلى نحو التفريق والتبعيض وليس الأمر دائراً بين أن يشتريه كله جملة، أو أن يدعه كله جملة، بل يمكن أن يشتري منه على نحو التبعيض أيضاً، فالأمر ليس موقوفاً على قتله لكي يشتريه، بمعنى أنه إن لم يقتل مثلاً أو إن شغل نفسه وقتاً ما في أمر، أو عرض عليه ضرر ما، لا يشتري الله منه ذلك، لا الأمر ليس كذلك. فإن الله تعالى يشتري الكثير والقليل يقول تعالى في هذه السورة **﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾** التوبة: ١٢٠.

والمستفاد من هذه الآية أمران الأول أنه لا حق لهؤلاء المذكورين في التخلف عن رسول الله ﷺ في حروبه وغزواته. والثاني أنه لا حق لهم في أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه في مواطن الخطر بأن يسعوا للحفاظ على نفوسهم، ويدعون الحفاظ عليه ﷺ والسبب في أنه لا يحق لهم ذلك هو **﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله﴾** وهذا استدلال على النهيين المذكورين حيث قال بأنه لا حق لهم في التخلف عن النبي ولا في الرغبة بأنفسهم عنه. وحاصله بانه لا يصيبهم عطش ولا تعب ولا جوع ـ على أن يكون كل ذلك في سبيل الله ـ هذا ما يتعلق بالمصاعب التي يواجهونها.

---

(١) تحف العقول: ٤٨٣.

العمل الصالح

وأما ما يتعلق بالانتصارات التي يحققونها **﴿ولا يطأون موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾** والحاصل أنه لا يصيبهم نوع من أنواع التأذي ولا يحققون نصراً أو يحوزون غنيمة إلا كان ذلك مكتوباً مثبتاً عند الله بعنوان عمل صالح، وفي هذه الآية الكريمة ذكر ثلاث مشاكل من مشكلات الحرب الجوع والتعب والعطش، ورمزين من رموز النصر، ولا يطأون موطئاً، ولا ينالون. . الخ.

فكما أن الإنسان الذي يصاب بماله في ميدان الجهاد يكتب له به عمل صالح ويثاب عليه كذلك الذي يحصل غنيمة من العدو فإنه بغنمته هذه مثاب أيضاً ويعد عمله عملاً صالحاً إذ أن الحصول على الثواب ليس موقفاً على تضرر المجاهد في سبيل الله في نفسه أو في ماله بل يمكن أن يذهب إلى الميدان ويسفك الدماء ويحصل على الغنائم ويكون مثاباً على ذلك ويكون عمله صالحاً.

وعلى هذا فلو فرضنا شخصين ذهب كل منهما إلى ميدان المعركة واستشهد أحدهما والثاني قاتل وقتل ورجع فليس من المعلوم أن يكون ثواب الأول أعظم من ثواب الثاني إلا اللهم من جهة اختلاف النية والدافع.

ومن هنا يتضح دور المعاد حتى في ميادين القتال، فإنه غير منحصر باحياء الليالي، وليس أنه لا يصنع من الإنسان إنساناً منعزلاً فحسب بل إنما يكون هو الذي يُعدّ له البرنامج الذي ينبغي له أن يمشي عليه من معركة وجهاد وشهادة وسفك دماء.

دور الفقهاء في التذكير بالمعاد

أما مسألة المال لأن مورد البحث كان النفس والمال **﴿ولا ينفقون نفقة**

صغيرة ولا كبيرة﴾ قل أم كثر شريطة أن يكون خالصاً لوجه الله ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ ذهاباً ومجيئاً ﴿إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ وعندئذ يقول بأنه لا يحق لجميع المؤمنين أن يذهبوا إلى ميادين القتال بل يجب على بعضهم تعلم أحكام الدين لأن القيام والجهاد إن كان مبني على أسس دينية فلا بد من الإحاطة بأحكام هذا الدين، فلو ذهب الجميع إلى أماكن التعليم لكانت ميادين الجهاد خالية وكذا العكس، فقسم منهم مسؤول عن حماية الحدود وسدّ الثغور وعلى الآخر بث العلم ونشر الأحكام، وكما أن على هؤلاء التعمق في تعاليم الشرع والإحاطة بها، ليوصلوها إلى أولئك، كذلك على أولئك حماية الأطراف والحفاظ عليها.

يقول تعالى لا بد من توزيع الجهود، وتقسيم المساعي ﴿وما كان المؤمنون لِيَنفَرُوا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ والنفر هو الرحيل والتحرك والذهاب ففريق يجب عليه الحفاظ على الحدود والثغور، والآخر عليه التفقه ونشر تعاليم الدين ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ حتى يخافون من المعاد. وهكذا نلاحظ وجود ذكر المعاد في بداية الحرب ونهايتها وامتدادها وأثره في ذلك، ميادين القتال يحفظها تذكر المعاد والغافل عن هذا الأمر ليس من أهل الجهاد.

إذ كانت مسألة التوبة والعبادة والركوع والسجود وإحياء الليالي مطروحة فإن طي الصحاري ومواجهة المشكلات ومصاعب الكفاح مع الباطل وعوارض هذا الطريق مطروحة أيضاً.

خلاصة الدرس السابع

١ ـ الهدف من بعثة الأنبياء قيام الناس بالقسط والعدل على ضوء البينات والميزان، والغرض من إنزال الحديد المحافظة على الكتاب السماوي، والعامل الذي يبعث على تحقيق هذا الغرض هو تذكر المعاد.

٢ ـ من جملة أثار المعاد سمو الإنسان وتحركه نحو الغاية والمقصود، لأن الإنسان الذي يكون ذاكراً لمنزله الأصلي يطوي الطريق ويصل إلى المقصد.

٣ ـ ومن جملة أثاره تشويق الإنسان إلى خوض المعارك ومكافحة أعداء الدين لأن الإنسان في اشتراكه بالمعاملة الإلهية يفوز بالجنة يوم القيامة.

٤ ـ بما أن المعاملات المهمة ذات الخطر يراعى فيها لدى إجرائها أموراً ستة:

١ ـ البائع. ٢ ـ المشتري. ٣ ـ الثمن. ٤ ـ المبيع. ٥ ـ إشهاد الشهود. ٦ ـ ضبط المعاملة وتنظيم السند.

فقد بين سبحانه هذه الأمور كلها فالبائع هو المؤمن المجاهد والمشتري هو الله والمبيع هو النفس والمال والثمن هو الجنة والشاهد الأنبياء أولوا العزم ـ موسى عيسى محمد ﷺ ـ وسند المعاملة التوراة والإنجيل والقرآن.

٥ ـ الذي لا يقوم بإجراء المعاملة ولا يشارك في جهاد الأعداء في ميادين القتال لا ينتفع من حياته.

٦ ـ عندما ينشىء المؤمن هذه المعاملة مع الله فإنه لا يرى نفسه مالكاً لنفسه وماله أمام الله ولذا لا يتردد في بذلهما في الموارد المطلوبة.

٧ ـ ليس الغرض من خُوض الحروب والجهاد هو أن يموت الإنسان في هذا السبيل بل لو قاتل وقتل وعاد منتصراً فإن ثوابه ليس بأقل من ثواب الشهيد.

٨ ـ لا يرى القرآن الكريم الدين المسيحي دين السلام والوئام، بل أن مجاهدة الباطل هدف جميع الأنبياء، لا أن وظيفة موسى عليه السلام مواجهة

فرعون وتحديه بينما تكون وظيفة عيسى هي الإنزواء والعزلة وذلك.

أولاً: لما تقدم في الآية ١١١ من سورة التوبة من أن هدف جميع الأنبياء ومن تعاليمهم الجهاد ضد الباطل.

وثانياً: لما تقدم في الآية ٤٦ من سورة المائدة من تصديق عيسى عليه السلام لما بين يديهم من الخطوط الكلية للدفاع والجهاد في شريعة موسى التي كان الكلام منساقاً لبيانها.

٩ ـ إن أثر المعاد ليس منحصراً في ميدان الحرب بل هو ذائع وشائع في كل أبعاد الإنسان الدينية، لأن الإنسان الذي باع نفسه له وظائف ثلاثة.

١ ـ تطهير نفسه وتزكيتها.

٢ ـ تهذيب الآخرين وإصلاحهم.

٣ ـ الحفاظ على حدود الله.

١٠ ـ أوصاف المؤمنين عبارة عن:

١ ـ التوبة والرجوع إلى الله.

٢ ـ الشكر بالقلب والعمل واللسان.

٣ ـ السياحة وإحياء الليالي.

٤ ـ كونهم من أهل الصلاة وأن لا يشعروا بعظمة سوى عظمة الله في ركوعهم والإذعان في سجودهم بعلو الله تعالى لأن الإنسان كلما قل غروره ورؤيته لنفسه كلما اشتدت عظمة الله في نفسه.

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ ـ بذل غاية الوسع للحفاظ على الحدود الإلهية.

١١ ـ الدنيا سوق يربح فيها البعض ويخسر فيها آخرون.

١٢ ـ إن الله يتقبل ما قل من الأعمال وما كثر، والذي يشارك جنباً إلى جنب مع النبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغزواته فإن الله تعالى يتقبل منه كل حركاته كثيرة كانت أو قليلة.

١٣ ـ إن المشاكل التي يواجهها الإنسان في الحرب من قبيل التعب والعطش والجوع وكذلك ما يحرزه من تقدم وانتصار ونحوه مكتوب عند الله لكي يعطى المحسنون ثوابهم.

١٤ ـ المال الذي ينفق في سبيل الله تعالى مقبول عند الله ويثاب صاحبه عليه سواء كان قليلاً أو كثيراً.

١٥ ـ يجب توزيع الجهود والطاقات: فعلى قسم من الناس المرابطة في سبيل الله وحفظ الحدود وسد الثغور ومجاهدة أعداء الله.

وعلى القسم الآخر التوغل في تعاليم الدين وتفقه أحكامه وأن يحفظوا حدود تعاليمه من الأفكار المعادية بحيث لا يثاب بشيء منها، وتعليم هذه الأمور لأولئك المجاهدين لدى عودتهم من الحروب حتى يحيطوا بتعاليم الإسلام ويخافوا المعاد.

سوف نتعرض في البحث القادم إلى الآثار الأخرى للمعاد.

الدرس الثامن

دور ذكر المعاد في بناء الإنسان

بعد أن بيّن القرآن الكريم الهدف من رسالة الأنبياء، وإن الغرض من إرسال الرسل إيصال الناس إلى النور وتحويلهم إلى أناس نوارنيين، بيّن السبل الكفيلة والكافية للوصول إلى هذا الغرض وتحقيقه ومحتوى هذه الرسالة بمرتبة من الرقيّ والمتانة بحيث أنها قادرة على تحويل الإنسان وجعله نورانياً، يقول تعالى مخاطباً لنبيّه الأكرم **﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾** إبراهيم: ١ ولنبيه موسى عليه السلام **﴿أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾** ابراهيم: ٥.

ليس غرض الأنبياء الوحيد طرد العدو الخارجي فحسب بل غرضهم طرد الطاغوت بقول مطلق سواء كان من جنس الطواغيت الخارجية التي يسهل إزالتها أو من الطواغيت الباطنية التي تكون إزالتها صعبة نوعاً ما.

فإذا تيسر للإنسان إزالة الطاغوت بقسميه الخارجي والداخلي، السهل منه والصعب فإنه سوف لن يتحول إلى إنسان نوراني فحسب، بل أنه سوف

يتحول إلى نفس النور ويصير نوراً، ولذا قال تعالى لنبيه **﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾** وقد وضحنا ذلك في أول تفسير سورة إبراهيم في بعض المقامات.

ولا بد هنا من طرح هذا التساؤل وهو ما هو الأسلوب الذي يمكن من خلاله القضاء على كل من العدو الظاهري والباطني حتى يصير الإنسان نوراً؟.

من العوامل ذات الأثر البالغ في تحقيق هذا المرام ذكر المعاد أو بتعبير القرآن ذكرى الدار. أي أن يكون على ذكر دائم من المنزل فإن الإنسان المسافر الذي يكون على ذكر من المنزل هو الذي يصل إلى المقصد، والقرآن الكريم يرى الدنيا طريقاً والآخرة هي المنزل والبيت والمأوى، ولكي يبقى الناس على ذكر من هذا المنزل فقد أرسل الله تعالى شخصاً عارفاً بكل من الطريق والمنزل وهو ذات الرسول المطهرة وعندما كان يرى النبي ﷺ العارف بكل من المقصد والطريق عدم توجه الآخرين إلى ما يدعو إليه كان يقول متأسفاً ومتألماً **﴿فأين تذهبون﴾**.

يقول تعالى إن النبي كان إذا رأى حالة المنحرفين يقول لهم أين تذهبون هذا الطريق وذاك هو المنزل وعلى هذا فإن النبي ﷺ عارف بالطريق أولاً وثانياً عارف بالمنزل وثالثاً كل ما يقوله فيما يتعلق بالطريق والمنزل فهو وحي من الله ورابعاً كان يتألم لحالة المنحرفين ويتأسف عليهم وعلى مصيرهم وكان يخاطبهم بأين تذهبون خطاب عطف وتحنن لا خطاب تنديد وتهديد.

يقول تعالى في سورة النجم **﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** النجم: ١و٢ ـ أي قسما بالنجم في حالة هبوطه وهويّه، لأن النجم إذا لم يكن متحركاً، لا يكون هادياً ودالاً، إذا كان البشر قد صنعوا ساعة ينظمون أعمالهم على طبقها، فإن هذه الأعمال النجومية المتعلقة بالنجم والكرات، من مخلوقات الله تعالى، فإذا وجد ملاّحوا البحر أو الفضاء أو المتجولون في

الصحاري طريقاً، فإنما يكون ذلك عبر معرفة الكوكب والقطب وأمثال ذلك، فهذه الكواكب إذا تحركت يعلم المشرق والمغرب والشمال والجنوب، وبعبارة أخرى إن الكواكب إنما تكون هادية ودالة، وملقية شعاعها على الجميع، فيما إذا تحركت ودارت، وعندها يعرف المشرق من المغرب.

إذا كان مقام النبي ﷺ في هذا المستوى الرفيع، ولم يكن له حركة بين الناس، ولا أي اتصال معهم، فسوف لن يكون هادياً، فإذن قسما بالكوكب ذي الحركة والاقتراب هذا بيان التناسب مع مقام النبوة والرسالة ـ إن صديقكم وصاحبكم لم يضل الطريق ولم يضع الهدف، أي ليس ضالاً ولا غاوياً ـ الضلال إضاعة الطريق والغواية إضاعة الهدف أو عدم وجوده ـ إن الرسول لا يكون صاحب رسالة حتى يكون عارفاً بالهدف وبالطريق الموصل إليه، أما إن لم يكن عارفاً بالهدف أو كان عارفاً به لكنه لا يعرف الطريق الموصل إليه فليس برسول.

يقول تعالى قسماً بالنجم الذي يتحرك، إن نبيكم وإمامكم وصاحبكم، لا يسير على ضلال ولا يمشي من غير هدف، وما يقوله سواء ما يتعلق منه بالطريق أو بالهدف، ليس ناشئاً عن الهوى **﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾** فكل ما يصدر عنه في أي مجال من المجالات، وأي مورد من الموارد، مبني على الوحي.

وبعدها يقول في سورة النازعات أنه ﷺ عندما يرى بعض الناس يمشون على ضلال ويسيرون بلا هدف كان يقول لهم **﴿فأين تذهبون﴾** التكوير: ٢٦ إلى أين أنتم سائرون، أفهل يوجد طريق آخر، أو يوجد مقعد آخر، وهذا كمال العطوفة والعناية منه ﷺ **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم﴾** هذا الخطاب ليس موجهاً لكم فحسب، وإنما هو خطاب عالمي، لأن هذا الدين لهداية كافة الناس، لا لجماعة دون أخرى، إذ أن الإنسانية لا تتبدل ولا تتغير أي ان الإنسانية لا تتفاوت من قوم إلى قوم، أو

عرق إلى عرق، أو ملة إلى ملة، فالإنسانية فيهم واحدة دون اختلاف، وهذه السورة نزلت في أوائل البعثة في مكة المكرمة، في الوقت الذي كان يطرح فيه الإسلام على المستوى العالمي، فلذا أطلق هذا الخطاب على أنه خطاب عالمي ولجميع البشر، من ذلك الوقت كان ينادي بعالمية هذا الدين، وكان يتأسف لحالة الذي لا يسير هذا المسير، ولا يتوجه إلى هذا الهدف فلذا كان يقول له بكمال التعطف ﴿**فأين تذهبون**﴾ وعند ذلك لأجل ترسيخ هذا الهدف في نفس الإنسان ـ لأن الطريق مقدمة للهدف ـ ولكي يبقى الإنسان على ذكر من هذا الهدف حتى تتهيأ الظرفية ولكي تُحيا تعاليمه وأحكامه لأجل هذا يقول لهم، إذا عرضتم عن القيامة وخرج ذكرها من قلوبكم، فسوف لن تقوموا بإحياء هذه التعاليم الإلهية وتطبيقها، لأن الدنيا ستغركم وتجذبكم نحوها، بزينتها وزخارفها.

لايوجد شيء الذّ عند المؤمن من استماع كلام الله، فالله تعالى يتكلم معنا الآن أيضاً ويُعلم ذلك من الأمر بالتلبية التي أمرنا بها ـ وهي قول لبيك ـ عند سماع خطاب ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ الوارد في القرآن الكريم، ومن هنا يعلم مراد القائلين من قولهم إذا أردت التكلم مع الله فعليك بالصلاة، وإذا أردت أن يكلمك الله فاقرأ القرآن فإنه يشير إلى أن القرآن يخاطبنا ويتكلم معنا بالفعل.

كلام ابن طاوس

نجد في سيرة ابن طاوس ـ أحد مفاخر علماء الإمامية رضوان الله عليهم أجمعين ـ إنه عند وصوله إلى حد البلوغ وسن التكليف احتفل بهذه المناسبة سروراً بها وقال لأصحابه، أني مبتهج ومغتبط بأني لم أمت ووصلت إلى سن التكليف وصرت في مستوى أن يخاطبني الله تعالى ولذا أنا أحتفل بهذه المناسبة شكراً وابتهاجاً، أما قبل التكليف فلم أكن مطالباً بشيء، ولم يخاطبني الله بشيء أما الآن فقد أصبحت بمستوى أن أخاطب من قبله تعالى

بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وينبغي لي أن أحتفل بهذه المناسبة، من بين العلماء هناك صاحب الجواهر قده يرى أن عامة الناس رعيّة ويعبّر عن المعصومين عليهم السلام بالأئمة يقولون بين الرعايا، يندر وجود أشخاص كابن طاوس، وابن فتح وبحر العلوم، وبعض آخر من العلماء، إذ أنهم في مستوى بحيث أن أحدهم ـ كابن طاوس مثلاً ـ يدعي في كتابه بأنه يعرف ليلة القدر بعينها، فيقول أنا أعرف أيّ الليالي هي ليلة القدر، وأستطيع أن أعرف وبدون الرجوع إلى الحسابات النجومية، إن هذا الشهر ناقص أم لا. ويقول بعد ذلك في كتابه الإقبال، وليس من العجيب أن يعرف الإنسان ذلك، فإن الإنسان الذي كان حفنة من تراب، وخلقه الله تعالى إنساناً وعرّفه ذاته المقدسة، فليس من العجيب أن يعرفه ليلة القدر، إذ أنها على شرفها وعلوها ليست بأعظم من الله تعالى، فكيف يعرف الله تعالى بعظمته، ولا يعرف أمثال هذه الأمور من مخلوقاته.

كلام صدر المتألهين

يقول في تفسيره المعروف، إن أهل الأرض لا يترقون أبداً، فالشخص الذي يكون كل سعيه وكدّه في أن يستخرج شيئاً من التراب لكي يحصل على الفوائد والمتعات الترابية فإنه لا يترقى أبداً، الإنسان الذي تكون نفسه مرتبطة بالتراب ومتعلقة به، فإن غاية سعيه هو أن يمتد من التراب ويرتفع ويزين وجه التراب، ويعود بعد ذلك خائباً خالي اليدين وبتعبير هذا الحكيم الكبير في تفسيره، إن هكذا إنسان هو كالشجرة، والشجرة لا تترقىٰ أبداً، والذي يرتفع منها إنما هو أغصانها لا أصلها، وأصلها الذي هو رأسها وجذورها، كامن في التراب، وهي إنما تترقى فيما لو خرجت من حدود النبات، وصارت في أفق الحيوان أو الإنسان، بحيث لا تعود مرتبطة من الأرض، وتنفك منها، فالشيء الذي تكون عينه في التراب، رأسه وفمه في التراب، ويكون الصاعد منه فرعه فحسب، لا يقال عنه أنه ترقى.

ولكن هذا التراب إذا نهض من الأرض، وصار بشكل حيوان أو إنسان وأصبح حيّاً، وصار متسلطاً على الأرض، فحينئذ يكون قد ترقى.

يقول قدّه: الإنسان الذي يكون سعيه وجهده في أن يرتفع من الأرض ويجلس عليها ويرتفع ويمتد، فإن محصول عمره ليس سوى بعض القصور، والعمارات، فهو كالشجرة التي يكون أصلها وعينها ولسانها وقلبها داخلاً في عمق التراب، ولكن أغصانها وفروعها مرتفعة وممتدة.

وهذا لا يكون ترقياً، يقول تعالى في سورة التوبة، **﴿ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله﴾**، تعمقت جذوركم في الأرض كالأشجار **﴿أثاقلتم إلى الأرض﴾** خسرتم منزلكم واشتريتم عوضاً عنه، أو رضيتم أن تأخذوا الدنيا وتخسروا الآخرة؟ ما المانع الذي يعيقكم؟ روي عن أحد الأئمة عليهم السلام أنه قال، لو كانت الدنيا ذهباً والآخرة آجراً فإن العاقل يختار الآجر على الذهب، لأنه أبدي وباق، وأما الذهب فهو زائل. يقول **﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾**[1] فليس هناك مجال للمقايسة بينهما إذ أن أحدهما فان وزائل والآخر أبدي وخالد التوجه إلى المعاد هو الذي يحفظ مسألة الجهاد والحرب، وهو الذي كان يحيي ميادين الجهاد في صدر الإسلام.

وبعد ذلك يهددهم تعالى بأنه إذا تخاذلتم عن نصرة الدين، فإن الله تعالى سوف لن يتخلى عنه، بل يأتي بأناس آخرين يقومون بهذا الدور **﴿ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾** هذا أحد البيانات، وأما البيان الآخر فهو في نفس هذه السورة حيث يقول مهما عملتم من عمل فاعلموا أنكم ذاهبون إلى من ينبئكم بكل أعمالكم، وهو عالم بالغيب والشهادة وهذا البيان قد بُيِّن في موضعين من هذه السورة الشريفة. الأول قوله تعالى **﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾**.

---

(١) التوبة: ٣٨.

والثـانـي قـولـه تعـالـى **﴿وقـل اعملـوا فسيـرى الله عملكـم ورسـولـه والمؤمنون﴾**[1] .

عندما وصل الكلام في مجلس الإمام الرضا عليه السلام إلى مسألة أن المعصوم يرى أعمال الأمة، شق هذا الأمر على بعضهم، ولم يستطع أن يتعقل كيف أن الإمام عليه السلام يعرف أعمال الأمة وهو جالس في بيته، ولكي يرفع الإمام عنه هذا الأمر، قرأ قوله تعالى، **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** . وبيّن الإمام أن المراد من المؤمنين هو الأئمة عليهم السلام فعلى هذا يكون الأئمة عليهم السلام مشاهدين لأعمال الناس.

وههنا كلام للعلامة الطباطبائي وحاصله: كما أن النفس مسلطة على البدن، وعالمة بكل ما يصدر عنه، فكذلك المعصوم بالنسبة إلينا ـ فهو نفس النفوس ـ فهو محيط بكل ما يصدر منا أو يمرّ ببالنا **﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾** يعني أن ما هو غائب عنكم فهو مشهود له وما هو متعارف عادة من الجمع بين لفظي العلم والغيب، فيقال علم الغيب وعالم الغيب ففيه أن العلم والغيب لا يتوافقان ولا يتلائمان لأن العلم بالشيء معناه حضور ذلك الشيء وظهوره والغيب يعني غياب ذلك الشيء، فمعنى الآية أن ما كان عندكم مشهوراً أو كان غائباً فإن الله يعلمه، وإلا فليس هناك شيء يكون غائباً عن الله تعالى **﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**[2] وكذلك كان ذيل الآية الأخرى المتقدمة أيضاً فإنها مذيلة بقوله تعالى: **﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** وبناءً على هذا فلكي يتم تنفيذ هذه الأحكام والأوامر، لا بد من التوجه والالتفات إلى المعاد فإنه من أهم العوامل تأثيراً في ذلك، لأن المعاد ذكرى الدار إذا كانت حاصلة في نفس الإنسان، فإن الأوامر الإلهية تتسم وتتحلى حينئذ بضمانة التنفيذ والإجراء، بخلاف نسيان هذا الأمر والإعراض عنه، فإنه حينئذن لا ضمان لتنفيذ هذه الأحكام، فالإنسان إنما يكون منضبطاً ومقيداً

---

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) التوبة: ٩٤.

فيما لو علم أن أمامه يوم حساب، فإذا كان غافلاً عن ذلك فلماذا يتقيد ولأي شيء ينضبط؟.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام

يقول عليه السلام (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد)[1] فهذا أسوأ الزاد ومعنى ذلك أن كل ما يعمله الإنسان فهو زاده الذي يأخذه معه، غايته أن الظالم يحمل معه أردأ أنواع الزاد.

نقل الفيض الكاشاني قده: إنه قيل لرسول الله ﷺ أن أسامة ـ وكان أحد أصحابه ـ اشترى متاعاً نسيّة لمدة شهر، فقال ﷺ (إن أسامة المشتري إلى شهر لطويل الأمل) فمن جهة أُمرنا باتقان أعمالنا الدنيوية، ومن جهة أخرى نُهينا عن طول الأمل لأنه يقطع الطريق على الإنسان.

وعندما قيل له ﷺ في شدة خضوعه وخشوعه، قال ﷺ أن الأمر بمستوى من الصعوبة والشدة، بحيث أني إذا فتحت عيني فلا أعلم هل سأغمضها أو أموت قبل ذلك، وإذا رفعت لقمة لا أدري أآكلها أم أموت قبل أن تصل إلى فمي.

فإذا كان الأمر كذلك، وكان الإنسان بهذا المستوى من الضعف، فلماذا لا يلتفت إلى يوم حسابه؟ وهكذا كان يأمر بتذكر الدار الآخرة وأصول هذه المطالب موجودة في القرآن الكريم، ففي نفس الوقت الذي يقول فيه بأن الله تعالى قد أعطاكم السمع والبصر، يقول من المالك لهذا السمع والبصر **﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾**[2] رديف تلك الآيات التي تقول **﴿أمن يجيب﴾** يعني الشخص الوحيد الذي يجيب هو الله.

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٢٢١.

(٢) يونس: ٣١.

ـ وأم هذه، أم المنقطعة، بمعنى بل. من هو الله؟ هو الشخص القادر على إجابة المضطر ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾[1] هو الله. من هو الله؟ هو الشخص المالك للسمع والبصر، فليس عند الناس فرصة إغماض العينين ويموتون وأعينهم مفتوحة، فإن لم يكن هناك من يغمض أعينهم فسوف يكون منظرها مرعباً، فإذن ـ ليس كلا من السمع والبصر ملكاً للإنسان، فإذا كان أمام الإنسان هكذا يوم وكان على ذكر من ذلك اليوم، فإنه جزماً سوف ينفذ أحكام الله ويمتثل أوامره، وإن غفل الإنسان عن ذلك، فسوف لن يكون مندفعاً لإنجازها.

فالمهم إذن هو ذكرى الدار، تذكر ذلك اليوم، وبما أن المبدأ هو المعاد فيكون ذكر الله في الحقيقة هو ذكر القيامة، وهذه المسألة، مسألة ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾[2] تنشأ من هنا، بمعنى أن الشيطان لكي يحقق أهدافه فإنه ينسي الإنسان أولاً ذكر الله، وحينئذ يقوم بأعماله بواسطة أيدي الإنسان، وهذا المعنى هو الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام عندما سأله الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء عن مسار الأمور بينه وبين القوم، فإنه عليه السلام استدل بهذه الآية وقال ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾. الخ تسلط عليهم الشيطان ففعل ماذا؟ أذهب ذكر الله من قلوبهم. بما أن الله هو المبدأ، فهذا الاله هو المحاسب يوم القيامة، المعاد الحقيقي نحو هذا الاله الذي هو المبدأ ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فدور الشيطان هو أن يزيل ذكر المبدأ والمعاد من قلب الإنسان.

فلا يمكن أن يكون الإنسان ذاكراً لله تعالى، ومع ذلك يخالف أوامره، ولا يمكن أن يكون الإنسان ذاكراً للمعاد والعمل والجزاء، ويرتكب المعاصي فكما لا يمكن أن يمدّ الإنسان يده نحو النار المشتعلة أمامه، كذلك

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) المجادلة: ١٩.

لا يمكن أن يرتكب المعاصي لو كان ذاكر للقيامة وعذابها الأليم، فمنشأ الذنوب والمعاصي هو النسيان، إذا أراد الشيطان أن يجد سبيلاً إلى الإنسان فانه أولاً ينسيه ذكر الله تعالى، وحينئذ يبيض في قلبه ويجعل ذلك الشخص تحت ولايته، وحينئذ ينفذ له الإنسان كل ما يريده، ومن المعلوم أن مرادنا من ذكر القيامة ليس الذكر اللفظي.

يقول الشيخ في تفسيره القيم. إن النية المقصودة ليست بمعنى أن نذكر المنويّ بألسنتنا بأن نقول مثلاً أصلي الظهر أربع ركعات قربة إلى الله تعالى هذا اللفظ أو الأخطار القلبي وإن كان نيّة، إلا أنه في الحقيقة غفلة، وبتعبير أولئك العظام إن هذه نيّة بالحمل الأولي، ولكنها بالحمل الشائع غفلة فليست النية عبارة عن مرور معاني هذه الألفاظ في ذهن الإنسان، بل النية هي الانبعاث والقفز من الطبيعة، فالذي يقفز من الطبيعة هو الذي يكون ناوياً، وإلا فإن جريان هذه الألفاظ على اللسان أو مرورها في الذهن والقلب إنما يؤثر في حدود مفهوم، وليس ذلك ذكراً للقيامة.

ذكر القيامة هو ما ذكره تعالى في سورة التكاثر ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم**﴾ الذكر بمعنى العلم، ومقابله النسيان، يقول لو كنتم ذاكرين للقيامة وعندكم علم بها، لرأيتموها جيداً، فلا يمكن أن يكون عند الإنسان علم بالقيامة ولا يرى النار، وبما أننا نحن لا نرى النار، فيعلم من ذلك أننا لا علم عندنا بالقيامة، وإذا لم يكن عندنا علم بذلك، فنحن ناسون لذلك وإذ كنا ناسين، فنحن تحت ولاية الشيطان.

كلام العلامة الطباطبائي

يقول قده، من الممكن أن يكون الإنسان مدة من الزمن تحت ولاية الشيطان دون أن يعلم بذلك، وحينئذ يجب عليه أن يستغفر الله من عباداته واستغفاراته التي كان يقوم بها، لأنه كان يقوم بها بعنوان ذكرى الدار، وبهذا

الدافع ولهذا الغرض، مع أنه كان غافلاً تماماً عن المعاد وليس عنده سوى بعض المفاهيم المترسخة في ذهنه ليس إلا، وهذه المفاهيم ليست ذكرى الدار، ذكر القيامة أن يرى الإنسان النار، فلماذا لم نرها نحن.

يقول الشاعر المولوي

(أعلم أن الفن والمهارة هو رؤية النار عياناً، وأما الاستدلال على النار بالدخان فهو كلام ليس إلا) هذا هو أصله، يقول أن الإنسان تارة يرى النار، فلا يذهب نحوها طبعاً وتارة لا يراها وإنما يرى دخانها فيستدل على النار بالدخان، يقول المولوي أن هذا الاستدلال مجرد كلام، وليس فناً، وإنما الفن هو رؤية النار عياناً يقول تعالى في الآية المذكورة، إذا كان عندكم علم بالقيامة، فإنكم ترون النار، وهنا ملازمة بين هذين الأمرين، فإذا لم تكونوا مشاهدين لها، فليس عندكم علم بها، هذه الأقيسة ـ بالاصطلاح المنطقي ـ قياس استثنائي والقياس الاستثنائي كثير في القرآن، وحاصله أنه لو كان عندكم علم بالقيامة لرأيتم النار، فإذا لم تروها فليس عندكم علم بها، وما عندكم منها هو مجرد كلام لا أكثر.

رواية الشيخ الكليني

نقل الشيخ الكليني وغيره، أنه أتى شاب إلى رسول الله وقال له أني موقن بالقيامة فقال له رسول الله لكل شيء علامة، فما علامة يقينك، فقال كأني أرى الجنة وأهلها، وأسمع عواء أهل النار، فلم يقل له رسول الله ﷺ إن هذا الأمر محال، يقول الشيخ إن هذا الشاب بهذا المقام طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بالشهادة، فدعا له بذلك، ورزقه الله إياها.

كلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام

يصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين في خطبة المتقين لهمام بهذا النحو (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها منهم فيها معذبون).

يجب أن نعترف بأنا قد درسنا وكتبنا وتباحثنا عمراً، وليس في أذهاننا سوى مقدارٍ من الكلام والمصطلحات والمحفوظات فهل هذا ـ بناء على كلام علي عليه السلام ـ ذكرى الدار، أو علامة تذكر القيامة أو علامة تذكر الهدف، هذا هو المهمّ، وإلاّ فكم في ذلك من الفضيحة أن يصرف الإنسان عمره بهذه الأمور ويأتي يوم القيامة خالي اليدين إلا أن يلطف تعالى بنا ويجبر أعمالنا بمنه وكرمه.

خلاصة الدرس الثامن

١ ـ بما أن الطاغوت نوعان ١ ـ داخلي وهو هوى النفس، ٢ ـ خارجي وهو الحكام الظالمين المستبدين، فإن الغرض من بعثة الأنبياء طرد الطاغوت مطلقاً وأنه وإن كان طرد الطاغوت الداخلي عسير، إلا أنه ما لم يطرد من القلب لا يصير القلب نورانياً، وأهم السبل لطرد الطاغوت الباطني هو ذكرى الدار.

٢ ـ لكي يكون الإنسان على ذكر دائم للآخرة ومقصده النهائي فإن الله تعالى بعث نبياً عارفاً بكل من المقصد والطريق المؤدي إليه، أولاً وثانياً، وثالثاً إن كل ما يقوله مما يتعلق بهذين الأمرين فهو مطابق للوحي، ورابعاً أنه عطوف على أولئك المنحرفين الضالين وكان يقول لهم رأفة بهم ﴿فأين تذهبون﴾.

٣ ـ إنما يكون الرسول رسولاً، إذا ما كان صاحب هدف، وكان عارفاً بالطريق المؤدي إليه، وإلا فليس برسول.

٤ ـ الدين هو من أجل هداية الإنسانية جميعاً وليس خاصاً بطائفة من الناس وكما أن الإنسانية لا تتحول ولا تتبدل فكذلك الدين الإلهي لا يتبدل، والنبي ﷺ كان من أول بعثته يطرح مسألة عالمية دينه وهيمنته على الأديان.

٥ ـ إذا غفل الإنسان عن ذكر القيامة، فسوف لن يقوم بوظائفه الدينية والإنسان الناسي ينجذب نحو الدنيا.

٦ ـ بما أنه لا لذة للمؤمن أرقى من لذة سماع كلام الله، وإن الله تعالى في كل زمان يتكلم مع الإنسان، فقد قيل إذا أردت أن يكلمك الله فاقرأ القرآن وسماع كلام الله موجب للبهجة والنشاط ولذا نجد في سيرة ابن طاوس الذي هو أحد مفاخر الإمامية، أنه قد احتفل في يوم بلوغه، وقال لأصحابه بما أني قد وصلت إلى حد أخاطب فيه بـ ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ فعلي أن أحتفل بهذا اليوم.

٧ ـ القلب المرتبط بالطبيعة لا يترقى أبداً، والإنسان المتعلق بالتراب والذي يكون كل سعيه وهدفه هو الاستفادة من التراب والاستمتاع به، فانه لا ينمو ولا يتكامل، وبتعبير صدر المتألهين، إن الإنسان الغارق في الطبيعة كالشجرة لأن أصل الشجرة هو جذورها، وأغصانها فروع لها، والذي ينمو من الشجرة هو أغصانها لا أصلها، ولهذا فليس من شأن الإنسان أن يربط بمتاع الدنيا القليل الزائل.

٨ ـ يذهب الإنسان يوم القيامة الى حضور الله العالم بالغيب والشهادة بالإضافة الى أن الله تعالى ورسوله والأئمة يرون أعماله.

٩ ـ كما أن نفسنا متسلطة على بدننا ومحيطة بما يصدر عنه، فإن الإمام المعصوم الذي هو بمنزلة نفس النفوس محيط بكل أعمالنا.

١٠ ـ كل ما يعمله الإنسان من عمل فهو زاده الذي يأخذه معه الى

القيامة وأسوأ الزاد ظلم العباد.

١١ ـ لكي يحقق الشيطان أهدافه وأغراضه فان أول عمل يقوم به هو إزالة ذكر الله من قلب الإنسان نحو الله، فإن الشيطان يسلخ ذكر كلا من المبدأ والمعاد من قلب الإنسان.

١٢ ـ ليس المقصود من ذكر القيامة ذكرها باللفظ، بل معناها الإنبعاث والقفز من عالم الطبيعة وإلا فليس لها أثر، وفي الواقع ذكر القيامة هو العلم اليقيني بها والذي يكون عالماً بالقيامة فإنه رويداً رويداً يرى القيامة، كما يقول تعالى في سورة التكاثر ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم**﴾.

١٣ ـ من أوصاف المتقين انهم يرون الجنة وأهلها، والنار وأهلها سنتحدث في الدرس الآتي عن موضوع ساحة القيامة وحضور الأعمال فيها.

الدرس التاسع

ساحة القيامة وحضور الأعمال

كان الكلام في البحوث السابقة حول هدف الأنبياء الذي هو إيصال الناس إلى النور كي يكونوا نورانيين وعلامة وصول الناس إلى النور قيامهم بالقسط والعدل وقد تقدم بيان ذلك بعنوان هدف مشترك بين الأنبياء في سورة الحديد في قوله تعالى ﴿**ليقوم الناس بالقسط**﴾ فإذا صار الإنسان نورانياً كان قائماً بالقسط ولا يكون فقط قائماً بالقسط في الأمور الاجتماعية، بل يكون مبتهجاً لتحقق العدل في الوجود.

الارتباط بين التوحيد والعدل

إن العدل في نظر أمير المؤمنين عليه السلام هو التوحيد العدل هو أن لا يعتقد الموحد بأكثر من مبدأ لهذا الوجود، لأن ذلك شرك والشرك ظلم بمقتضى الآية الكريمة ﴿**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾ لقمان ١٣ ـ وارداً أنواع الظلم الظلم في الاعتقاد، سيما إذا كان متعلقاً بالله تعالى بأن يُعتقد بوجود شريك له في الوقت الذي ليس له تعالى شريك لا في ذاته ولا في

صفاته ولا في أفعاله، فليس في الوجود إلهين اثنين، ولا عليمين قديرين حيّين لا يموتان، ولا خالقين وربّين، فالتوحيد فيه سارٍ في مقام الذات والصفات والأفعال، وحده وحده وحده ـ والتوحيد الذي يقال عادة ثلاثة مرات كما لو قال القائل لا إله إلا الله وحده وحده وحده، فليس المراد به هو تكراره مراراً ثلاثاً على أن يكون المعنى واحداً وإنما هو إشارة إلى مراحل التوحيد الثلاثة، مرحلة الذات والصفات والأفعال فهو في كل هذه المراتب لا شريك له وحده فيكون حينئذ وحده وحده وحده فليس في الوجود أكثر من ذات واحدة مستقلة في جميع شؤونها، وليس فيه أكثر من موصوف واحد يكون واجداً لكل الكمالات، وليس فيه أكثر من مبدأ واحد للخلق والإيجاد وربوبية الموجودات، فالحاصل أن التوحيد عدل لأن الشرك ظلم.

الله يذكر الموحدين مع الملائكة

عندما يصير الإنسان قائماً بالعدل، يصير نورانياً ويحشر في زمرة الملائكة، وعندما نسوق الكلام للتحدث عن العدل والقسط، فليس مرادنا من ذلك أن لا يظلم الإنسان أحداً، فإن هذا وإن كان في نفسه فضيلة، إلا أنها من أدنى مستويات الكمال الإنساني، إذ أن أول درجات الكمال الإنساني أن يكون الإنسان عادلاً وأنزل مراتب هذا الكمال الإنساني أن لا يكون ظالماً، وعلى الإنسان أن يترقى في هذه المراحل حتى يرقى إلى مستوى من التوحيد يكون فيه على حد تعبير الإمام السجاد عليه السلام ممن يذكره الله تعالى رديف الملائكة فيكون إسمه وإسم الملائكة مذكوراً بعد إسمه تعالى عندما يقول **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾** آل عمران: ١٨ فالله شاهد بالوحدانية والملائكة وأهل العلم، وهذا العلم هو علم التوحيد، وهو الذي يرتفع بالإنسان ليكون في عداد الملائكة، والملائكة وأصحاب العلم يسيرون خلف الطريق الإلهي ومن إحدى مراحله النازلة عدم الظلم، وهي مرحلة ابتدائية أولية تكون عند السائرين في هذا الطريق، إذ أنه لا ينبغي أن يكون

هدف الإنسان عدم احتراقه في نار جهنم يوم القيامة، لأن ذلك غرض دانٍ ومستوى سافل، حيث أن هناك العديد من أفراد الإنسان لا يبتلون يوم القيامة بهذا العذاب كالأطفال والمجانين والمستضعفين فكرياً وأمثالهم، وعلى هذا فإن عدم الدخول إلى جهنم لا يعدّ كمالاً، بل الدخول إلى الجنة والوصول إلى جنة اللقاء هو الهدف، وهدف الأنبياء هو هذا الهدف السامي وقد ذكرت تلك الآية الكريمة أموراً يتمكن الإنسان بواسطتها من الوصول إلى ذلك الهدف السامي وتحقيقه، وأهم العوامل تأثيراً في تحقيق غرض الأنبياء هو المعاد (ذكرى الدار) يعني أن يكون الإنسان بفكر منزله وذاكراً لوطنه.

(هذا الوطن ليس مصر ولا الشام ولا العراق، هذا الوطن مدينة ليس لها إسم).

ساحة القيامة

لا يوجد شيء في ساحة القيامة يتمكن الإنسان من الاستتار به، لا بيت ولا حائط ولا جبل ولا تل، ولا وادي إذ أن كل هذه الأمور تكون قاعاً صفصفا والعين أيضاً تكون حادة النظر، وفي هذه الحالة التي تكون فيها هذه الأمور كلها مستوية على خط واحد لا تعرج فيها ولا اعوجاج وليس هناك حاجب ولا مانع، وعيون أهل المحشر حادة النظر ونفاذة ماذا يفعل الإنسان العاصي، وماذا يصنع الإنسان الخجِل.

سئل النبي ﷺ ماذا يفعل الله تعالى بهذه الجبال يوم القيامة **﴿ويسألونك عن الجبال﴾** فقال تعالى في مقام الجواب **﴿فقل ينسفها ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفا * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾** طه ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ فهذه الجبال كلها تتحطم وهذه القلاع كلها تتهدم، وأرض القيامة تكون صفصفاً ملساء لا اعوجاج فيها ولا تعرج، فلا بيت ولا جبل ولا حائط ولا شجر ولا غيرها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أبصار أهل المحشر حادة نافذة **﴿فبصرك اليوم حديد﴾** ق ٢٢ فحينئذ مع استواء أرض القيامة وحدة أبصار

يفعل الإنسان الخجل آنذاك، لذلك يتمنى اليوم أن يكون بينه وبين القيامة أمداً بعيداً **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** آل عمران: ٣٠ وهذا التحذير رأفة منه تعالى أيضاً بكم **﴿والله رؤوف بالعباد﴾** آل عمران: ٣٠ وهذه الآية واقعة بين آيتين إحداهما تتحدث في مجال تأثير النفس في البدن، والأخرى تتكلم في صدد طيّ طريق المحبة.

علم الله واحاطته بالأسرار الباطنية

يقول تعالى قبل تلك الآية المتقدمة **﴿قل أن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾** آل عمران: ٢٩ أي أن الله محيط بما في الصدور ظاهراً كان أو خفياً، هذا صدر الآية ويقول في ذيلها **﴿ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾** أي بما أن قدرته مطلقة فإحاطته أيضاً مطلقة، وهذا تعليل لعلمه المذكور.

النفس بمثابة السماء والبدن بمثابة الأرض

في هذه الآية المتقدمة مطالب أربعة الأول إن الله يعلم ما تخفون في صدوركم الثاني أنه يعلم ما تظهرونه بأفعالكم وأعمالكم الثالث أنه يعلم ما في السماوات الرابع أنه يعلم ما في الأرض.

وللعلامة الطباطبائي قده كلام في بيان التناسب بين هذه الجمل الأربعة إذ يقول وظاهر الآية يعطي أن القرآن يريد أن يقول روحكم ونفسكم بمثابة سماءكم وبدنكم بمثابة أرضكم، وإذا لم يهطل من سمائكم مطر أو لم يشرق فيها كوكب أو شمس فلن تستنير الأرض ولن تصير دافئة وبالتالي سوف لن تنبت منها الثمار، أي أرض هي التي تنبت الثمار؟ هي الأرض التي ينزل المطر عليها من السماء أو تشرق الشمس عليها، في تلك الأرض يظهر الخير والبركة، وإذ لم تكن كذلك فسوف لن تظهر خيراتها، فما دامت النفس لم

تصر بمنزلة السماء ولم تشرق فيها شمس أو كوكب وبالتالي لم تصر نورانية فسوف لن يكون للسان والعين والأذن واليد والرجل أي ثمرة، فأرض النفس إنما تكون مثمرة إذا كانت سماء النفس نورانية مشرقة، فإذا لم يشرق من سماء النفس نور على أرض البدن، فلن يصدر من البدن عمل ملائم وبيان ملائم، وإنما يكون كلام البدن ملائماً ومؤثراً، ويده وقلمه ذو أثر، فيما إذا أشرق نور الإيمان من سماء الروح ولطف البدن وجعله ملائماً، وهذه الأمور الأربعة قد ذكرت في أكثر من موضع في القرآن وليس هنا في سورة آل عمران فحسب.

وصف الدنيا

الدنيا لهو ولعب ليس إلا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقول تعالى ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ الأنبياء: ١٦ وحينئذ يطرح هذا السؤال وهو إذا كانت الدنيا لعب ولهو والله تعالى لا يصدر منه اللعب، فمن خلق هذه الألعوبة وذلك اللهو واللعب.

كلام للعلامة الطباطبائي

يقول العلامة الطباطبائي(ره) الدنيا ألعوبة، والله تعالى حكيم وليس بلاعب ولا لاهٍ، ولكن أخذ الأطفال إلى اللعب عمل حكيم، فإنكم ترون الأب مثلاً عند عودته من عمله يسعى لشراء وسائل لعب لطفله مثلاً مع أنه عاقل وحكيم ومع هذا فهو يشغل ولده باللعب، فالأب ليس بلاعب ولا لاهٍ، وهذه الوسائل وسائل لعب، إلا أن إشغال الطفل باللعب واللهو حتى يكون فرداً عاملاً عمل حكيم.

إن الله تعالى لم يخلق هذه الألعوبة لأحد من الناس، لكن أكثر الناس

حتى يتوجهوا نحو الكمال لا بد لهم من ألعوبة.

وهذا أشبه شيء بما تفعله الهيئات الإدارية في المدارس. فانهم عندما ينظمون الدروس وأوقاتها للطلاب يحددون ساعة منها للعب أيضاً، فهذه الساعة ساعة لهو ولعب والأطفال منهمكون فيها باللعب، والهيئة الإدارية ليست لاعبة إلا أنها قد قررت برنامجاً حكيماً، فإن إشغال الأطفال باللعب حكمة لكي يتوصلوا بذلك إلى تحصيل دروسهم والتوجه إليها. وحينئذ فإن قضى الإنسان عمره كله بهذا اللعب فسوأة له، وإذا تلهى بذلك قليلاً حتى يتكامل رشده لينصرف بعد ذلك إلى تحصيل الكمالات فطوبى له ـ نعم أولئك أنبياء الله وأولياء الله هم الذين لا يضيعون حتى ساعة واحدة بهذا اللعب واللهو.

كلام الشيخ المفيد

نقل الشيخ المفيد قده أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام السابع الذي يلي الإمامة بعده فقال: (إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب وأقبل أبو الحسن موسى وهو صغير ومعه عناق مكية وهو يقول لها أسجدي لربك فأخذه أبو عبدالله عليه السلام وضمه إليه وقال بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب) ذلك المعصوم من أولياء الله، وهو منزه عن اللعب في طفولته وشبابه وكهولته ولكن إلعاب الأطفال العاديين حتى يتهيأوا للتكامل في المجالات الأخرى كمال، فالدنيا لهو ولعب ولكن خالقها حكيم ومن هو هكذا لا يكون لاهباً أو لاهياً إلا أن تهيئة ظروف اللعب للأطفال عين الحكمة.

فالصبي لو تعلم مطلباً معيناً فإنه يشوّق على ذلك ويُحثّ عليه أما لو فرضنا عالماً حكيماً قد اكتشف مطلباً علمياً عميقاً فإنه لا تصفّق له الأيدي، ولا يحتاج إلى هذا التشويق ولا إلى المدح والثناء، فإذا كان يريد أن يتدرج في طريق التكامل ويجتازه فإنه في غنى عن هذه الزينة.

الإيمان زينة القلوب .

عندما رأى النبي ﷺ جهاز منزل أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليهما السلام، أوان زواجهما، قال: اللهم بارك في حياة قوم أكثر آنيتهم الطين والخزف هو ليس بحاجة إلى استعمال الأواني المزينة حتى يصل إلى الكمال فاذن، ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾[1] ويقول في سورة الحجرات ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم**﴾ فالذي يكون في مسير آخر يسعى إلى زينة أخرى، أما الذي يكون في هذا المسير، فزينته هو هذا ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا**﴾ الكهف: ٤٦ .

خلاصة الدرس التاسع

١ ـ بما أن هدف الأنبياء إيصال الإنسان إلى النور وقيامه بالعدل والقسط فإن الإنسان النوراني يكون عادلاً في أموره الاجتماعية ومأنوساً بالعدل في العالم، بما أن التوحيد عدل، والعدل أن يكون الإنسان معتقداً بإله واحد سواء في مقام الذات أي لا شريك له في ذاته ـ التوحيد الذاتي ـ أو في مقام الصفات أي أن الله تعالى هو الذي تتصف ذاته بالكمالات ـ التوحيد الصفاتي ـ أو في مقام الأفعال أي لا شريك له في الخلق والإيجاد والربوبية ـ التوحيد الإفعالي ـ وبما أن التوحيد عدل فالشرك ظلم.

٢ ـ إذا صار الإنسان عادلاً ونورانياً فإنه يحشر مع الملائكة، والله تعالى يذكر إسمه رديف الملائكة.

٣ ـ أدنى مراتب الكمال الإنساني أن لا يظلم أحداً حتى لا يدخل النار، وعدم دخول النار لوحده ليس فخراً للإنسان لأن الأطفال والمجانين

---

(١) الكهف: ٤٦ .

والمستضعفين أيضاً يشاركوه في ذلك، علم التوحيد يصل بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال ويجعله في عداد الملائكة.

٤ ـ في ساحة القيامة يكون الإنسان حاضراً مع أعماله، ويرى تمام أعماله لأن بصره حديد ولا حجاب هناك يمنع من الرؤية، كل الجبال والتلال تكون مستوية، والله تعالى أيضاً محيط بكل الأعمال ما ظهر منها وما بطن كما أنه عليم بما في السموات والأرض.

٥ ـ العلامة الطباطبائي يقول أن نفس الإنسان بمنزلة السماء وبدنه بمنزلة الأرض فكما أنه إن لم تشرق الشمس أو تهطل الأمطار فإن الأرض سوف لن تؤتي ثمارها. كذلك أرض النفس أي الجوارح والأعضاء فإنها إنما تثمر فيما إذا كانت سماء النفس نورانية، وأشرق منها نور الإيمان على البدن مع هطول الهداية والحماية من مزن الروح.

٦ ـ المتحصل من الآيات القرآنية إن الدنيا لهو ولعب، ومن ناحية فإن الله تعالى ينفي عن نفسه صفة اللعب واللهو، لأنه تعالى حكيم، فإذا طرح هذا السؤال أنه من خلق هذا اللهو وهذه الألعوبة، فإنا نجيب بأن الله تعالى وإن كان حكيماً غير لاعب إلا أن إشغال الأطفال باللعب أمر حكيم، لأن اللعب واسطة للرشد والتكامل وليس هدفاً، ولذا فليس للإنسان أن يقضي عمره باللعب واللهو حتى يكون محروماً من الكمالات العالية ولهذا الغرض خلق الله الحكيم دنيا اللعب واللهو هذه.

٧ ـ الأنبياء والأولياء فقط هم المنزهون عن اللعب والإشتغال باللهو.

٨ ـ زينة الحياة الدنيا المال والبنون، ولكن زينة القلوب هو الإيمان بالله، وهذا الإيمان من الباقيات الصالحات وسيبقى إلى الأبد سوف نتعرض في البحث القادم إلى الآثار الأخرى لذكرى الدار.

الدرس العاشر

سلامة المراحل الثلاثة للإنسان وأوصاف القيامة

كان الكلام في أن القرآن الكريم يصف الهدف الكلي لجميع الأنبياء سيما نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. بهذا الوصف الراقي وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ما هي أهم العوامل دوراً في تحقيق هذا الهدف؟ ما الذي ينبغي فعله لتحقيق هذا الهدف؟ كيف يمكننا أن نخرج من الظلمات إلى النور؟ إن من أهم الأمور ـ في نظر القرآن الكريم ـ دوراً في تحقيق هدف الأنبياء ذكر المعاد وبتعبير القرآن ـ ذكرى الدار ـ والذكرى كثرة الذكر والتذكر والدار المنزل أي أن يكون الإنسان ذاكراً لمنزله ذاكراً لوطنه.

الوطن الحقيقي للإنسان

يقول شيخ الاشراق في بيان معنى حديث (حب الوطن من الإيمان) إن وطن الإنسان هو المكان الذي أتى منه، والذي يذهب إليه، فالإنسان الآت

من مكان ما يكون وطنه ذلك المكان، لا مكان آخر، وإذا كان سيعود إلى ذلك المكان ويبقى فيه إلى الأبد لا يكون وطنه في مكان آخر، في هذه الصورة تكون ذكرى الدار من أهم العوامل المؤثرة في تحقيق أهداف الأنبياء.

بيان الإمام الرضا عليه السلام

اهم مراحل حياة البشر

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال (أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن يوم يولد ويخرج من بطنِ أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا)[1] نور الثقلين ج ٣ ص ٣٢٧.

أما في مرحلة الولادة فإن الإنسان يخرج من عالم الرحم، ويفتح عينيه على عالم الطبيعة فيرى أشياءً لم يكن يراها، .ويسمع أصواتاً لم يكن يسمعها، ويواجه حقائق لم يكن قد واجهها.

مرحلة الولادة من أهم مراحل حياة البشر

والخروج من الرحم إلى عالم الطبيعة من أشق المراحل وأصعبها على الجنين وأنه وإن قطع مراحل في عالم الرحم، إلا أنه لا واحدة منها تشابه مرحلة الميلاد إذ أن هناك تغاير واضح وتباين فاحش بين المرحلة التي كان يعيش فيها داخل الرحم وبين حياته في عالم الطبيعة في مرحلة الميلاد، هذا

---

(١) نور الثقلين: ج٣ ص ٣٢٧.

كله بالنسبة للماضي وعندما يموت أيضاً يدخل في عالم البرزخ، ويشاهد فيه من الحقائق ما لا يمكن مقايسته مع عالم الطبيعة، يرى أموراً لم يرها في الدنيا، يرى مشاهداً لم تكن موجودة فيها، ويشعر بأمور ويحس بأحوال لم يكن لها وجود في العالم المادي وأمثال ذلك، وأوسع من ذلك عندما يطوي الإنسان عالم البرزخ ويرد عالم القيامة ويبعث فيه ففي ذلك اليوم **﴿إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾** الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠ حينئذ يرى في ذلك اليوم أشياءً وأحكاماً وأحوالاً لم تكن في المراحل السابقة، وهذه المراحل الثلاث من أصعب مراحل حياة البشر، وأولياء الله يكونوا في هذه المراحل الثلاثة أطهار سالمين يتمتعون بالأمن والآمان وعليهم سلام في هذه المراحل كلها.

طهارة الإنسان وسلامته في هذه المراحل

ثم يستعرض الإمام الرضا عليه السلام في تتمة الحديث السابق قضية عيسى ويحيى على نبينا وآله وعليهما السلام كنموذج فيقول وقد سلّم الله عز وجل على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال **﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾**[1] وقد سلم عيسى ابن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال **﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾**[2].

النبي يحيى والنبي عيسى نموذجان للإنسان السالم

يقول تعالى في حق يحيى عليه السلام في سورة مريم **﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾** ١٥ ـ في يوم الموت إما أن يكون الإنسان سالماً

---

(١) سورة مريم: ١٥.

(٢) سورة مريم: ٣٣.

وسلام عليه وإما أن يكون بعيداً من رحمة الله وسلامه وكذلك يوم البعث أيضاً إما أن يكون سالماً فيه أو لا، ولم يكن القرآن الكريم ـ لدى تعرضه لذكر الأنبياء ـ ليذكر كيفية حياتهم ولبسهم وأكلهم فحسب ولا شيء غير ذلك، بل سلام عليه أي سلام على يحيى في حياته الدنيوية وفي زمان الموت الخ.

ظهور السلامة في الدنيا يوم القيامة

الإنسان الذي لا يجتاز مرحلة الدنيا سالماً فليس عليه سلام في ساعة الموت كما أنه إذا لم يكن مرتاحاً في البرزخ فليس عليه سلام في ساعة القيامة، فما ذكره من أنه أتى إلى الدنيا نظيفاً وسالماً، فلأن لا سلام على غير الطاهر والنظيف، وأنه عاش طاهراً فلأن الإنسان الذي لا تكون عيشته طاهرة فليس عليه سلام عند الموت، وإنه يجتاز البرزخ طاهراً، أي لا يرى شيئاً من عذاب القبر والبرزخ وضغطه ونحو ذلك فلأن الإنسان المعذب ليس عليه سلام. فبناء على هذا بما أن الأنبياء أمضوا مرحلة ما بين الميلاد إلى الموت سالمين، فإنهم في المرحلتين التاليتين أي مرحلة الموت إلى القيامة يكونون أيضاً سالمين ويجتازون هاتين المرحلتين بالسلامة.

المرحلة الأولى من الولادة إلى الموت، والمرحلة الثانية وهي التي تبدأ بالموت وتنتهي بالقيامة، أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة القيامة فليس لها حدّ ولا نهاية لأن الأبدية لا يحدّها حد.

فعلى هذا يمكن للإنسان أن يكون سالماً في البرزخ وما بعده فيما إذا كان سالماً في الدنيا أعني من الولادة حتى الموت.

الإمام الرضا عليه السلام في روايته المتقدمة يشير إلى قضية عيسى عليه السلام

المسيح عليه السلام بالإضافة إلى سلامته وطهارته في نفسه ـ متولد من امرأة طاهرة عفيفة الذيل وهي التي كما يقول العلامة الطباطبائي عنها لم يذكر

إسم لامرأة في القرآن بذلك المستوى من العظمة وفي رديف كبار الأنبياء كما ذكر أسمها عليها السلام .

القرآن يذكر مريم في رديف كبار انبياء الله

يتعرض القرآن الكريم إلى ذكر مريم عليها السلام في سورة مريم بعد انتهاء قصة زكريا عليه السلام حيث يقول **﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً* فاتخذت من دونهم حجاباً﴾** الآيتان ١٧ ـ ١٨ ـ وبعد الفراغ عن قصتها يذكر إبراهيم عليه السلام فيقول **﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾** مريم : ٤١ وهكذا يذكرها القرآن الكريم في عداد الأنبياء ، عندما تسمع ما يوجه إليها من التهمة تقول **﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾** مريم : ٢٣ .

تكلم عيسى في المهد

وبعد أن بين تعالى عظمة مريم وفضلها، ساق الكلام إلى ولدها المسيح عليه السلام حيث أنه تكلم وهو في المهد بإذن الله ، فكان أصل تكلمه المذكور بإذن الله ، كما أن كلامه كان من ناحية الله وبإذنه .

إن الله تعالى قد سلم على يحيى عند ذكره، والمسيح عليه السلام سلّم بنفسه على نفسه، فالقرآن يذكر عنه قوله **﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾** وهذا ليس فقط دعاء ، ولا أنه من نفسه فحسب .

ولما قالوا **﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾** أجابهم **﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾** والزكاة بمعنى التزكية، والانفاقات الواجبة والمستحبة .

هذه البيانات صدرت منه عليه السلام في مرحلة الطفولة، وكان ذلك من جانب الله تعالى وعلى هذا فإنه عندما يسلم على نفسه يكون كل من كلامه وأصل تكلمه ونطقه بإذن الله، وبما ذكرناه لا يمكن القول بأن هذا الكلام صادر من صبي ولا حجة فيه ﴿**ذلك عيسى ابن مريم**﴾ مريم ٢٤ ـ ٣٤.

وبالاستشهاد بهذه الآية الكريمة يتمّ الإمام الرضا عليه السلام بيانه وحاصله إن أوحش المراحل التي يمر بها الخلق هي هذه المراحل المذكورة. والأنبياء عليهم السلام في هذه المراحل كلها سالمين ويتمتعون بالأمن والأمان والسلامة.

ثم إن هذه المراحل الثلاثة تارة يتعرض إليها بالتفصيل، وتارة ـ وعلى حد تعبير العلامة الطباطبائي ـ بالإجمال، فإننا نلاحظ مثلاً في مقام التعرض لذكر نوح عليه السلام إن الله تعالى يسلم على نوح عليه السلام بشكل إجمالي حيث يقول ﴿**سلام على نوح في العالمين**﴾ الصافات: ٧٩. أي في مرحلة ولادته وعالم الدنيا، في عالم موته وبزرخه، وفي يوم معاده وحشره وليس في الجوامع التاريخية والبشرية فحسب بل في العالمين.

كما نلاحظ أنه يسلم على بعض آخر من الأنبياء سلاماً مطلقاً ﴿**سلام على إبراهيم**﴾ الصافات: ١٠٩ ﴿**سلام على موسى وهارون**﴾ الصافات: ١٢٠.

وفي حق نوح ـ الواضع لهذه المسائل والمؤسس لها ـ يقول ﴿**سلام على نوح في العالمين**﴾ ثم يقول بعد ذلك أن هذا السلام وهذه التحية ليسا مخصوصين بالأنبياء فقط وإنما ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ الصافات: ٨٠ ـ أي كل من كان كل من ذاته وعمله حسناً فسلام الله عليه.

المرحلة الكاملة للسلام

المرحلة الكاملة لهذا السلام مختصة بالأنبياء عليهم السلام والمراحل الأدنى تشمل عباد الله الآخرين، فكل من لم يكدر صفو نفسه ولم يورطها في

الظلمات فسوف يتمتع بالنور الإلهي الذي هو عبارة عن هذا السلام.

وعلى هذا فإن مسألة السلام التي يذكرها القرآن الكريم ليست وقفا على الأنبياء يقول تعالى في سورة الصافات **﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين﴾** ٧٥ ـ ٧٩ ـ أي سلام عليه في امتداد عالم الوجود الذي تكون الدنيا بعض أطراف هذا العالم.

من هو المحسن

يذكر القرآن الكريم مسألة السلام في حق بعض الأنبياء الآخرين ثم يقول بعد ذلك **﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾**، والمحسن يطلق على الإنسان الصالح، الذي تكون ذاته طاهرة ونقية، وعمله حسن صالح.

وعلى هذا فلو كان الإنسان حال موته في حالة ضيق وعذاب فإنه لا يكون متمتعاً بالسلام والسلامة، كيف يكون سلام الله على شخص إذ لم يكن سالماً ومصوناً في عالم البرزخ. إذ أن السلام الذي يطلقه الله تعالى ليس مسانخاً لسلاماتنا التي نتعامل بها فيما بيننا، لأن السلام تحية وتسليم وليس بدعاء، ولذلك فإن الإنسان لو سلم في صلاته عمداً فصلاته تكون باطلة، لأن السلام ليس دعاء أما كلام الله فهو فعله بمقتضى كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول (لا بصوت يسمع ولا نداء يقرع إنما علامة فعل منه)[1].

كلام الله وحقيقته

إن كلام الله تعالى ليس بصوت بحيث يسمعه الإنسان بل هو فعله وعمله، فعندما يسلم الله تعالى على شخص لا يراد بذلك لفظ السلام وإنما

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٦.

المراد جعل هذا الإنسان سالماً مسلَّماً، وهذا السلام يصدر منه في حق جميع العباد بشرط أن يكونوا محسنين ـ أما أنه كيف كان الأنبياء عليهم السلام سالمين في المرحلتين الأخيرتين فالسرّ فيه أنهم كانوا سالمين في مرحلة الدنيا أي من حين الولادة إلى حين الموت، وكانت نتيجة هذه السلامة المذكورة تأمين سلامتهم في المرحلتين التاليتين أعني البرزخ والقيامة، أما السبب في سلامتهم في أولى المراحل فهو كامن في أنهم كانوا ذاكرين للمرحلتين المتأخرتين. فبناء على ما ذكر، يكون ذكر هذه المراحل ـ ذكرى الدار ـ داعياً للإنسان لأن يحيى حياة صالحة في المرحلة الأولى وهي مرحلة الدنيا.

من احد اسماء يوم القيامة يوم الحسرة

يعبر القرآن الكريم عن يوم القيامة بيوم الحسرة، لأن الجميع في ذلك اليوم الصالح منهم والطالح يكون متأسفاً متحسراً **﴿وانذرهم يوم الحسرة﴾** مريم: ٣٩ ـ أما الأول فيتحسر على عدم إكثاره من العمل الصالح، وأما الثاني فعلى أعماله السيئة وما صدر منه من الذنوب.

يقول تعالى بعد ذكر المسيح عليه السلام في سورة مريم **﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾** ٣٧ ـ والمشهد يعني المحضر والشهود هو الحضور فليس ذلك اليوم يوم غيبة.

اللسان يوم القيامة تحت تصرف الملكات وفي اختيارها

يقول تعالى في سورة النساء **﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾** أي أنه لا أحد يستطيع أن يكتم شيئاً من كلامه ويخفيه في باطنه، بل كل ما كان في باطنه يقوله ويظهر على لسانه، فالجميع يتكلمون لكن لسانهم ليس في اختيارهم وإنما هو تحت تصرف ملكاتهم وأخلاقهم. وبيان ذلك:

إن لسان الإنسان في الحياة الدنيا يكون تحت تصرفه على نحو يستطيع إخفاء ما يريد في داخله كما أنه يتمكن من الكلام على خلاف معتقداته وقناعاته واللسان وسيلة للامتحان الإلهي. أما في يوم القيامة فإنه ليس في اختياره، فالشخص يتكلم عند النوم وكل واحد من النائمين إنما يتكلم على أساس خصاله وملكاته الباطنة، فلو كان هناك عشرة أشخاص نائمين في مكان ما فكل من أراد أن يتكلم منهم إنما يتكلم عما يهمه ويتعلق به من الأغراض التي من أجلها جاء إلى هذا المكان.

كما أن الشخص في وقت الامتحانات المدرسية مثلاً إذا تكلم في حالة النوم يتكلم عن الإمتحان والكتاب والصف ونحو ذلك.

وهكذا المريض فلو تكلم عند النوم فإنما يتكلم عن الطب والعلاج والمرض ونحوها ومثلهم في ذلك التاجر فإن كلامه مطابق لميولاته النفسية واهتماماته مما يتعلق بالتجارة وأوضاعها، وكل ذلك على طبق المثل القائل يرى الجمل في النوم حبوب القطن، ويرى أنه تارة يأكلها حبة حبة وأخرى قبضة قبضة هذا، وبمجرد مواجهة الإنسان للموت فإن لسانه يخرج عن تصرفه واختياره ويكون تحت تصرف خصاله وملكاته.

النوم أخ الموت

إن الإنسان يتكلم بعد الموت ولكن هل أن كلامه تحت اختياره وتصرفه؟ لو كان الأمر كذلك لتمكن الإنسان من إخفاء بعض المسائل في نفسه مع أن القرآن الكريم يقول **﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾**، بل يتكلم بكل ما عنده سواء كان بنفعه أو ضرره، لأن يوم القيامة يوم المشهد والحضور، يوم تظهر فيه البواطن **﴿يوم تبلى السرائر﴾**[1] وبما أنه يوم الحضور فلا محل لإخفاء شيء وكتمانه.

---

(١) الطارق: ٩.

أمنية الكافر والعاصي يوم القيامة

يقول تعالى في سورة النساء **﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾** ٤٢ ـ وهذا نفس المضمون الذي ينقله تعالى عن الكافر في مقام تمنّيه إذ يقول **﴿يا ليتني كنت تراباً﴾** النبأ: ٤٠ ـ وهذا التمني لعدم تمكنهم من الكتمان لأن اللسان آنذاك ليس في اختيار انسان، بل العمل هو الذي يأمر اللسان بقول كذا أو كذا، وحينئذ ما يكون كامناً في نفسه هو الذي يبدو ويظهر.

سور أربع شيبت النبي ﷺ

نقل عن النبي ﷺ أنه قال (شيبتني سورة هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون) يظن البعض ـ كالحكيم السبزواري وغيره ـ إن السرّ في تشييب هذه السور للنبي ﷺ هو ورود قوله تعالى فيها **﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾** هود: ١١٢.

الذي شيب النبي ﷺ هو ذكر المعاد

ولكن العلامة الطباطبائي قده يقول في هذا المجال: إن الدعوة إلى الاستقامة لم ترد في كثير من هذه السور المذكورة وإنما الأمر المشترك بينها كلها هو مسألة المعاد وأحوال يوم القيامة. فبيان وقائع يوم القيامة وتفصيلها هو الذي يشيب الإنسان **﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾** المزمل: ١٧ ـ فمن أوصاف يوم القيامة أنه يشيّب الصغير، وذلك أما لأنه بمقدار من الطول بحيث يشيب فيه الصغير لامتداده وإما أن يكون المراد وقوع حادثة صعبة وشاقة فيه تشيب الولدان.

يوم القيامة يوم الحوادث القاصمة للظهر

من أحد الأوصاف التي يذكرها تعالى ليوم القيامة، وقوع حوادث قاصمة للظهر ﴿**تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ القيامة : ٢٥ .

يقول تعالى في سورة القيامة ﴿**لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ : إن الله تعالى يقسّم في هذه السورة ملامح الناس إلى أقسام فيقول ﴿**ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ أي أن هناك قسم من الناس وجوههم باسرة يظنون أن سيعاملون معاملة فاقرة .

المعنى اللغوي للفظ فاقرة

الفاقرة تطلق على الحادثة التي تكون قاصمة للظهر، أي تكسر العمود الفقري للإنسان، والفقير في الأصل لا يطلق على من لا مال له، إذ أنه يسمى فاقد لا فقير، وإنما يطلق الفقير على من كان عموده الفقري مكسوراً بحيث لا يستطيع النهوض إلا أن الفقير لما كان لا يستطيع النهوض بأمره وإدارة أحواله من الجهة الاقتصادية يقال له فقير، فالفقير هو من لا يستطيع النهوض والقيام أصلاً ويكون متكسر الفقرات لوقوع حوادث قاصمة للظهر عليه، فكل من تقع عليه حوادث فاقرة لظهره يكون فقيراً .

لا ولي سوى الله يوم القيامة

إن الحوادث الجارية في يوم القيامة في مستوى من الصعوبة بحيث أنها تكون قاصمة لظهر الإنسان ولا تبقي له قدرة على القيام وبمرتبة من الشدة بحيث لا سبيل معها للوقوف، وليس هناك من يعين الإنسان في ذلك الموقف، فلا هو يستطيع حماية نفسه، وليس له من ينصره ويحميه في ذلك الموقف الحرج، وذلك لأنه ليس له ولي سوى الله تعالى .

وبما أن تذكر ذلك الموقف وذلك اليوم يشيب الإنسان. لأجل ذلك قال ﷺ شيبتني هذه السور.

فالعلامة الطباطبائي يرى أن تشديد هذه السور على مسألة القيامة هو السرّ فيما قاله ﷺ.

وفي مقابل هذه الآية آية أخرى تقول **﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾** حيث تتحدث عن جماعات آخرين وتصفهم بالغضارة والطراوة والنظر إلى ربهم.

وحينئذ فإن أراد الإنسان أن لا يبتلي بتلك الحوادث الفاقرة للظهر فعليه أن يسير على الطريق الذي حدده الله تعالى له في الدنيا حيث يقول **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾** فاطر: ١٥ ـ فإذا لم يكن الإنسان قادراً على القيام إلا بالله، فإنه حينئذ لا تصدر منه أعمال في غير محلها، يرى نفسه فقير، لا يرى لنفسه أي قدرة، يرى نفسه أمام الله مكسور الظهر.

امر النبي ﷺ لابن مسعود بقراءة القرآن

إن النبي ﷺ الذي هو بنفسه قرآن ناطق حي متحرك (وكان خلقه القرآن) كان يقول شيبتني هذه السور.

ونقل عنه ﷺ أنه أمر ابن مسعود بأن يقرأ له شيئاً من القرآن ففتح ابن مسعود المصحف فصادف سورة النساء فقرأ منها إلى أن وصل إلى قوله تعالى: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** النساء: ٤١ فسالت دموعه ـ صلوات الله عليه وآله ـ على خديه وقال كفى، فتوقف ابن مسعود حينئذ عن التلاوة.

تذكر المعاد هو العامل في ايصال النبي إلى المقام الشامخ

بناءً على ما تقدم فإن الأمر الذي أوصل النبي ﷺ إلى ذلك المقام

الرفيع هو ذكرى الدار، تلك البركات التي كان يتحلى بها يحيى الشهيد وعيسى المسيح كان منشأها المعاد وذكرى الدار، وذلك السلام الأبدي الذي امتاز به نوح وغيره من الأنبياء كان سببه المعاد حيث تغلغل ذكره في قلبه وببركته قطع مرحلة الدنيا واجتازها بسلامة، وبذلك أيضاً تكون عاقبته من خير العواقب.

خلاصة الدرس العاشر

١ ـ وطن الإنسان الحقيقي هو ذلك المكان الذي أتى منه، وهو محضر الله تعالى لأنه أتى من هناك، ويجب على الإنسان أن يكون ذاكراً على الدوام لوطنه حتى يعود إلى هناك.

٢ ـ إن أهم المراحل وأوحشها، من المراحل التي ينتظرها الإنسان أو يكون قد اجتازها هي مراحل ثلاث وهي عبارة عن مرحلة الولادة والموت والبعث، لأن الإنسان لدى خروجه من الرحم إلى عالم الطبيعة يرى أموراً لم يكن قد رآها، وعندما يموت ويرد عالم البرزخ يشاهد حقائق لا يمكن قياسها بعالم الطبيعة، وعندما يتجاوز عالم البرزخ ويصل إلى عالم القيامة يشاهد أحكاماً وأحوالاً لم تمرّ معه في المراحل السابقة.

٣ ـ إن الأنبياء والأولياء يكونوا سالمين وطاهرين في هذه المراحل الثلاث ويتحلّون بالأمن والأمان فيها، وقد ذكر كل من عيسى ويحيى عليهما السلام كنموذج لذلك.

٤ ـ إن الشخص الذي يقضي عمره ويجتاز مرحلة الدنيا سالماً فإنه سوف يتمتع بالسلامة والأمن في عالمي البرزخ والقيامة، ولن يتعرض للعذاب والشدائد وسيجتاز المراحل كلها بسلامة.

٥ ـ تارة يبين الله تعالى هذه المراحل على نحو التفصيل، كما حصل ذلك لدى ذكر عيسى ويحيى، وأخرى على نحو الإجمال كما حدث عند ذكر نوح عليه السلام حيث يقول ﴿**سلام على نوح في العالمين**﴾ أي سلام عليه في كل العوالم الشاملة لعالم الطبيعة والبرزخ والقيامة، ولا اختصاص لذلك بالجوامع البشرية.

٦ ـ المرحلة العالية للسلام مختصة بالأنبياء، والمراحل الأدنى من ذلك تكون شاملة للعباد الآخرين، وكل من لم يعرض نفسه عمداً للتلوث والظلمات فإنه سوف يتحلى بالنور الإلهي الذي هو عبارة عن هذا السلام من الله.

٧ ـ لفظ المحسن يطلق على من كان تقيّ النفس طاهراً وكان عمله صالحاً وذكر المعاد يوجب أن يكون الإنسان في المرحلتين الأوليتين سالماً أيضاً.

٨ ـ من أحد أسماء يوم القيامة يوم الحسرة، لأن الجميع فيه متأسفون متحسرون، أما الطالح فلما اجترحه من السيئات وأما الصالح فلعدم ازدياده من العمل الصالح الذي فعله في الدنيا.

٩ ـ لا يتمكن أحد في يوم القيامة من كتمان شيء لأن اللسان في ذلك اليوم يكون تحت اختيار ملكات الإنسان وأخلاقه لا تحت تصرفه بخلاف الدنيا إذ أنه فيها يكون مسيطراً عليه.

١٠ ـ من أسماء يوم القيامة ـ ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾ ـ لأن ذلك اليوم يوم حضور وتكون كل السرائر والبواطن ظاهرة بادية ولذا يود الكفار والعصاة لو تسوّى بهم الأرض.

١١ ـ من أوصاف يوم القيامة أنها تجعل الولدان شيبا، ولذا قال ﷺ شيبتني سورة هود والواقعة والمرسلات، وعمّ والحكيم السبزواري وإن كان يرى بأن السرّ في قوله ﷺ ذلك، هو أنه قد أُمر فيها بالاستقامة هو وأتباعه،

إلا أن العلامة الطباطبائي يذكر بأن السر في ذلك هو مسألة المعاد وحوادث القيامة ووقائعها، وذلك هو الأمر المشترك بينها كلها.

١٢ ـ من أحد أوصاف يوم القيامة وقوع حوادث فاقرة للظهر فيه على نحو لا يستطيع معه الإنسان على النهوض والقيام، كما أنه ليس له فيه ناصر ولا معين.

١٣ ـ الذي يصان غداً من تلك الحوادث الفاقرة، هو الذي يرى نفسه فقيراً في الدنيا، والذي يرى نفسه فقيراً في الدنيا، هو الذي يكون قيامه لله واتكاله عليه.

١٤ ـ إن العامل الذي وصل بالنبي إلى ذلك المقام الشامخ هو ذكرى الدار كما أن ما حازه الأنبياء من الخيرات والبركات كان من آثار المعاد وتذكرة سنتعرض في البحث القادم إلى آثار المعاد في إزالة حب الدنيا والميل إليها.

الدرس الحادي عشر

موانع تذكر يوم القيامة

المانع عن التحرك الصعوبة والإنهماك

تقدم فيما سبق أن هدف الأنبياء إيصال الإنسان وهدايته إلى النور ليقوم بالقسط، وهذا الأمر لا يمكن تحققه إلا بالتحرز عن طلب الرفاهية والإسراف والترف فإنه في ظلال التذكر للمعاد والعيش في أجواء يوم القيامة يتمكن الإنسان من غض نظره عن بعض المسرات، كما أنه يمكنه الإنصراف عن بعض الملذات في سبيل تحقيق هدف الأنبياء وتحصيله، فإن الإنسان قد لا يتمكن من الوصول إلى الهدف نتيجة لانشغاله وانهماكه، أو لصعوبة السبل التي ينبغي عليه تهيئتها للوصول إليه فإن التعب والصعوبة والمشقة قد تقف مانعاً أمام انطلاق الإنسان وتحول بينه وبين طي الطريق الموصل إلى الهدف.

كما أن اللذات الزائلة والانهماكات والارتباطات والمشهيات قد تلعب نفس الدور أيضاً، فإذا اشتغل الإنسان بواحدة من هذه الأمور المذكورة. فإنه قد يتأخر عن القافلة وبالتالي لا يصل إلى هدفه.

والعامل المؤثر في التخلص من هذين المانعين ـ أعني المصاعب، والانشغال بالملذات ـ هو ذكر المعاد.

نقل عن النبي ﷺ أنه قال(حب الدنيا رأس كل خطيئة)[1] إن الملذات والمشتهيات تجذب الإنسان نحوها وتشغله بنفسها، فإذا علم الإنسان أن أمامه هدف نبيل وطريق طويل فإنه لا يدع نفسه تنهمك بها أصلاً، إذ أنه بنفس المقدار الذي يشتغل به فيها فإنه يبتعد عن الهدف، كما أنه بنفس المقدار الذي يبتعد فيه عن الهدف ينهمك فيها وينشغل بها، ولذا فإن القرآن الكريم وتفادياً لهذا الخطر ـ خطر الانهماك بالملذات والابتعاد عن الهدف ونسيانه ـ قد ذكر نموذجاً لعاقبة السير في هذا الطريق، ليعتبر به الإنسان حتى لا ينتحي هذا المنحى ولا ينتهج هذا النهج، وهو قصة قارون فإنها مثال بارز في هذا المجال، أما لماذا ابتلي قارون بهذه الآفة، وكيف كانت نظرة أصحاب الفكر المحدود لدنياه البراقة الخادعة، وكيف كان موقف أهل العلم والعقل إزاءها، فهذا كله ما يبينه القرآن الكريم.

يقول تعالى ابتداءً في سورة القصص في مقام ترسيم خط كلي عام ما مؤداه إن كل ما تحت اختياركم من اللذات إنما هو متاع الحياة الدنيا، وإياكم والإنقياد إليها والإنهماك بها، فإن بعد هذه الدنيا هناك آخرة وحياة أبدية دائمة.

الدنيا بمعنى الأدنى، وإنما يقال لهذا العالم، الدنيا لكونه أخس العوالم وأدناها مرتبة وليس هناك عالم أدنى منه، ومن مأثورات أمير المؤمنين عليه السلام قوله في مقام بيان وجه أخسيّة الدنيا أنه (لا يعص الله إلا فيها ولا ينال ما عند الله إلا بتركها)[2] وعلى هذا فلا عالم أدنى من هذا العالم ولذا يسمى بالدنيا.

---

(١) أصول الكافي ج٢.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٣٨٥.

يقول تعالى في هذه الآية المذكورة ﴿**فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا**﴾ الشورى: ٣٦.

يعني أن هذه الملذات الزائلة متاع أخس العوالم وأدناها، ومتاع أخس العوالم هي بالطبع أخس أنواع المتاع الإنساني أي في حدود الحياة الحيوانية.

فبما أن اللذات العالية والسامية لا توجد في أخس العوالم وأدناها وأنزلها مرتبة لذا قال تعالى: ﴿**فما أوتيتم من شيء**﴾.. الخ إذ أن الزينة واللذة والمتعة لا يمكن أن تكون عالية سامية وتكون واقعة في عالم خسيس، لأن ملذات العالم الخسيس خسيسة ودانية، كما أن العالم الرفيع والراقي تكون لذته وزينته رفيعة وراقية يقول تعالى ﴿**حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**﴾ الحجرات: ٧ يبين تعالى في هذه الآية معنى الرشد فيقول أن الرشد يتحقق بتحقق أصول خمسة وهي حب الإيمان، وكونه مزيناً في القلب وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، فالأقسام الثلاثة الأخيرة من صفات المؤمن السلبية والصفتان الأوليتان من صفاته الإيجابية ـ فالإيمان ينبغي أن يكون محبوب قلب المؤمن وأن يكون مزداناً في قلبه، فالإيمان خير المتاع وخير الزينة في أرفع العوالم وأعلاها.

الزينة واللذة السامية

بما أن الدنيا أنزل العوالم وأدناها فكذلك لذتها وزينتها بالنسبة إلى سائر اللذات، ﴿**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها**﴾ ولكن ﴿**وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**﴾ القصص: ٦٠ فما عند الله من السعادات والملذات أرفع مقاماً وأعلى من سائر الملذات بداهة أن أعلى مراتب الوجود تكون لذائذه أرفع من سائر لذات العوالم النازلة يقول تعالى في سورة آل عمران ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من**

الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ ١٤ ـ فهذه كلها مزينة والجميع زينة ولكنها زينة أخس العوالم وأنزلها ولا زينة أسفل منها فهذه الزينة السفلى قد بينتها سورة آل عمران، وتلك الزينة العليا قد أوضحتها سورة الحجرات والأصل الكلي لذلك قد بُين في عدة مواضع من القرآن الكريم أحدها قوله تعالى في سورة القصص **﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾** ٦١ ـ يعني أننا قسمنا العالم إلى عالمين أحدهما عالم رفيع عال مع لذات رفيعة وعالية، والآخر عالم نازل خسيس مع لذات كذلك. والذي يميل نحو المعصية ويتمرد على أوامره تعالى فإنه يخسر رصيده ويُحضر يوم القيامة للسؤال والجواب والذي يميل نحو السمو والترقي يصل إلى لقاء الله وما أعده له وسيحصل على النعيم الأبدي لأن ـ **﴿وما عند الله خير وأبقى﴾** ـ فهذان قسمان وهما لا يستويان قط الشخص الذي وعدناه وعداً حسناً وهو لاقيه هل هو مثل الذي متعناه متاعاً زائلاً فانياً وسيكون يوم القيامة من المحضرين هل هما متساويان من هذه الجهة. لا ليسا كذلك أصلاً، فهذا أصل كلي.

سبب سقوط قارون

ثم أنه تعالى بعد ذكر عدة آيات يتعرض لقصة قارون، لنرى ما ... العامل في هذا الخطر التاريخي الذي كان الباعث لسقوط قارون ومن يحذو حذوه في التفكير، وما السبب في نجاة أهل العلم والعقل وحفظهم من هذا الخطر، العامل الوحيد في نجاة هؤلاء عدم غفلتهم عن المعاد والقيامة كما أن الباعث لسقوط أولئك هو الغفلة عن هذا الأمر المذكور يقول تعالى في مطلع القصة **﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة﴾**[1] فقارون كان من قوم موسى حتى

---

(١) القصص: ٧٦.

أنه ينقل ظاهراً أنه كان من المؤمنين به إلا أنه على أثر التكاثر والازدياد بدأ بالظلم والبغي والمفاتح أما جمع مِفتَح أي مفتاح، وأما جمع مَفتَح أي خزينة وحاصل المعنى إنا قد آتيناه من المفاتيح أو من الخزائن ما يتعب حمله الجماعة القوية.

الدنيا وسيلة نيل الكمال

﴿إذ قال له قومه لا تفرح﴾ لأنه **﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾** فالإنهماك بالملذات يحرم الإنسان من حب الله له **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾** أي اجعل ما عندك في هذه الدنيا وسيلة لنيل الآخرة **﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾**[1] أي عالم الحياة الذي لا موت فيه عالم حيّ خالد، وماء الحياة فيه.

في القرآن الكريم نسب هذا العالم إلى جماعة خاصة **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** أي لا تنسى هذه النعمة وهي ما أوتيه الإنسان من القوى والطاقات والحظوظ في الدنيا.

اغتنم النعم

قالوا اغتنم أموراً قبل أمور، فراغك قبل شغلك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك وشبابك قبل هرمك، فلا ينبغي الغفلة عن هذه النعم **﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾** أي لا تنسى هذا النصيب وهذه المواهب الدنيوية وأنفقها في سبيل تهيئة الزاد ليوم المعاد.

﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أي أحسن لنفسك كما أحسن الله إليك

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

وذلك لأنه ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**﴾ الإسراء: ٧ ـ ﴿**ولا تبغ الفساد في الأرض**﴾ فلا يحق لك أن تظلم أحداً كما لا يحق لك إفساد المحيط الاجتماعي لأن ﴿**إن الله لا يحب المفسدين**﴾ هناك قال له قومه ﴿**إن الله لا يحب الفرحين**﴾، وهنا قالوا له ﴿**إن الله لا يحب المفسدين**﴾ هذا حاصل نصيحة قومه له والذي دعاهم إلى نصيحته ونهيه عن المنكر هو ذكرهم للمعاد وعدم غفلتهم عنه. أما جوابه لهم فقد كان ﴿**قال إنما أوتيته على علم عندي**﴾ علمي بطرق التنمية الاقتصادية.

يذكر القرآن الكريم أصلا كلياً وهو أن الناس ليسوا سبباً تاماً لحصول الأموال والثروات عندهم، فهي تعطي للإنسان لا أنه هو المحصل لها ولذا يؤتى بالفعل عادة بصيغة المجهول فيقال (أوتيتم) ومنه يعلم أن المعطي شخص آخر والله تعالى يعطي إلى حدٍ ما بغرض الامتحان يقول تعالى في سورة الفجر ﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن**﴾ وحاصله إن الله قد يعطي جماعة من الناس مقداراً وافراً من النعم، كما أنهَ قد يقتر على آخرين أرزاقهم وليس ذلك إلا لغرض الامتحان ليرى كيف يكون صبر الثاني وشكر الأول بالإضافة إلى أن إعطاء الأول ليس تكريماً له كما أن منع الثاني ليس بتوهين وتحقير، بل المنشأ لذلك كله هو امتحان الناس ليُرى ما يكون منهم وهنا يقول قارون أنا الذي تعلمت سبل تحصيل المال والثروة وسعيت في ذلك حتى صرت مالكاً غنياً، ويجيبه القرآن الكريم ببيان سنة الله تعالى الجارية فنقول ﴿**أو لم يعمل أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً**﴾ والمستفاد من الآية أنه قد كان في التاريخ أناس نظراء قارون من حيث الثروات المالية وإن الله تعالى قد أهلكهم ببغيهم وإن قارون سار على نفس الطريق الذي سار عليه هؤلاء وإن الآفة التي عرضت لهم عرضت له أيضاً ﴿**ولا يِسأل عن ذنوبهم المجرمون**﴾ لأنه لا حاجة للسؤال عن ذلك فإن الله تعالى محيط بها.

يعرف المجرمون بسيماهم

يقول تعالى في سورة الرحمٰن **﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان﴾** وذلك لأنه **﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والإقدام﴾** : ٤١ ألم السيما أي العلامة والسمة، والموسوم المعلَّم وليس المراد بالسيما الوجه. في ذلك اليوم تكون رؤوس المجرمين وأقدامهم مجموعة مغلولة مقيدة.

لا شك أن السؤال سيقع في بعض المواطن يقول تعالى **﴿وقفوهم أنهم مسؤولون﴾** الصافات: ٢٤ إلا أنه في المواطن الأُخر لا موضع للسؤال لمعروفية المجرمين بسيماء خاصة وبالرغم من هذا النصح والتحذير والأخذ والرد وتمامية الحجة على قارون نراه يخرج على قومه غارقاً في زينته **﴿فخرج على قومه في زينته﴾** ويستفاد من قوله **﴿على﴾** أنه خرج إليهم خروج استعلاء واستكبار، خروج فخر وكبرياء بمعنى أن ذلك كان ظاهراً من سيره ومسلكه لدى خروجه على قومه المستضعفين الغير متمكنين مادياً كما أنه يستفاد من قوله **﴿في﴾** كونه غارقاً في زينته، إذ أنه محاط بالزينة من كل جهة، فمركبه مزين وحشمه وخدمه مزينون وهو بنفسه أيضاً يعلوه مقدار وافر من الزينة، والحاصل أنه خرج على قومه خروج استعلاء حالة كونه غارقاً في زينته.

طلاب الدنيا ذوو النظر القاصر

يبين تعالى في هذا المجال نظرة أهل الدنيا أصحاب النظر القاصر، ونظرة أهل العلم والعقل أصحاب النظر الثاقب فيقول **﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثلما أوتي قارون أنه لذو حظ عظيم﴾** يتمنى هؤلاء القصّر المرتبطين بالدنيا والمتعلقين بأخسّ العوالم وأنزلها الذين جعلوا الدنيا هدفهم ومقصودهم أن يكون لهم مثلما لقارون وهذا منهم على نحو الغبطة دون الحسد أي أنهم لا يتمنوا أن يزول ما عند قارون ويكون لهم بل

أمنيتهم أن يُعطوا كما أعطي قارون مع بقاء ماله له، فليت لنا هذا الحظ العظيم الذي هو له.

أما أولئك الذين كانوا يتحلون بموهبة العلم الإلهية فقد كان كلامهم. إن هذه المظاهر والمغريات ليست بزينة وليست خيراً وإنما الخير شيء آخر وفي مكان آخر ﴿ويلكم﴾ ما هذه الأماني التي ترغبون بها وتودوا أن تكونوا مثل قارون، فإن ثواب الله خير للمؤمن ذي العمل الصالح.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام

حقيقة الذهب والفضة

أتى صاحب حاجة إلى علي عليه السلام وقال، عليّ دين ولا أقدر على قضائه، وطلب منه شيئاً، فقال عليه السلام لوكيله أعطه ألفاً يقضي به دينه ويصلح به حاله، فقال له الوكيل، أعطيه ألف دينار أو ألف درهم، ـ ألف مثقال من الذهب أو من الفضة ـ؟ فقال عليه السلام (كلاهما عندي حجران أعطه أنفعهما بحاله)[1] فكلاهما حجر غايته أن أحدهما أصفر والآخر أبيض، وليس فيهما كمال حتى يحصل الإنسان عليه من خلالهما، فهما كسائر الأحجار، إلا أنهما لعوامل معينة صار أحدهما أبيض والآخر أصفر.

العلم يهب النور للإنسان

العلم هو الذي يهب للإنسان النور حتى يميز بين الشيء السامي الرفيع، وبين الشيء الداني الحقير، فإن الإيمان بمفرده غير كافٍ في المقام،

---

(١) بحار الأنوار: ٤١ ـ ٣٢.

فينبغي أن يكون للإنسان إلى جانب إيمانه واعتقاده عمل صالح، أي يجب أن يكون جامعاً بين الحسن الفعلي والحسن الفاعلي، نفس صالحة وعمل صالح، فلو كان مؤمناً ولم يكن له عمل صالح أو بالعكس بأن كان ذا عمل صالح ولم يكن مؤمناً فإنه سوف لن يحصل على الثواب الجزيل.

تارة يبين الله تعالى ارتباط العالِم بالله وعلاقته به فيقول **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** فاطر: ٢٨.

وأخرى يبين موقعية العلماء وموقفهم إزاء المتمولين والأغنياء، وهذا كله بيان لإبعاد العلم، فالقرآن العلم هو أن يقف الإنسان في مقبال الثروات والمتمولين، أن يقف في وجه طلب الدنيا، وليس في وجه صاحب الثروات فحسب، بل في وجه الثروات والغنى أيضاً حتى يستطيع النجاة بنفسه فيما لو تعرض هو لذلك، فإن بعض الناس قد يقفوا في وجه المتمولين والأثرياء، ولكن إذا وصل الأمر إليهم وصاروا أصحاب ثروات يتحولون إلى مستكبرين، فهؤلاء إنما وقفوا في وجه أصحاب الثراء والغنى لا في وجه الثراء والغنى، أما العالم فإنه يقف في وجه الثراء في وجه التمول ولا يدع أحداً ينخدع بها، فلا ينخدع هو بذلك، كما أنه لا يدع أحداً ينخدع أيضاً، ولا يسمح بأن تكون الثروات وسيلة اليد القوية، بحصولها فيها.

وعلى هذا الأساس صاح أولوا العلم بأولئك القاصرين ذوي النظر المحدود**﴿ويلكم﴾** ما هذه الأماني والرغبات، ومن هنا يعلم أن هؤلاء القاصرين كانوا مستضعفين من الناحية الفكرية أيضاً بالإضافة إلى استضعافهم المادي، والعالِم هو الذي يعين المستضعف الفكري ويأخذ بيده، كما أنه يمنع المستكبر من أعمال قدرته عليه وإخضاعه لسيطرته.

وفي نظر القرآن أن نسيان المعاد والغفلة عنه هو الموجب لسقوط قارون إلى هذا المستوى **﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾** وهكذا تنشق الأرض لتبتلع كلا من قارون ومركز ثروته، ولم يستطع الدفاع عن نفسه كما لم يهبّ أحد لمساعدته **﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من**

المنتصرين﴾ القصص: ٨١ ففي مقابل القدرة الإلهية لا يتمكن المرء من الدفاع عن نفسه كما لا يتمكن أحد من مساعدته.

المال والثروة وسيلة للامتحان الإلهي

يقول تعالى وبعد أن استقر قارون هو وأمتعته وداره وأملاكه في جوف الأرض **﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾** هؤلاء ـ أصحاب الآمال والأماني الباطلة ـ الذين كانوا يتمنون بالأمس أن يكونوا مثل قارون في الحظ والرزق أدركوا بأن عدم تملكهم لما كان يملكه قارون كان برحمة من الله، وعلموا بأن الله يعطي ما يشاء لمن يشاء من المال على نحو الامتحان وأن كلا من السعة في الرزق والضيق فيه إنما هو بغرض الامتحان **﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾**.

وبيان القرآن في كل هذه القضية هو **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علّوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾** القصص: ٧٦ ـ ٨٣، ذلك العالم الرفيع، تلك الحياة الأبدية الخالدة ـ لأن عالم الآخرة عالم الحيوان لا موت فيه ـ تلك الدار السامية ـ المعبّر عنها بتلك ـ إنما هي لمن لم يكن من أهل العلو والاستكبار والفخر والكبرياء وذلك لقول القرآن الكريم **﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾**.

فالذين يكونوا منزهين عن هذه الخصال والسجايا هم الفائزون بالدار الآخرة وعاقبة الأمور الأمور إنما هي للمتقين.

فالسبب في ابتلاء قارون بما ابتلي به نسيان الآخرة والمعاد، والدافع لبعض الناس للوقوف في وجهه تذكر الآخرة والمعاد، والداعي للبعض الآخر لتمني الحصول على ما حصل عليه قارون نسيان الآخرة والمعاد، والذي دعى أهل العلم للوقوف في وجه هؤلاء القاصرين المستضعفين تذكر الآخرة والمعاد والنتيجة التي يمكن استخلاصها مما تقدم: إن الدنيا

ولذائذها وزخرفها وزينتها من عوامل إنشغال الإنسان وانهماكه، ومن العوامل المعوقة للمسافر إلى الله تعالى عن السير والحركة، والشيء الوحيد الذي يحفظ الإنسان من هذا التورط هو الكون على ذكر من الدار الآخرة ويوم القيامة، وكذلك فإن الباعث للسحرة على الصمود أمام تهديدات فرعون وتعذيبه وتنكيله تذكر المعاد والآخرة، تذكر الآخرة يدعو الإنسان إلى التحمل في ميادين القتال ويحفظه من التورط والإنهماك في الدنيا، خلف ميادين القتال، فهو يحفظ الإنسان من خطر لذة الحياة ومن خطر مرارتها ومصاعبها وعذابها، فالعامل الذي يحفظ الإنسان في كل الميادين، ذكرى الدار.

خلاصة الدرس الحادي عشر

١ ـ إن المانع عن حركة الإنسان ووصوله إلى هدفه والسير نحو الله تعالى هو أولاً التعب وصعوبة الطريق وثانياً متع الدنيا وزينتها والإنهماك بها والعامل المهم في حفظ الإنسان من ذلك وفي رفع تلك الموانع، تذكر الآخرة.

٢ ـ بما أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وغفلة وزلة، وموجب لغفلة الإنسان عن هدفه وعدم وصوله إلى مقصده، فإن القرآن الكريم يطرح قصة قارون، حتى يُعلم السبب في سقوط قارون، ووصوله إلى ذلك المصير.

٣ ـ اللذائذ التي في متناول يد الإنسان والتي تجذبه نحوها متاع الحياة الدنيا وقصيرة الأمد وبعدها توجد آخرة دائمة وأبدية.

٤ ـ إنما سميت الدنيا دنيا لكونها أنزل العوالم وأخسّها وأدناها مرتبة، والسر في كونها كذلك أمران أحدهما أنه لا يعص الله إلا فيها والآخر أنه لا ينال ما عنده إلا بتركها.

٥ ـ إن رشد الإنسان في نظر القرآن الكريم يكمن في تحقيقه لأصول خمسة ١ ـ العلاقة والمحبة بالاعتقاد الحق ٢ ـ جعل الإيمان زينة القلب ٣ـ ٤ـ ٥ـ كراهة الكفر الفسوق والعصيان.

٦ ـ العالم عالمان أحدهما رفيع وسامي مع زينة رفيعة وسامية وآخر داني خسيس مع زينة دانية خسيسة والتي هي عبارة عن النساء والبنين والذهب والأنعام ونحوها، فإن مال الإنسان نحوها فقد ابتعد عن أوامر الله وكان من الخاسرين، وإن مال نحو السمو والرقي فسوف يحظى بلقاء الله وما أعده له من النعيم الأبدي.

٧ ـ إن من أهم العوامل الباعثة على سقوط قارون نسيانه للمعاد وغفلته عنه.

٨ ـ على الإنسان أن يعرف قدر النعم، ويغتنم الفرصة في الاستفادة منها بالشكل المطلوب.

٩ ـ ليس المال وكثرته دليلاً على كرامة الإنسان عند الله، كما أن عدمه وقلّته ليس دليلاً على كونه هيّناً عليه، بل كل من الفقر والغنى وسيلة للامتحان الإلهي ليعلم صبر الأول وشكر الثاني.

١٠ ـ إن من السنن الإلهية الجارية، إن من يغتر ويطغى تجاه الحق، فسوف يتعرض للهلاك والإبادة، مهما كان قوياً متمكناً غنياً.

١١ ـ الذي يكسو الإنسان النور هو العلم، والذهب والفضة حجران لا أكثر.

١٢ ـ العالم هو الذي لا ينقاد ولا يخضع أمام الثراء والأثرياء، ولا ينخدع بذلك، كما أنه لا يدع أحداً ينخدع بها.

١٣ ـ عاقبة الحياة للمتقين المنزهين عن العلو والاستكبار والفخر لأن الله يحب المتقين، ولا يحب كل مختال فخور.

الدرس الثاني عشر

عبادة الهوى منشأ نسيان يوم القيامة

قد تلخص من البحوث المتقدمة إن أهم العوامل تأثيراً في تحقق هدف الأنبياء تذكر الآخرة، وإن المانع للإنسان عن السير في طريق الله أما الدنيا وزينتها وزخارفها التي تجذبه نحوها، وأما التعب والمشقة وصعوبة الطريق ولا بد للإنسان من رفع هذه الموانع من طريقه ليتسنى له تأمين حياته الأبدية الخالدة.

وقد ورد في نهج البلاغة عن رسول الله ﷺ أنه قال (حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات)[1] فالجنة محاطة من كل جهاتها بالمكاره والمشاق والمصاعب، ولكن النار محاطة كذلك بالملذات والمغريات، فإذا انجذب الإنسان إليها وسار في هذه الطريق واستمر في سيره فإن آخر الطريق جهنم، وكذلك وسطه فإنه جهنم أيضاً إلا أن أطرافه ملذات ومسرّات، وإنما تظهر هذه النار الباطنة في يوم القيامة وتبدو واضحة، وههنا يقول القرآن

---

(١) نهج البلاغة ١٧٦.

الكريم للذين يتعذرون ويتخلفون عن الجهاد بشدة الحر **﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾**[1] وكذلك يقول القرآن الكريم في حق الأمة التي تقف بشوكتها وقدرتها وعزتها في وجه الإسلام وقادته **﴿أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾** القمر ٤٤ ـ ٤٦ فالهزيمة وتولية الدبر جزاءهم في الدنيا وأما مكان الجزاء النهائي فهو في القيامة التي هي أفجع وأمر.

هؤلاء ليسوا حاضرين لتحمل بعض مرارات الدنيا ومشاقها، ولكن وضعهم في القيامة سيكون أدهى وأمرّ.

يذكر القرآن الكريم عبادة الهوى على أنها منشأ الغفلة عن يوم القيامة، ففي سورة الجاثية يبدأ بتصوير هذا المطلب على هذا النحو **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾**[2] يحسب هؤلاء الفاسدين أن لا كتاب هناك ولا حساب وأنهم والصالحين سواء من حيث المحيا والممات ساء هذا الحكم منهم في حق الوجود لفساده وبطلانه إذ أن نظرة القرآن إلى الوجود على النحو الوارد في الآية التالية **﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾**[3] فقد خلق تعالى هذا العالم بالحق فلو لم يختم بمعاد ويوم قيامة لكان لغواً وباطلاً، وبما أن الله حق وخلق العالم بالحق، فلا بد من وجود معاد يقف فيه الإنسان أمام عمله وينال جزاءه دون ظلم **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾**[4].

فمنشأ نسيان القيامة عبادة الهوى، وأن يجعل الإنسان ميولاته ونزواته

---

(١) التوبة: ٨١.
(٢) الجاثية: ٢١.
(٣) الجاثية: ٢٢.
(٤) الجاثية: ٢٣.

محوراً لتحركاته، ونسيان المعاد عين نسيان المبدأ، فالعامل المؤثر في نسيان الآخرة هو بنفسه العامل المؤثر في عبادة الهوى، لا أن هناك عاملان أحدهما يؤثر في الأول والثاني في الثاني لأن **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾** البقرة: ١٥٦. أي نحن من عند الله وسنرجع ونعود إليه، ذلك الشيء الذي يمنع الإنسان من الحركة نحو المبدأ، هو بعينه يقف مانعاً أمام ذكره للمعاد، ولذا قال **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾** فمعبوده هواه، ويعمل على حسب ميولاته، فمبدأه هواه دون الله عابد الهوى عابد صنم والإنسان الذاكر للمعاد ينجو من خطر عبادة الهوى ويصير موحداً والموحد من أهل النجاة.

ويقول بعد ذلك **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون﴾**.

والقسم الأول من كلامهم إلى قولهم نحيا، راجع إلى إنكار المعاد، والشق الثاني يعود إلى إنكار المبدأ، أما جواب القرآن فهو إن هذا الكلام لم يصدر منهم عن تعقل وروية وبرهان، بل هو صادر عن المظنة والتخمين، إذ أنهم لم يروا ميتاً يحيا فتخيلوا لذلك عدم وجود معاد غافلين عن أنهم سوف ينتقلون من هذا العالم إلى عالم آخر ليبقوا فيه أحياء إلا الأبد **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا إئتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾** هذا هو دليلهم على ما يدعوه. وجواب القرآن على ذلك **﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** لا تقولوا الدهر يحيينا والدهر يميتنا، لأن نظام الخلق جارٍ على قانون العلية والمعلولية، وهو نظام متقن محكم يقوم على أساس الحكمة والعلم، ومبدأ هذا النظام هو الله تعالى وهو الذي يحييكم وينقلكم من هذا العالم إلى عالم آخر لا ريب فيه ولا شك، لكونه آبٍ عنهما سواء في أصل وقوعه وتحققه أو في ظرفه وحالة الوجود فيه، فهو أمر بديهي وحتمي، ولكن هؤلاء المنكرين ينكرونه عن جهالة وعدم تثبت، وإلا فالإنسان العاقل لا يغفل عن معاده. **﴿ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾** الجاثية: ٢٧ إن

أمر السموات والأرض بيد الله وهو الحاكم فيهما، وهو قادر على تحويلهما وتبديلهما إلى نظام آخر ومحاسبة الجميع، عندما تقوم الساعة يعلم المبطلون أنهم خاسرون متضررون.

كلام الإمام السجاد عليه السلام في شأن المضحكة

نقل أنه كان في المدينة رجل ماجن، منهمك بالعبث والبطالة يقوم بالأعمال المضحكة، وكان يتعرض للإمام السجاد في مسيره وعبوره وفي يوم ما، دنى من الإمام عليه السلام وجرّ الرداء عن عاتقه وتناوله، بغرض العبث والتضاحك، وإضحاك الآخرين، وعندما وصل عليه السلام إلى المنزل سأل ما الذي كان يريده هذا الرجل، فقالوا يابن رسول الله، هذا هو المضحكة الذي يقوم في المدينة بأعمال عبث وسخرية لإضحاك الناس، فقال عليه السلام ألا يعلم أن لله يوماً يخسر فيه المبطلون، فالذي يقضي عمره في البطالة يعلم في ذلك اليوم أنه خاسر، والذي يقوم بأعمال اللهو والعبث فقد قضى هذا المقدار من عمره بالبطالة وسيخسر في الآخرة.

كتاب الأعمال في يوم القيامة

﴿وترى كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ لكل فرد وظائف شخصية منظمة ومرتبة في سجلّه الخاص، كما أن عليه وظائف اجتماعية يتحتم عليه أدائها، وهي الأخرى لها كتاب خاص بها أيضاً، والملائكة تنظم للأمة كتاباً.

وكما أن لكل فرد كتاب وفي عهدته تحمل بعض المسؤوليات، فكذلك لكل أمة كتاب وفي عهدتها تحمل بعض المسؤوليات أيضاً، فكل من الفرد والأمة يقعان مورد السؤال والإنسان مسؤول تجاه وظائفه الفردية كما أنه

مسؤول تجاه وظائفه الاجتماعية **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾** الجاثية: ٢٨ يقال للأمة يوم القيامة كل ما قدمتيه من عمل تريه اليوم وتجازين به ليس إلا ومن هنا يعلم أنه كما ينبغي أن يكون الفرد ذاكراً لمعاده حتى يصل إلى هذه السعادات وينجو من تلك الهلكات، كذلك على الأمة أيضاً أن تكون ذاكرة لمعادها حتى تصل إلى تلك السعادة وتنجو من ذلك الخطر في إنجاز وظائفها الاجتماعية.

خلاصة الدرس الثاني عشر

١ ـ الجنة محفوفة بالمكاره والمصاعب والنار محفوفة بالشهوات والملذات.

٢ ـ موعد العذاب الإلهي يوم القيامة والقيامة أفجع ومرارتها أشد من مرارة التكاليف الدنيوية.

٣ ـ بما أن الله حق وخلق العالم بالحق فلا بد من جود معاد ينال كل إنسان فيه جزاؤه والإنسان الفاسد الضال يظن أن محيا الجميع ومماتهم سواء وليس هناك يوم بعث.

٤ ـ بما أن المبدأ والمعاد واحد، فإن منشأ الغفلة عنهما عبادة الهوى وجعل الميول والنزوات الشخصية محوراً للتحرك والاندفاع.

٥ ـ عباد الهوى ينكرون المعاد ولا يذعنون بوجود حياة أخرى، كما أنهم ينكرون المبدأ ويزعمون أن الذي يميتهم ويهلكهم هو الدهر.

٦ ـ القيامة آبية عن الشدة في أصل وقوعها كما أنها آبية عن حصوله فيها.

٧ ـ في يوم القيامة يظهر للمبطلين أنهم خاسرون.

٨ ـ كما أن على الفرد وظائف فردية يجب عليه تأديتها، فكذلك الأمة فإن عليها وظائف يجب عليها الخروج من عهدتها، وكما أن الفرد مسؤول تجاه وظائفه الفردية كذلك الأمة مسؤولة إزاء وظائفها الاجتماعية.

٩ ـ وكما أن الفرد له كتاب لضبط أعماله فيه وكتابتها، كذلك الأمة فإن لها كتاباً كي تكتب فيه وظائفها التي هي في عهدتها.

الدرس الثالث عشر

دفع شبهات المنكرين للمعاد

بما أن هدف الأنبياء القيام بالقسط، والقيام بالقسط لا يتحقق إلا فيما إذا صارت قلوب الناس نورانية، ونورانية القلب تتحقق في ظل مراعاة تعاليم الوحي السماوي، فإن أهم العوامل المحققة لهدف الأنبياء المذكور تذكر الدار الآخرة والقرآن الكريم كثيراً ما يتعرض لذكر يوم القيامة بأبعاده المختلفة.

فتارة يتحدث عن كيفية إحياء الموتى، وطوراً يتعرض لذكر تذكرك الكون وتهدمه وثالثة يتعرض لمشاهدها المرعبة، وأحوالها المخيفة.

وبالجملة فإنه يتعرض في كل سورة لذكر القيامة لمناسبة ما، وإحدى السور الكريمة التي تتعرض لذكر يوم القيامة سورة ياسين، حيث أنها تذكر أنه إذا قامت الساعة يُعلم حينئذ أن بواطن بعض الناس كانت شعلة نارية وهذه الشعلة إنما تظهر وتبدو في يوم القيامة.

في هذه السورة قبل أن يذكر تعالى مسألة الشجر الأخضر، يتعرض لذكر شبهة من شبهات منكري المعاد فيقول **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام هي رميم﴾** ومراد هذا القائل الاستشهاد على عدم المعاد

للإستحالة المذكورة بزعمه ـ والجواب ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾[1] وهذه الشبهة لا تخلو اما أن تكون متعلقة بقدرة الله أو بعلمه، وبعبارة أخرى إما أن تكون الشبهة في أنه كيف يمكن إحياء هذه الرمة البالية التي تحولت إلى تراب، وأما أن تكون في أنه كيف يمكن جمع هذه الأشياء الترابية المشتتة المتلاشية والتي قد تكون قد تحولت إلى أشياء أخرى بواسطة الامتصاصات النباتية وغير ذلك، وكيف يمكن تمييزها عن غيرها حتى تعاد مرة أخرى.

فإذا كان الإشكال في القدرة فإن الله الذي خلق هذه الأمور من لا شيء وأخرجها من العدم إلى الوجود أول مرة حيث لم تكن شيئاً، ذلك الإله القادر المطلق، قادر على إحيائها مرة أخرى كما خلقها أول مرة.

وإن كان الإشكال في العلم في كيفية تمييز هذه الذرات الترابية المتشتتة فإن الله الذي ﴿**وهو بكل خلق عليم**﴾ هو عالم مطلق، فهو ليس محدوداً من جهة القدرة حتى يرد الإشكال الأول كما أنه ليس محدوداً من جهة العلم حتى يرد الإشكال الثاني بل هو مطلق من كلتا الجهتين بل من جميع الجهات.

الشجر الأخضر نموذج على القدرة الإلهية

﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾ والشجر الأخضر هو شجرة في الحجاز، إذا كسر الإنسان أغصانها الخضراء وضربها ببعضها، فإنه يخرج منها شعلة نارية، وحاصل كلامه تعالى، إن الله الذي يخرج من هذه الأغصان الخضراء شعلة حمراء، قادر على إحياء هذه الرمم البالية المتهرئة مرة أخرى.

وهذا البيان بالإضافة إلى أنه يثبت لنا أصل القدرة الإلهية، فإنه يشير

---

(١) ياسين: ٧٨ـ٧٩.

إلى نقطة أخلاقية مهمة وحاصلها: إن بعض الناس قد يكون من قرنه إلى قدمه أخضراً، ويظن الآخرون بأن باطنه كظاهره غصن طري ولكن عند الكسر يعلم بأن باطنه كان شعلة من نار، وإنه في الباطن كان ناراً، كان في قلبه قبس من نار، كان ينمي النار في نفسه، هو وإن كان من حيث الظاهر أخضراً غضاً طرياً، إلا أن باطنه كان قطعة نار ملتهبة فالإنسان ما دام لم ينكسر، ما دام لم يصل يوم الكسر، لا يعلم أن في باطنه النار والاشتعال، أو الغضارة والطراوة، يقول تعالى في كتابه أن الإنسان مخلوق من الأرض كما خلقت سائر النباتات أخضراً غضاً طرياً **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾** نوح: ١٧ ـ ولكن عندما تبدو طلائع القيامة **﴿القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة﴾** ويصل يوم القرع والكسر والتحطيم، اليوم الذي ينكسر فيه كل النظام الكوني وكل المخضرّات والمزدهرات وترتطم ببعضها، عندئذ يعلم بأن الذي لم يحقق أهداف الأنبياء ولم يكن قائماً بالقسط، بأنه حطبة مشتعلة، وأنه متوقد.

الإنسان الظالم يكون يوم القيامة حطبة مشتعلة

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ الجن: ١٥ ـ هذا الذي عمل بالجور والظلم مكان العدل والقسط، هو بنفسه حطبة مشتعلة، وفي ذلك الوقت يرى أنه مشتعل من قرنه إلى قدمه، وإنه في حالة احتراق، هو إنسان، ولكنه مع حفظ إنسانيته صار حطبة، وإلا فإن الحطبة لا تتألم، والنار لا تتعذب.

كلام العلامة الاميني

نقل العلامة الأميني قده في كتاب الغدير عن كتاب زين الفتى في شرح سورة هل أتى (أن رجلاً أتى عثمان بن عفان ـ عندما كان خليفة ـ بيده جمجمة

إنسان ميت فقال إنكم تزعمون النار تعرض على هذا وأنه يعذب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أحس منها حرارة النار، فسكت عنه عثمان، وأرسل إلى علي بن أبي طالب المرتضى سلام الله عليه يستحضره) عندما كان القوم يحتاجون إلى علي في حل معضلة من المعضلات كانوا يقولون، لنقم إلى علي فإنه كالكعبة تؤتى ولا تأتي، أما في هذه المسألة فقد أرسلوا لإحضاره.

تبصرة

القاعدة في التعامل بين المحتاج والمحتاج إليه كما جرت العادة على ذلك هو أن يذهب المحتاج إلى المحتاج إليه لحل مشاكله دون العكس، سيما إذا كان المحتاج إليه ذا شخصيةً مرموقة كعلي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، الذي هو هو من حيث الفضائل والكمال والرفعة، لا ندري كيف نوجه تصرف عثمان هذا، الخارج عن الموازين، فهل كان ذلك تكبّراً منه، أو اشتباهاً، أو عدم شعور منه.

(فلما أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال للرجل أعد المسألة فأعادها ثم قال عثمان بن عفان أجب الرجل عنها يا أبا الحسن).

جواب امير المؤمنين عليه السلام عن إشكال المنكر للمعاد

حينئذ أمر أمير المؤمنين عليه السلام بإحضار زند ومسعار، والزند لغة فهلوية وهو قطعة حديدية يتولد منها النار باصطكاكها بالحجر والمسعار حجر النار، وسيلة لإيقاد النار وإشعالها، والسعير الجسم المشتعل، والمسعار إسم آلة على وزن مفعال، أي آلة الإشعال، وفي السابق كان سكان الصحاري يستعملون حجر النار هذا وكان رائجاً عندهم، ومنذ زمن غير بعض كان

يستعمل في بعض القرى في إشعال الناركيلة على هذا النحو. كانوا يأخذون من جذع الشجرة أو ما كان منها متهرّءاً، شيئاً شبيهاً بالقطن، يحملونه باليد مع حمل حجر النار، وكانوا يقدحون النار بالزند فتخرج شعلة نارية على أثر الاصطكاك وحينئذ تتقد تلك التي هي شبيهة بالقطن، وتصبح كنار السجائر، ثم كانوا يضعونها على الناركيلة، فيحترق آنذاك التبغ وتكون مهيأة للاستعمال، وكانت هذه الوسائل تحفظ في كيس التبغ الخاص بالناركيلة[1].

وبعد إحضار الزند والمسعار، قال عليه السلام هذا الزند وهذا المسعار إذا اصطكا ببعضهما فإنهما يولدان النار، ثم أراهم بأن كل من هذين الآلتين ليس حاراً ولا مشتعلاً، فقدح منهما النار، ثم قال هذه النار أتت من الداخل أو من الخارج، أفليست النار في هذا الحجر، أليست النار تقوم وتنهض من داخل هذا لا من الخارج فاعترفوا بذلك.

القبر حفرة من حفر النيران

لقد فهّم هؤلاء بأن القبر إن كان حفرة من حفر النيران، فإن النار تقوم وتنهض من نفس شخص الإنسان، هو بنفسه حطبة وهو بنفسه يحترق، إن عذاب القبر حق لا شك فيه، إلا أن ذلك لا يقتضي تجميع الحطب في القبر من الخارج وإيقادها ليتم تعذيب الميت وإحراقه، بنار من الخارج، إذ أن النار موجودة وكافية في أعماق نفسه وعند الكسر ـ الموت ـ يحترق بنفس تلك النار، وهذا نظير ما تقدم من الكلام في الشجر الأخضر، إذ أنه عند كسر بعض أغصانها وحكّها ببعضها فإنها تحترق بنفس نارها وكذلك حجر النار عند احتكاكه بالأداة المخصوصة فإن النار تتولد منه يقول عليه السلام عذاب القبر بهذا النحو، فكل شخص يحتوي على شعلة يأخذها معه إلى قبره، وأما إذا

---

(١) السيد مجتبى فاطميان.

كان الإنسان صالحاً، فإنه يذهب بالنور إلى داخل قبره وينور به القبر.

وهذا البحث - بحث المعاد والقيامة وإن الإنسان إما أن يكون بنفسه روح وريحان أو حطبة مشتعلة متوقدة - إذا لم يولد النور في الإنسان ولم يجعل منه شخصاً نورانياً وبالتالي قائماً بالقسط والعدل، فإنه لا شيء بعد ذلك يمكن أن يؤثر فيه على الإنسان يفكر في مصيره ومستقبله وأن يقول ههنا مسألتان أنا، وعالم الخلود، فأما أن أكون روح وريحان **﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم﴾** الواقعة: ٨٨ - ٨٩ - وأما أن أكون حطبة مشتعلة.

هذه الآيات الإلهية إذا لم تؤثر في الإنسان ولم تولد فيه نوراً، فليس هناك أي عامل يمكن أن يؤثر فيه، الإنسان يتحرك بالزاد، وهو إما أن يأخذ معه من هنا النار، أو النور، وهذه النار بما أنها تنهض وتقوم من أعمال الإنسان الإدراكية، فلذا تظهر هناك - في القيامة علامات الإدراك في تلك النار، يعني أنها تعي وتفهم، فليست كنار الدنيا تأخذ أي شخص وتحرق أي شيء، بل هي نار عالمة وعاقلة، نار عادلة ومعصومة، لأنها تحت الرعاية المباشرة للموظفين الإلهيين، فالملائكة هم الذين يديرونها.

فلا يمكن أن تحرق شخصاً بلا مبرر، كما لا يمكن أن تحرق الشخص بأكثر مما يستحقه، ليست كنار الدنيا بحيث تلتهم كل ما تصل إليه، عندما ترى أعداء الله فكأنها تتقطع وتتمزق غيظاً وحنقاً، يقول تعالى **﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ﴾** الملك: ٧ - ٨.

غضب النمر

يقال بأن النمر يمتاز عن سائر الحيوانات المتوحشة بشدة غضبه، وهو في ذلك أشدّ من الذئب، وهذه الحالة من الثوران والهيجان عند الغضب تسمى تنمرّاً، ولما كانت حالة التنمر هذه حاصلة عند بعض الناس فإنه يمكن

نعت هذا الإنسان بأن فيه صفة النمر. ويقولون بأن النمر أحياناً ومن شدة غضبه وانفعاله يتقطع أرباً أرباً، وهذا الحد هو أعلى مستوى من مستويات الغضب الموجود عند الحيوانات المتوحشة، وهذا الحد لا يوجد لا في الذئب ولا في غيره من الوحشيات.

النمر، وكذا سائر الحيوانات الوحشية، هي أمثلة ومظاهر للخصال الكامنة في نفس الإنسان، فإذا أردت أن ترى الانفعال والثوران فانظر إلى النمر وإن أردت أن تدرك غضبك فانظر إلى الذئب ـ عندما يحمل الذئب على قطيع من الغنم فإنه يمزق منه بقدر ما يستطيع ـ هذه الموجودات من موضحات صفاتنا الباطنية، أنها بمثابة المرايا في ذلك، إن الإنسان الذي لا هدف له سوى الأكل والشرب والملبس يرشده القرآن إلى مرآة ليرى فيها نفسه في تلك الحال فيقول إذا أردت أن ترى باطنك فانظر إلى هذه الأنعام ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل**﴾ الحجر: ٣ ﴿**ويأكلون كما تأكل الأنعام**﴾ محمد: ١٢ ـ أي يعيشون كما تعيش الحيوانات.

الملائكة هم أصحاب النار

فالله تعالى يقول ـ في تلك الآية المتقدمة ـ إذا أردت أن تعرف حقيقة نار القيامة فهي بنحو تتقطع فيه من الغضب، هي نار تتمزق إرباً إرباً من شدة غيظها من الكافر والمنافق وكيفية جرهما وزجّهما في أعماقها، هي نار غاضبة ثائرة في قمة الانفعال، وغضبها وانفعالها في محله، لأن إدارة شؤونها وزمام أمورها بيد الملائكة الكرام، وهم وبمقتضى عصمتهم لا سبيل إلى الغفلة والاشتباه إليهم.

وبما أن﴿**إن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾ أي أن عالم الآخرة عالم الحياة، فإن النار تعرف كيف تأخذ وكيف تدع، وتستطيع تمييز الذي يستحق المكوث في قعرها عن غيره.

وفي موضع آخر يقول تعالى **﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً﴾** الفرقان: ١٢.

وهكذا نلاحظ أن الله تعالى قد أسند الرؤية إلى نفس النار، ومن هنا يعلم أن النار تراهم، وهي متمكنة من الفهم، وهذا الإسناد ليس إسناداً مجازياً لأن عالم الآخرة عالم إدراك وشعور، ونحن الذين بانتظارنا هكذا عالم أبدي أعاذنا الله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

خلاصة الدرس الثالث عشر

١ ـ تتعرض أكثر سور القرآن ولمناسبات مختلفة إلى ذكر المعاد، ومن جملتها سورة ياسين، إذ أنها تتعرض لذكر واحدة من شبهات منكري المعاد، وهي قول القائل عندما كان يحمل رمّة بالية في يده. من يحيي هذه العظام وهي رميم؟ والنتيجة أن الإنسان بموته ينتهي وينقلب إلى العدم ولا شيء بعد ذلك، ويقول تعالى في جوابه أن الشبهة المذكورة إما أن تكون في ظرف القدرة الإلهية، أو العلم الإلهي.

٢ ـ فإن كان المراد أنه من يستطيع أن يجمع هذه الأجزاء المتفرقة والذرات المبعثرة فالجواب هو أن الله الذي أخرج هذه الموجودات من العدم أول مرة، ذلك الآله المطلق من حيث القدرة، قادر على جمعها وبعث روح الحياة فيها من جديد.

٣ ـ وإن كان المراد أنه كيف يمكن تمييز هذه الأجزاء الترابية مع اختلاطها بغيرها، واندكاكها في موجودات أخرى، فالجواب أن ذلك الإله المطلق من حيث العلم، عالم بكل شيء ومحيط به، فليس هناك شيء يكون خارجاً عن علمه.

٤ ـ ولأجل دفع استبعاد المنكرين للمعاد، وبيان القدرة الإلهية المطلقة يقول تعالى إن الله الذي جعل في الشجر الأخضر ناراً لانتفاع الإنسان بها قادر على إحياء الإنسان مرة أخرى.

٥ ـ النقطة الأخلاقية المستفادة من جعل الشجر الأخضر هي أنه كما أن هذا النوع من الشجر ظاهره الإخضرار والحيوية، إلا أنه عند كسره وحكّه يعلم بأن باطنه مشتعل متوقد، فكذلك الإنسان فإنه ما دام موجوداً في الدنيا يكون ظاهره الاخضرار والغضارة والحيوية والطراوة، إلا أنه عندما يصل ذلك اليوم الذي يُقرع فيه كل شيء وتتلاطم فيه الموجودات ببعضها وتتكسر، يُعلم حينئذ بأن الإنسان الذي لم يحقق هدف الأنبياء ولم يكن قائماً بالقسط والعدل، أنه مشتعل وأنه حطبة متوقدة.

٦ ـ في زمن عثمان، جاء شخص بجمجمة شخص مشرك كان قد أتى بها من المقبرة وجاء بها إلى عثمان وقال له، إذا كان القبر حفرة من حفر النيران، فلماذا لا يكون هذا الرأس حاراً محترقاً، فعجز عثمان عن الجواب، وأُحضر علي بن أبي طالب عليه السلام لحل هذه العويصة، فأمر عليه السلام ـ في مقام الجواب عن هذه المسألة ـ بإحضار الزند والمسعار ولما أتي بذلك توجه إلى ذلك الشخص قائلاً. إن هذين ليسا بحارّين الآن ولا محترقين، وأمر بصكهما ببعضهما فانقدحت منهما شرارة، فبيّن عليه السلام بهذا العمل أن شعلة النار تنهض وتقوم من نفس الزند والمسعار، فهمهم أن النار في القبر تنهض وتقوم من نفس الإنسان.

٧ ـ الناس في يوم القيامة قسمان أما مقربين وهم بأنفسهم روح وريحان أو أبرار وهم ملحقون بالمقربين، وأما غير ذلك، وهم حطب مشتعل متوقد.

٨ ـ بما أن نار القيامة تحت عصمة وصيانة ملائكة الله، فإنها عالمة، عاقلة، عادلة، معصومة، لا تتعرض لكل أحد، وإذا رأت أعداء الله تصير كالنمر من شدة الغيظ والغضب، وتزعق وتزفر كأنها تريد أن تتقطع إرباً إرباً.

٩ ـ النمر، وسائر الحيوانات الوحشية مظاهر لصفات الإنسان الباطنية.

١٠ ـ سوف نتعرض في البحث القادم إلى مسألة كتابة الأعمال وحقيقتها.

الدرس الرابع عشر

كتابة الأعمال وكيفيتها.

كان الكلام في أن أهم العوامل المؤثرة في تحقيق هدف الأنبياء تذكر الآخرة وذلك لأن الإنسان الذي يشعر بكونه مسؤولاً عن كل ما يصدر منه، سوف يكون مراقباً لكل أعماله وأفعاله، ومن الأمور التي تحيي ذكرى الدار في النفوس، مسألة كتابة الأعمال، أي أن يعتقد الإنسان أن كل ما يصدر منه سوف يُكتب في سجلّه ويُثبت، وليس المراد من كتابة الأعمال ما هو مألوف عندنا وجارٍ في معاملاتنا في الدنيا من الكتابة بالحبر والورق.

وبعبارة أخرى ليس المراد من كتابة الأعمال إثباتها من حيث الوجود اللفظي والكتبي في الدفاتر بأن يكتب فيها أن فلان صلى وفلان اغتاب الناس.

فإن هذا الأسلوب أسلوب بشري يستخدمه الإنسان في مقام إنجاز معاملاته وتحقيق أغراضه.

أما الملائكة الذين يكتبون الأعمال فهل هم أيضاً ـ كالبشر ـ يدونوها في دفاترهم فيكتبون مثلاً أن فلاناً صلى أو صام أو حج أو اغتاب الناس أو أحيا الليل مثلاً.

هل الكتابة الواردة في قوله تعالى ﴿**وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون**﴾ الإنفطار: ١٠ ـ ١٢ ـ أو في قوله تعالى على ما تقدم في سورة الأنبياء ما مضمونه ﴿**فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون**﴾.

هل يراد بها الكتابة المألوفة لنا. إذا كان المراد بها ذلك فكيف يمكن كتابة النيات والخواطر والإخلاص والشرك وأمثال هذه الأمور.

فإذن المراد ثبت نفس العمل لا كتابته اللفظية فالكتابة بمعنى الثبت، لا بمعنى التسجيل اللفظي، ولما كان التسجيل اللفظي أحد مصاديق الثبت أطلق عليه لفظ الكتابة فعندما يقول تعالى في كتابه ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ الأنعام: ٥٤ ـ يراد بكتب أثبت، أي أن الله تعالى ثبّت هذا الأصل، فإذا كانت الكتابة بمعنى الثبت والضبط. فسوف يكون معنى كتابة الأعمال هو ثبت وضبط عين العمل الصادر من الإنسان، أي أن نفس العمل يكون مثبتاً مضبوطاً، وحينئذ تكون مسألة كتابة الأعمال متوافقة متلائمة مع الآيات التي تقدم البحث فيها والتي مفادها أن الإنسان يرى عين أعماله يوم القيامة.

القلم واللوح ملكان من ملائكة الله

إذا ورد في بعض الروايات بأن القلم يكتب. فإنه يوجد في رواياتنا أن القلم ملك من ملائكة الله. لا أنه هو هذا القلم المألوف لدينا الذي يستخدمه الإنسان في قضاء حوائجه، وإذا نقل في بعض الروايات ـ كُتب في اللوح ـ فأيضاً قد ورد في رواياتنا أن اللوح ملك من ملائكة الله.

إن أصحاب الأئمة عليهم السلام، عندما كانوا يتشرفون بالحضور لديهم، ويطرحون مسائلهم عليهم، كان كل واحد منهم عليهم السلام يجيب السائل على قدر حاله وإدراكه ومستواه، أما عندما كان يطرح عليهم السؤال من قِبل أصحابهم المميزين فكانوا يجيبونهم بأن اللوح والقلم ملكين من ملائكة الله،

وليس القلم ذلك الجسم الخشبي المعروف المأخوذ من مصدره المعروف.

فإذن معنى كتابة الأعمال هو ثبتها وحينئذ يتلاءم هذا المطلب مع الآيات المتقدمة التي تبين بأن الإنسان سوف يرى نفس عمله.

وهذان المطلبان قد ذكرا معاً جنباً إلى جنب في سورة الكهف. أحدهما كتابة الأعمال والثاني رؤية الأعمال حاضرة. يقول تعالى **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾** الكهف: ٤٩ ـ وليس المراد من كون الأعمال مكتوبة هو أن الإنسان يواجه هناك الوجود اللفظي والكتبي للأعمال، بل المراد أنه يرى عين الأعمال التي عملها على طول العمر موجودة في مكان واحد، ذلك الظرف الذي أثبت كل أعماله في كل أدوار حياته واستوعبها يكون مشهوداً للإنسان في ذلك اليوم، ولا مجال هناك لإنكاره.

وبعد ذلك يقول **﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾** أي يرون نفس العمل الذي عملوه حاضراً أمامهم. وعلى هذا المعنى تكون الجملتين متلائمتين، متوافقتين **﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾** فليس هناك ظلم، فلا يمكن أن يكتب عمل شخص باسم شخص آخر، كما أنه لا يمكن أن لا يكتب عمله أصلاً.

توزين الأعمال وحقيقته

وبملاحظة ما تقدم تتجلى مسألة أخرى، وهي حقيقة وزن الأعمال يوم القيامة وكيفية ذلك، وحاصلها أن الأعمال تزان في ذلك اليوم بالحق، أي أن المعيار المستعمل في عملية الوزن هو الحق، فالعمل الذي يحتوي على الحق يكون ثقيلاً، والذي يكون خالياً عنه يكون خفيفاً.

ومن الواضح أن الشخص الذي ينصب له ميزان ليزان به عمله هو من كان في أعماله شيء من الحق، أما الذي يكون عمله عار تماماً عن الحق فلا

ينصب له ميزان، ولا يزان له عمل، لأنه لا يملك شيئاً من البضاعة حتى توزن وإنما ينصب الميزان وتجري عملية التوزين لمن كان عنده شيء من المتاع حتى يعلم خفة متاعه وثقله.

ولذا يقول القرآن الكريم في حق الكافر وأمثاله لا نقيم له وزناً، إذ أنه لا يملك شيئاً حتى يزان.

من هم الخاسرون

يقول تعالى في سورة الكهف **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾**[1] يستعمل لفظ السعي عادة في القرآن الكريم في الحساب والكتاب والجزاء المعنوي، فعندما يقال **﴿ليس للإنسان إلا ما سعى﴾** أي ليس للإنسان فائدة ولا أجر معنوي إلا بهذا المقداد الذي سعاه **﴿وإن سعيه سوف يرى﴾** أي يرى نفس سعيه يوم القيامة **﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾** أو ما يقوله في سورة الأنبياء **﴿فلا كفران لسعيه وإنا له لكاتبون﴾** أي أن سعيه ليس مستوراً بل مكتوب. ههنا يقول أن السعي الذي سعاه الكافر لا يراه الكافر بعد انتقاله إلى عالم القيامة ذلك الفعل الذي فعله في الدنيا وفي مجال الدنيا لا يرى في الآخرة.

عندما يرفع الكافر رأسه من القبر لا يرى أيّ عمل من أعماله الخيّرة فإذا عمل عملاً خيّراً ولم يكن له إلاّ بُعد مادي، فإن نفعه وفائدته سوف لن تكون إلا ماديّة.

أي إذا عمل الكافر بهدف الشهرة أو خلود إسمه في التاريخ أو بحسب الاصطلاح كان عمله للخلق لا للحق، أو شارك في ميدان القتال وقُتل، أو قدم بعض المعونات المادية ونحو ذلك، فبما أن عمله لم يكن لله ولا لليوم الآخر وكان محدوداً في إطار المادة والطبيعة فحسب، فإنه يحصل على فائدته

---

(١) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

في نفس هذه الطبيعة والمادة، فإذا رفع رأسه من القبر لا يرى أثراً من أثاره الخيرية والسرّ في ذلك هو (هناك إنما يشترون الجسم الضعيف والقلب التعِب).

ليس الإخلاص هو تمزيق القميص

وإنما المرغوب هنا القلب المقطع الممزق

إن الأعمال السيئة الصادرة من الإنسان سواء كان مؤمناً أو غيره، في يوم القيامة يعلم أن الذي ارتكبها هو هذا الشخص.

ولذا نجد أن القرآن الكريم عندما يتعرض إلى مسألة المجازاة على العمل السيىء لا يقول بأن الكافر الذي يفعل الفعل المعين، أو بأن المؤمن الذي يفعل هذا الفعل السيىء فسوف يجازى عليه، بل يقول العمل السيىء عليه جزاء، سواء كان فاعله مؤمناً أو كافراً، فإن الإنسان مسؤول أمام عمله القبيح، يقول تعالى ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ الشورى: ٤٠.

العمل الصالح مع الإيمان يكون مثمراً

ما تقدم كان في مجال الأعمال السيئة وقد فرغنا منه، أما في مجال الحسنات والأعمال الصالحة فليس الأمر فيها كذلك، فإنه لا يوجد في القرآن ولا مورد يقول فيه تعالى من عمل صالحاً فإنا سنثيبه عليه. بل في جميع مواضع القرآن هناك ركنان يذكران عادة جنباً إلى جنب وهما، صدور العمل الصالح من الإنسان، وكون الإنسان معتقداً بالله وبالآخرة ﴿**من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن**﴾ النحل: ٩٧ ـ ﴿**والعصر * ان الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ العصر: ١ ـ ٣ ـ أو تلك الآية المتقدمة في سورة الأنبياء ﴿**فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه**﴾ سواء كان التعبير بالماضي أو المضارع، بالمفرد أو الجمع، في كل مواطن القرآن الكريم يُذكر هذين الركنين كمتلازمين.

فالله تعالى يقول إذا عمل الإنسان صالحاً وكان معتقداً بالله واليوم الآخر، فجزاؤه يوم القيامة دخول الجنة، والحصول على اللذائذ العنوية وعلى هذا فإذا بنى الإنسان طريقاً أو جسراً أو مستشفى، أو أنجز للناس عملاً خيرياً بدوافع واهية، ولم يكن عمله لله تعالى ولا طمعاً في ثواب الآخرة، فبما أن عمله إنما يكون حياً وفعّالاً بمقدار نيّته، وهو غير معتقد بعالم ما بعد الموت، فإنه لا يرى أثراً لعمله يوم القيامة.

يعتقد الكافر بأن الإنسان ينتهي عند الموت وينقلب إلى العدم، تماماً كالثمرة التي تسقط عن الشجرة بعد نضوجها إلى الأرض وتتعفن وتتهرأ، كما أن عقيدة الماركسيين أيضاً كذلك، إذن ليس هناك أي أثر لإحسان الكافر يوم القيامة **﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾** العمل الذي يموت بموتهم أو قبل موتهم لا يكون عملاً صالحاً، قبل أن يموتوا يُمحى أثر عملهم أو على الأقل يكون موته مصاحباً لموتهم، ولذا لا يبقى بعد الموت من عملهم الصالح عين ولا أثر **﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾**(١) هؤلاء قوم لا يعتقدون لا بالمبدأ ولا بالمعاد ويرون أن الإنسان يتلخص بين مرحلتي الولادة والموت ثم يتعفن وينتهي كل شيء.

لا يقام للكافرين وزن

وبناءً على هذا **﴿فحبطت أعمالهم﴾** عملهم باطل. وما يذكر من الاعتراض في المقام من منافاة ذلك للعدل الإلهي، بدعوى أن مقتضاه إثابة الكافر على فعله فليس بصحيح، لأنهم لم يسعوا إلا للدنيا ومن أجل الدنيا، بل لا يعتقدون بالآخرة وما وراء الدنيا، وقد حصلوا في الدنيا على فائدة عملهم، ولذا قال بعد ذلك **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾** فليس عندهم شيء حتى يزان لأن مقتضى الآية **﴿والوزن يومئذ الحق﴾** الأعراف: ٨ ـ أن

---

(١) الكهف: ١٠٥.

الأعمال لا توزن بالحجارة أو المعادن أو غيرها من المعايير المادية، وإنما توزن بالحق، فإذا كان عمل الإنسان خالٍ عن الحق والحقيقة وكان معيار الوزن هناك هو الحق، وهذا الكافر لم يصدر منه سوى الباطل فلا معنى لإقامة وزن له، وجزاء هؤلاء الكفار جهنم لاستهزائهم بآيات الله وأنبياء الله، وقولهم بأن الأنبياء لم يأتوا إلا بملهاة للبشر.

أعمال الكافر نظير السراب

هؤلاء المستهزؤون بآيات الله وأنبياءه، والذين لا يعتقدون بشيء سوى الطبيعة لا تكون أعمالهم التي قاموا بها إلا للطبيعة ومن أجلها.

ولما كانت حقيقة العمل وروحه هي النيّة والإرادة، ونيّة هؤلاء وإرادتهم محدّدة بعالم الطبيعة والمادة، فإنهم غير قادرين على حفظ حياة العمل وروحه إلى ما بعد الدنيا، ولذا يقول تعالى في سورة النور: إن الأعمال التي يقوم بها الكافر سواء التي عملها باعتقاده من أجل الناس، أو العبادات التي أداها على عتبات معابد الأصنام، هي مثل السراب، ولا يمكن وزن السراب لأنه لا شيء ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**﴾ القيعة والقاع يطلقان على الصحراء الواسعة المستوية، فإذا مرْ العابر العطشان عن جنب هذه الصحراء الواسعة رأى شيئاً كالماء فإذا دنى منه لا يرى للماء عين ولا أثر.

ليس هذا العالم سوى منام في نظر العاقل

يرى الجاهل أنه ماء وهو ليس إلاّ سراب

وفي هذه الحال فلا معنى لأعمال الوسائل اللازمة لقياس ذلك الماء ووزنه، لأنه لا يوجد ماء أصلاً حتى يقاس أو يوزن ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾ النور: ٣٩ ـ فلا خبر عن الماء هناك، وإنما هناك مظهر الماء، وشكل الماء، وعمل

الكافر ليس فيه سهم من الخير، الخير أن يكون العمل لله فقط فإذا لم يكن العمل لله كان بمظهر الصلاح أي أنه بظاهره صالح وإن لم يكن بواقعه كذلك، فليس عنده ما يزان حتى ينصب له ميزان، لأن العمل يوزن بالحق، فلو كان عمل الإنسان فيه خير يكون قابلاً للتوزين وإلا فلا، فحاله حال الذي يسير على غير هدى وبصيرة، ويتلف كل ما عنده هدراً القرآن الكريم يضرب لنا مثلاً في هذا المجال. يقول ﴿**فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق**﴾ الكهف: ٤٢ ـ الإنسان الذي يضع كل رصيده وتمام ما يملكه في أمرٍ ما، ثم يزول ذلك الشيء وينتهي لحادثة ونحوها، فإنه يقلب كفيه من شدة التأسف والحزن العميق الذي يستولي عليه ويقول كل ما كان عندي قد ذهب أدراج الرياح، وأحياناً قد يعض الإنسان على كلتا يديه من شدة الأسف بأنه لماذا صاحبت تلك الجماعة من الناس حتى وصلت إلى هذا اليوم الأسود، في حياتنا الدنيا إذا اشتبه الإنسان بفعل شيء ثم ندم على ذلك فإنه يعض أصبعاً واحدة من شدة التأسف، وهذه الأصبع يقال لها سبّابة المتندم، لأن الإنسان إذا ندم على شيء فإنه يعض عليها.

ولكن الإنسان الكافر والظالم يعض على كلتا يديه من شدة الندامة والأسف ويقول يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، ويا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً وعلى هذا فبما أن الوزن هناك الحق، والأعمال إنما تزان بالحق، فلا يقام للكافر وزن غاية الأمر أن هناك دركات وكل منها له معيار مخصوص يوزن العمل به، وكلما كان العمل أبعد عن الحق، ابتلى بدركة معينة، ومن هنا يعلم أن قوله تعالى عندما يقول بأنا قادرون على الإتيان حتى بحبة الخردل، إن ذلك خاص بالمسلمين والمؤمنين، فإنهم هم الذين ينبغي جمع ذرات أعمالهم ليحاسبوا عليها.

يؤتى بجميع الأعمال إلى محضر الله تعالى

يقول تعالى في سورة لقمان عندما يتحدث عن كلمات لقمان الحكيمة،

أن لقمان قال لابنه **﴿يا بني أنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾** لقمان: ١٦ يقول لابنه بكمال الشفقة والمحبة، إذا كان ذلك العمل، أو تلك الصفة والخصلة، مثقال حبة من خردل ـ وهي دقيقة جداً وناعمة ـ وكانت في صخرة، أي محجوبة بالحجر ثم كانت في أبعد نقاط السماء، أو كانت في أعماق ظلمات الأرض، فإن الله تعالى يأتي بها، لأنه يرى الأشياء التي هي في منتهى الدقة واللطافة من ناحية، كما أنه خبير من ناحية أخرى.

ويقول تعالى في موضع آخر **﴿وكفى بنا حاسبين﴾** الأنبياء: ٤٧.

ومن هنا يعلم أن هذه المسألة خاصة بالمسلمين والمؤمنين، فهم الذين تجمع ذرات أعمالهم حتى تزان، وإلا فإن الكافر لا وزن له، ولا ينصب له ميزان، ولا يؤتى به نحو الميزان، هو متغلغل في دركات الجحيم بمقدار بعده عن الحق.

والذي يقع في مشقة الحساب، ولا يتغاض له حتى عن مثاقيل الذر، هو المؤمن والمسلم.

فبناء على ذلك فبنفس المقدار الذي تكون أعمال الإنسان فيه ثقيلة فإنه سوف يكون في عيشة راضية يوم القيامة، كما أنه بنفس المستوى الذي يكون عمله فيه خفيفاً يكون الإنسان في عيشة صعبة شاقة، يقول تعالى في الآيات المتقدمة الذكر سابقاً في صدد الكلام عن النار، **﴿وما أدراك ماهيه * نار حامية﴾**، ولكنه لم يبين مستوى إيلامها وإحراقها.

يقول تعالى في سورة القارعة: الأمر الذي لا يمكن وصفه، يُعبَّر عنه في مقام بيانه بهكذا عبائر قد يقف الإنسان أمام نهر أو مجرى ماء، ويقول هذا النهر مثلاً فيه مقدار كذا من الماء. وقد يقف أمام مسبح أو بحيرة فيقول في هذه البحيرة مثلاً هذا المقدار من الماء أو ذاك، عمقها هذا المقدار وطولها كذا وعرضها كذا.. الخ وقد يقف أمام محيط من المحيطات، في هذا الحال يعبر هكذا بحر! بحر! وهنا قد استعمل نفس هذا التعبير ـ في سورة القارعة ـ

بأي معيار يمكن للإنسان أن يقيس المحيطات، ويبينها، إذا وقف أمام هذا المحيط العظيم يقول للآخر الذي يكون إلى جانبه، بحر! بحر! هذا التعبير الذي يكون حاكياً عن عظمة ذلك الأمر.

معنى القارعة ما القارعة

هنا يقول تعالى ﴿**القارعة * ما القارعة**﴾ أي المحطّمة، الطارقة. وأي شيء تحطم هذه القارعة، أتحطم الإنسان فقط، أم الجبال والأرض فقط، أم المنظومة الشمسية فقط أم السماوات التي كشفتها المراصد البشرية إلى الآن فقط، أيّ شيء وبأي وسيلة ولأيّ هدف تقرع، يتدكدك العالم الطبيعي في ذلك اليوم ويتحطم اليوم الذي ﴿**يكون الناس كالفراش المبثوث**﴾ أمثال الجراد والفراش المنتشر لا يدرون إلى أين يذهبون ﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾ هذه الجبال الراسية المحكمة، وقد جعلت في الدنيا رواسي وأوتاد للأرض، لتمنعها من الميدان والاضطراب، في ذلك اليوم يعلم أن هذه المجموعة من الجبال قد صارت مثل قطن النداف، خفيفة، مبعثرة.

﴿**فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية**﴾ وأما الكافر فإنه في كل أحواله يكون في ضيق وشدة، ففي الدنيا يكون في ضيق، وفي البرزخ أيضاً يكون في ضيق وكذلك في القيامة يكون في ضيق، في كل المراحل الثلاثة يكون في الضيق والشدة ولا يمكن أن يكون الشخص كافراً وفي وسعة ورفاهية ورغادة عيش.

المعرض عن ذكر الحق في حالة ضيق

﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا**﴾[1] فهو في حالة ضيق

---

(١) طه: ١٢٤.

وشدة دائمين كل ما يهيئه لنفسه، فهو بمثابة إضافة حجر على تلك الأحجار التي يقلها على عاتقه، يضيف إلى ما يحمله حجارة أكثر وأثمن، وهو دائب الهم في كيفية حفظها وتكثيرها، والضنك ليس بمعنى الفقر، بل بمعنى الضيق، والكافر يكون تحت ضغط هذين الهمّين، وهو دائماً في شدة كحجري الرحى، لا هدوء عنده لا سكون، ولا يعرف معنى لانشراح الصدر، ولا لهدوء الروح ووسعتها، هذا في دنياه، وأما حاله في البرزخ والقبر، المعروف بضغطة القبر، هو في شدة أيضاً، فلا يكون مكانه متسعاً حتى في القبر، بل ولا حتى في القيامة ـ ولا أقل من ذلك ـ يكون مكانه واسعاً، لقوله تعالى **﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾**[1] فهناك أيضاً يكون مقيداً لا طليقاً بحيث يتقلب إلى أي جنب شاء، وإن كان.

ماذا يحصل من الراحة من يتقلب على جنبه
إذا كان فراشه محشواً من الشوك

ليس للكافر راحة يوم القيامة

إذا ملأ الشخص وسادة أو فراشاً من الآلات الحادة كالمواسي والشفرات ونحوها ونام عليها، فإنه إلى أي جنبيه يتقلب يكون في عذاب، ولا يتوهم أنه إذا انقلب من أحد جانبيه إلى الآخر فإنه يؤمن لنفسه الراحة والاستقرار، فإن ذلك غير ممكن.

فذاك الكافر الذي يتقلب في الدنيا على فراش مملوء من الشفرات، سوف يعيش في نفس هذه الحالة والوضعية في القبر والبرزخ، وكذلك في جهنم أيضاً، فهو دائماً في حالة ضيق وشدة **﴿وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية﴾** سورة القارعة ـ لفظ الأم إن كان المراد به الأصل، فإن هذا الكافر

(١) الفرقان: ١٣.

سيكون فرعاً لذلك الأصل الذي هو جهنم، وإذا كان بمعنى الوالدة، فهو في رعاية وتربية الأم التي لا تعطيه ولا تطعمه شيئاً سوى النار، وهو في أحضان النار، من النار وفي داخل النار يتغذى، وبعد ذلك لم يذكر تعالى ما هي الهاوية وإنما قال فقط ﴿نار حامية﴾.

خلاصة الدرس الرابع عشر

١ ـ من الأمور التي تحيي ذكر المعاد في القلوب. التوجه إلى مسألة كتابة الأعمال أي أن يعتقد الإنسان بأن كل أعماله محفوظة مثبتة.

٢ ـ حقيقة كتابة الأعمال ليست كالتسجيل في الدفاتر، بمعنى إعطاء الأعمال قالباً لفظياً ووجوداً كتبياً، بل كتابة الأعمال ثبتها، لأن الكتابة في الأصل بمعنى الثبت.

٣ ـ كما أن الأعمال تُكتب وتُثبت، فإنها تُحضر أيضاً يوم القيامة، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، ومن هنا يتضح الارتباط الموجود بين كتابة الأعمال وإحضارها.

٤ ـ من الأمور التي تقع يوم القيامة توزين الأعمال، ومعيار وزن الأعمال هو الحق فالأعمال تزان بالحقيقة، وحينئذ فإن كان العمل محتوياً على الحقيقة فسوف يكون ثقيلاً، وإن كان باطلاً من كل جهاته وليس فيه شيء من الحق، فلا ينصب له ميزان لأنه ليس فيه سهم من الحق.

٥ ـ أن أخسر الناس يوم القيامة هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويرون بأنه لا شيء عندهم.

٦ ـ يستعمل لفظ السعي عادة في القرآن الكريم بمعنى الجزاء المعنوي ولذا لا يرى الكافر سعيه يوم القيامة.

٧ ـ شرط الحصول على المعنويات وعلى الجنة والوصول إليهما يوم القيامة أمران أحدهما العمل الصالح والآخر الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، ولكن العمل السيىء سواء صدر من المؤمن أو الكافر فإن عليه عقاب، وليس لذلك أي شرط.

٨ ـ الأعمال التي يقوم بها الكافر سواء كانت للناس أو في معابد الأصنام نظير السراب، وبما أن السراب لا شيء فهو غير قابل للوزن.

٩ ـ يوم القيامة يوم تأسف وحسرة، ويصل مستوى ندامة الإنسان على أفعاله إلى حد يعض معه على كلتا يديه.

١٠ ـ أحد أسماء يوم القيامة، القارعة، التي تحطم بحلول وقتها عالم الطبيعة والناس الذين ثقلت موازينهم وأعمالهم الصالحة وحدهم الذين يكونوا في عيشة راضية، وأما الكافرون فبما أنهم أعرضوا عن ذكر الله فسوف يكونوا في كل مراحلهم في حالة ضيق وشدة وضنك سواء في الدنيا أو في القبر والبرزخ أو في عالم القيامة.

الدرس الخامس عشر

تقسيم الإنسان في نظر القرآن

بما أن أهم العوامل في تحقيق هدف الأنبياء، تذكر الدار الآخرة، فإن القرآن الكريم يتعرض لبيان يوم القيامة بجميع شؤونه الواقعة فيه، وأحد شؤون يوم القيامة مسألة كتابة الأعمال، تلك الأعمال التي تُحضر يوم القيامة، وقد تقدم في البحث السابق بيان ماهية كتابة الأعمال، وإن المراد بالكتابة ليس ما هو مألوف عندنا من التسجيل في الدفاتر، بل يراد بالكتابة الثبت، وبما أن التسجيل أحد أفراد الثبت فلذا يطلق عليه الكتابة.

فعندما يقول تعالى ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾[1] يراد بذلك الثبت لا التسجيل، وكذا الكلام في قوله تعالى ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**﴾[2] فإنه يراد بالثبت لا التسجيل.

---

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٨٣.

كل شيء موجود في الكتاب المبين

يقول تعالى في سورة يس ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾، وقد طبق الكتاب المبين على الإمام المعصوم، لأن الإمامعَلَيْهِالسَّلَامُ يقول «نحن الكتاب المبين»[1] ومعناه أن كل حقائق الوجود ثابتة في ذواتهم المقدسة، لا أنها مكتوبة ومسجلة كذلك، وإذا قلنا بأن الملائكة تكتب الأعمال، فالمراد به أن الملائكة تثبت عين الأعمال، لا أنها تسجّلها، لا أنهم يثبتون نفس الكلام ونفس القول، أشرطة التسجيل مثلاً تثبت الكلام، تكتب الكلام، فهي كاتبة، أي أنها قادرة على حفظ عين الكلام وعلى إبدائه، أما محتوى الكلام ونية القائل، وهدف المتكلم، فإنها عاجزة عن إثباتها، لأنها أمور معنوية لا تقبل التلبس بقالب طبيعي مادي حتى يمكن بواسطة الوسائل المادية إثبات النيات والإرادات، أما في ذلك الكتاب الذي يتصدى الملائكة للكتابة فيه فإنه لا يكتب الأعمال فحسب، بل يكتب كلا من النيات والإرادات أيضاً.

معيار وزن الأعمال هو الحق

قد تعرضنا عقيب البحث عن كتابة الأعمال إلى مسألة توزين الأعمال، وإن الأعمال تزان يوم القيامة، وإن المعيار المستخدم في زنتها هو الحق، لا المعايير الأخرى وعليه فكل عمل يحتوي على الحقيقة فهو عمل ثقيل، وكل عمل كان فارغاً من الحقيقة فهو عمل خفيف،' إذا كانت اعتقاداتنا وأخلاقنا وأعمالنا حقة، فهي ثقيلة يقول أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ في إحدى خطابات نهج البلاغة ما حاصله: أشهد أن لا إله إلا الله شهادة صادقة، يتنزه باطنها عن

---

(١) نور الثقلين: ج٤ ص ٣٧٩.

المخالفة شهادة من ثقلت موازينه يقول هذا مع أن منطق المعصومين عليهم السلام ودأبهم أن يقولوا فواويلتاه، واويلتاه ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مع هذا فإنه يقول علم نحو الحسم والجزم بأن موازيني ثقيلة، لأن الاعتقاد إذا كان حقاً كان ثقيلاً، وهذا الكلام يدعونا للقول بأن الكافر الذي لا اعتقاد حق له، لا ينصب له ميزان.

لو كان عندنا معيار كالمسطرة مثلاً ونحوها من المقاييس التي تقيس الخطوط الطولية فقط، فإنه لا يمكن أن نقيس بهذه الوسيلة طول النقطة، لأن النقطة ليس لها طول وبُعد حتى يمكن قياسها بتلك الوسيلة، وليست معدة لاستعمالها في ذلك والكافر كذلك فإن عمله غير قابل للوزن.

يقول تعالى في سورة الأعراف في مقام كون الجميع مسؤولين **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾** فالجميع مسؤولون، المرسلين والمرسل إليهم، **﴿الحق من ربك﴾** هذه الألف واللام الداخلة على كلمة الحق، تعيّن بأن ذلك الوزن هو الحق أي أنهم يزينون بالحق ولفظة ـ من ـ هذه، نشوية أي أن منشأ الحق هو الله.

كل ما خلا الله باطل

يقول تعالى في سورة لقمان وفي سورة الحج **﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾** ولفظ هو الواقع بين كلمتي الله وكلمة الحق المحلاّة بالألف واللام يفيد الحصر، فليس المعنى أن الله حق على أن يكون هناك شيء آخر حق، بل المراد أن الحق فقط وفقط هو الله تعالى وإن كان هناك شيء حق فلا بد أن يكون هو تعالى قد قاله أو أمر به، وعلى ما ذكر يكون مفاد الآية أن الحق منحصر بالله، ولا شيء غير الله حق.

وبالإضافة إلى أن هذه الجملة مفيدة للحصر، فإن الجملة التي تليها تؤكد هذا الحصر أيضاً، وهي قوله **﴿وإنّ ما يدعون من دونه هو**

الباطل﴾[1] في الحقيقة إن كل سبيل غير سبيل الله فهو باطل، إذا كان الحق منحصراً بالله، فغير الحق منحصر بالباطل.

وقد ورد نظير هذا البيان في حق مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أن علياً مع الحق يدوزر معه حيثما دار، فهؤلاء يكون محورهم هو الحق، بمعنى أنهم يتواجدون حيث يكون الحق، وإلا فليس لهم تواجد هناك، وحيثما يوجد الحق يدورون معه، وحيث لا حق، لا يكون لهم أي حركة، وأما الآخرون الذين تكون نفوسهم هي محور حركتهم فتارة تكون مشتهياتهم مطابقة للحق، وأخرى تطابق الباطل.

الناس ثلاثة أقسام

يقسم القرآن الكريم الناس إلى أقسام ثلاثة، الأول، هو الذي يجعل من ميولاته ومشتهياته محوراً لجميع تحركاته، وهؤلاء يباينون الذين يجعلون الله تعالى محوراً لكل حركاتهم. يقول تعالى **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾** فاطر: ٣٢.

أي أن بعض الناس تابع للميولات الشخصية، وبعضهم تابع للأوامر والأحكام، وبعضهم أرقى من ذلك وأرفع، فالذين يجعلون أنفسهم المحور، يقولون أننا نعمل بالأمر الذي نشتهيه ونحبه، والشخص الذي هو كذلك يدور حول محور ميوله، يكون في نصف قوس موافقاً للحق، وفي النصف الآخر مخالفاً له، وحتى في المقدار الموافق للحق فإنه يوافقه صدفة واتفاقاً، وإلا فهو عامل على حسب ميوله. وهكذا إنسان يسمى في تعبير القرآن ظالم لنفسه.

---

(١) الحج: ٦٢.

الثاني، والبعض الآخر يكون تابعاً للمصالح التي قررها الله تعالى لهم ويعملون على طبقها، وهم أصحاب الطريقة الوسطى في مسيرهم، يعملون شوقاً للجنة أو خوفاً من النار، فهؤلاء أفراد متوسطون.

الثالث، والقسم الأخير **﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾** وهؤلاء جزء من **﴿والسابقون السابقون﴾** الواقعة: ١٠ ـ وهؤلاء لا يعملون لمصالحهم الشخصية كدخول الجنة والنجاة من النار، وإنما يعملون العمل لكونه محبوباً لله تعالى، وليس عملهم عمل تجار حتى يبيعوا العبادة ليحصلوا على الجنة أو ينجوا من النار، لأن هذا النوع من العبادة يعد إهانة للمحبوب في نظرهم، وإن كان الله تعالى يعرف وظيفة رعاية العبد، والقيام بشؤونه، ولذا يعطي جميع النعم لعباده الصالحين (لا تشترط الأجر على العبودية كالشحاذين والمتسولين، فإن السيد يعرف آداب رعاية عبده وإدارة شؤونه) من غير الممكن أن يجعل الله هكذا عباد في النار أو يحرمهم من الجنة، إلا أنه من الحيف أن يطلب الإنسان من الله غير الله، كأن يطلب منه الجنة، التي تحتوي على الحور والقصور وهؤلاء يوصفون بالسابقين بالخيرات.

بعض الناس تشتاق الجنة اليهم

لماذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في حق بعض أصحابه أن الجنة تشتاق إليهم؟ لأن كل ناقص يشتاق إلى الكامل، وكل كامل مشتاق إلى الأكمل، الجنة التي فيها الشجر والعيون والقصور والفواكه، ناقصة بالنسبة إلى المقام الشامخ للمؤمن الكامل، فهي مشتاقة للمؤمن، لأن المؤمن هو الذي ينير فضاء الجنة، إذ أنه لا شمس هناك ولا قمر، **﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾** الدهر: ١٣ ـ فليس في الجنة شمس حتى تنير فضاء هذا الفضاء اللامتناهي إنما ينيره المؤمن **﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾**[1] فإن كان

(١) الحديد: ١٢.

للمؤمن هذا المقام والمستوى بأن ينير هذا الفضاء العظيم، فمن البديهي أن يكون ذلك الفضاء مشتاق إلى المؤمن، فإذا كان للإنسان هكذا مقام ـ وهو كذلك ـ أليس من الحيف أن يشترط الأجرة ـ كالشحاذين ـ في مقام تأدية دوره العبودي.

إن الأفراد الضالين والمنحرفين كثيرون جداً، وهكذا كانوا دائماً، وثلاثة أرباع الناس في زماننا هذا منحرفوا المسلك، أكثر الناس نيام، وإنما يستيقظون عند الموت يقول أمير المؤمنين في بعض خطبه «يا أيها الناس . . . أم ليس من نومتك يقظة»(1) من الممكن أن يقضي الإنسان عمراً وهو نائم، وهو يتخيل بأنه مستيقظ، ولكن المعصومين عليهم السلام يعتقدون بأن أكثر الناس نائمون، ويشاهدون أحلاماً، وعندما يستيقظون يرون أنهم لا يملكون شيئاً.

وقد تقدم أن هناك جماعة مع الحق وقد ورد أيضاً هذا التعبير في حق عمار (عمار مع الحق)(2) يقول عمار بن ياسر (رض) لأمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين ما حاصله: يا أبا الحسن، لو كنت أعلم أن رضا الله تعالى في أن أنفذ هذا السيف في بطني وأقتل نفسي بنفسي لفعلت ذلك فليس المهم عندي هو ربحي وخسارتي الشخصيين، ـ كل ما يقوله هو، فهو حق.

الإنسان مخلوق حسن وجميل

إذا كان الخالق لهذا النظام هو الله تعالى، وكان المعيّن للحق والباطل هو خالق هذا النظام، وعليه فسوف لن يكون هناك طريق سوى الطريق الذي حدده الله، وليس بعد الحق إلا الضلال، فسينقسم الناس حينئذ قهراً إلى قسمين الأول الذي يسقط بشكل لا يبقى له طريق إلى النجاة، الذي يعلو

---

(1) نهج البلاغة ٢٢٣.

(2) سفينة البحار ٢ ـ ٢٧٦.

ويصعد بحيث يكون من الصعب أن يصل أحد إليهم، يقول تعالى في سورة التين بعد الأقسام التي يقسم بها ﴿**لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم**﴾ وليس المراد من الحسن الحسن الظاهري، إن الله تعالى لم يقل هذا الكلام في حق الطاووس مع ما هو عليه من الجمال والزينة. ولكنه تعالى يقول في حق الإنسان الذي منه بلال الحبشي وأمثاله أنه مخلوق في أحسن تقويم، وذلك لأنه أوتي القدرة والاستطاعة على القبيح والحسن، ولما خلق الإنسان قادراً مستطيعاً، فلكي يستفيد من هذه القدرة والاستطاعة الفائدة المطلوبة، فقد ألهمه الأمور الحسنة والأمور القبيحة ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ الشمس: ٨ ـ فالله تعالى قد خلق الإنسان مجهز بهذه القدرة العظيمة وحينئذ ينقسم الناس إلى قسمين منهم من يصرف هذه القدرة هدراً ويكون خاسراً ﴿**ثم رددناه أسفل السافلين**﴾ ومنهم من اتجّر بهذه القدرة ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.

الإنسان قادر على معرفة الحق والباطل

إذن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، مع القدرة والاستطاعة على معرفة الحق والباطل، حتى يعرف ويدرك الأمور القيّمة، ولم يخلق الإنسان بدون وسيلة ومعيار توزن فيه القيم، الإنسان مخلوق مع القدرة على تشخيص الفجور والتقوى، فإذا رمى بهذه القوة في أدراج الرياح، وسلك سبيل الفساد، وجعل نفسه هي المحور فسيكون في أسفل السافلين، وإذا قدّر هذه القوة واتجّر بها فسوف يكون رابحاً وحينئذ لا بد من وجود محكمة وحاكم حتى يميز بين هذين القسمين من الناس ولذا يقول تعالى: ﴿**فلهم أجر غير ممنون**﴾ أي غير مقطوع بمعنى أنه أبدي وخالد.

فبما أنه يوجد في هذا العالم نظم وقانون، فإن هناك يوم جزاء ومعاد، لمحاسبة هذين الفريقين والفصل بينهما، فبما أن كلامك منطقي ومبرهن، فمن الذي يكذبك فيه.

إن هؤلاء الذين يكذبون بيوم الدين، هل هم قائلون بوجود نظم في العالم أم لا؟ سيواجهون حساباً وكتاباً أو لا؟ فإذا كان الإنسان حرّاً مطلق العنان يفعل ما يريد ولا يحاسب على شيء، إلا يلزم من ذلك الهرج والمرج في هكذا عالم؟ فإذا لم يكن العالم هرج ومرج فإن كلامك يكون منطقياً ومبرهناً.

أنت تقول بوجود الله ﴿**مالك يوم الدين**﴾ ﴿**فما يكذبك بعد بالدين**﴾ من الذي يكذبك ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ فإذن إن كان هناك محكمة قيامة فلنتذكر معادنا ولنتخفف لكي ننجو ونسلم.

خلاصة الدرس الخامس عشر

١ ـ بما أن الله تعالى قد جعل جميع الأشياء في كتاب مبين، والكتاب المبين طُبق على الأئمة عليهم السلام وأن الكتابة بمعنى الثبت، فإن حقائق العالم ثابتة في وجود الأئمة.

٢ ـ بما أن الكتابة هي حفظ العمل وثبته، فإن الملائكة المتصدين للكتابة لا يكتبون ظواهر الأعمال فحسب بل أيضاً يكتبون محتوياتها وأهدافها ونياتها التي هي أمور معنوية.

٣ ـ أعمال الإنسان التي هي عبارة عن الاعتقاد والخلق والفعل إنما تكون قابلة للوزن فيما لو كانت حقة.

٤ ـ كل من الأنبياء والناس مسؤولون أمام الله يوم القيامة.

٥ ـ الله هو الحق على نحو الانحصار وما كان فانه بأمره يتحلى بالحق، وكل ما سوى الله باطل، كما أن كل ما يخالف أوامره باطل.

٦ ـ من بعض الجهات ينقسم الناس في القرآن الكريم إلى أقسام ثلاثة.

أ ـ الظالم لنفسه وهو الذي يكون محور أعماله الهوى والميولات الشخصية، وإذا طابق فعل بعضهم أو بعض فعلهم الحق فإن ذلك مصادفة محضة.

ب ـ المقتصد وهو الذي يكون محوره المصلحة التي ارتآها الله تعالى له ويكون غالب سعيه من أجل النجاة من النار أو الحصول على الجنة.

ج ـ السابق بالخيرات وهو الذي يكون الحق محوراً لكل أعماله، يكونوا مع الحق أينما كان ويتحركون معه حيث يتحرك، وهم إنما يقومون بالأفعال لكونها محبوبة لله تعالى وبأمر منه لا لأجل تأمين مصالحهم.

٧ ـ الجدير بالإنسان أن يكون ذا همّة عالية، وأن يكون دافعه للعمل هو المحبوب المطلق، لا الطمع في الحصول على الجنة وذلك.

أولاً: طبقاً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام أن الجنة تشتاق إلى المؤمن، وواضح أن كل ناقص يشتاق إلى الكامل، وكل كامل يشتاق إلى الأكمل.

وثانياً: إن المؤمن يضيء بنوره فضاء الجنة الذي لا يتناهى، فالمؤمن كامل وتوجهه إنما هو نحو محبوبه المطلق.

٨ ـ بالالتفات إلى أن الله تعالى قد جعل الإنسان أولاً في قوسي الصعود والنزول في أحسن تقويم وأسفل سافلين.

وثانياً قد خلقه مجهزاً بجهاز معرفة الحق والباطل، حتى يتعرف على القيم، ويصعد بحسن اختياره بالسير في سبيل تحصيلها، أو ينحرف بسوء اختياره عن الطريق المؤدي إليها.

وثالثاً: إن عالم الوجود يقوم على أساس نظام محكم ومتقن فبناء على ذلك يلزم وجود محكمه حق وعدل حتى تقوم بمحاسبة هذين الفريقين، وبما أن هذه المحكمة موجودة، فلا بد من تذكر على الدوام.

الدرس السادس عشر

التفاوت بين نظامي الدنيا والآخرة

كان كلامنا في أن أهم العوامل المؤثرة في تحقيق أهداف الأنبياء تذكر الآخرة فإن الإنسان إذا كان يعلم بأن لعمله نتيجة أبدية سوف ترافق الإنسان في جميع مراحله وأحواله، بمعنى أن عمله يكون حياً ويبقى معه إلى الأبد، فإنه سوف لن يقدم على أي أمر إلا بعد المحاسبة الدقيقة والمراقبة الدائمة.

وأما إذا لم يكن واجداً لهذا الاعتقاد، فسوف يقدم على أعماله بدون محاسبة ومداقّة وإذا أقدم على أعماله بدون الشعور والإحساس بالمسؤولية، فإنه سوف لن يكون محققاً للغرض الذي جاء به الأنبياء، ولأجل ما ذكر نجد القرآن الكريم أكثر ما يؤكد في آياته ـ بعد مسألة التوحيد ـ على مسألة المعاد وبيان أحواله.

الأسباب والأنساب في الدنيا فعالة ومؤثرة

من ضمن المسائل التي تتعلق بالمعاد، هو أنه يوجد في الدنيا ترابط بين الموجودات تأثراً وتأثيراً وتظهر هذه التأثيرات على أنها علل وأسباب

ظاهرية في حصول التأثرات المذكورة. وهذه المسألة ليست موجودة يوم القيامة، في نظام الدنيا يتفاعل الإنسان مع سلسلة من العلل والأسباب الظاهرية، ومع مجموعة من القرارات، والعهود والمواثيق، والارتباطات.

ولكن هل لهذه العلل والأسباب دور يوم القيامة أو لا، هل لتلك العهود والمقررات اعتبار هناك أم لا، فهل نظام القيامة كالدنيا نظام علّة ومعلول لا شك في أن رابطة العلية والمعلولية لا ترتطم ببعضها ولا تزول، ولكن الإنسان حال وجوده في الدنيا قادر على الاستفادة من الوسائل الموجودة بين يديه سواء في سلوكه للطريق القويم، أو في حالة سيره على السبيل المنحرف، كما أنه يمكنه الاستفادة من الأنساب والعلاقات في تحقيق مآربه مطلقاً.

أما في الآخرة فيوجد هناك أسباب وعلل إلا أنها ليست في اختيار الإنسان بمعنى أنه لا يستطيع الاستفادة منها على غرار استفادته منها في الدنيا حتى في سبيل الغي والضلال، ليعمل بها ما يحلو له، وكذلك الأنساب فإنه لا دور لها هناك، ولا يستطيع الاستفادة منها كما يريد، فالإنساب هناك مقطوعة، والأسباب ليست تحت تصرف الإنسان واختياره فلا يستطيع هناك العمل على ما تمليه عليه ميوله ورغباته.

يوم القيامة يوم بروز الواقعيات

عندما يتعرض القرآن الكريم إلى قضية التابع والمتبوع - في حالة عدم كون التبعية قائمة على أسس الحق والواقع - يقول أن المنحرفين الذين يسلكون سبل الغواية والضلال لم يختاروا لأنفسهم محبوباً واقعياً، وإنما اختاروا محبوباً باطلاً، بخلاف السالكين في طريق الرشد والهداية، فإن الذي اختاروه أمر واقعي لا بطلان فيه ولا زوال. وبعد ذلك يقول أن الذين اختاروا محبوباً من النوع الأول من أصحاب المحبّات الكاذبة، سوف تتقطع

الروابط بينهم وبين محبوبهم، وذلك لأن القيامة ليست محلاً للتذاب ولا للارتباطات الكاذبة، أما الروابط بين المحب والمحبوب من النوع الثاني من أهل المحبة الحقّة فإنها ستبقى ثابتة ومستقرة، لأن عالم القيامة عالم ظهور الواقعيات **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾** البقرة: ١٦٥ يعني أن بعض الناس يجعلون لله نظيراً ومثيلاً، يستمعون إلى كلام غيره، ويطلبون العون والمدد من غيره، ويعتمدون على غيره، هؤلاء يجعلون لله تعالى نداً قد يعتمد الإنسان أحياناً على نفسه، أو على قومه وعشيرته، أو على عنصره وجنسه، وكل معتمد سوى الله تعالى فإن الاعتماد عليه شرك **﴿يحبونهم كحب الله﴾**[١] إن هؤلاء الذين يجعلون لله أنداداً ويرونهم مصدراً للقدرة والعون والمساعدة كما يعتقده المشركون، يحبون أولئك الأنداد كمحبة المؤمنين لله، وهذا نوع من أنواع المحبة الكاذبة القائمة بين الوثنيين وأوثانهم، وكذلك عابد الهوى فإن بينه وبين معبوده الذي هو هواه نوع من المحبة الكاذبة، لأن عابد الهوى عابد صنم أيضاً وفي مقابل هؤلاء قوم يحظون بالمحبة الواقعية الصادقة **﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾**[٢] فمحبتهم لله تعالى أشد وأعمق من محبة أولئك، لأن حبهم حقيقة مستولية على كل أحاسيسهم ومشاعرهم ونافذة إلى أعماق قلوبهم ومستوعبة لها.

فإذا جاء موعد القيامة اتضح الواقع لهؤلاء **﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً﴾** عندما يواجه الكافرون العذاب يتنبهون إلى أن القوة كلها لله تعالى، إذا كان الله تعالى قد أعطى بعض القدرات للجبال والبحار والهواء والسموات والأرض، فإنه في يوم ظهور الوقائع يعلم بأن جميع القدرات لله ومنه لا أن البحر أيضاً قادر، إلا أن قدرة الله أعظم من قدرة البحر، بل قدرة الجبل والصحراء والبحر وجميع القدرات والقوات، إنما هم موظفون من قبل الله يعني لا قوة إلا لله وإن كانوا يملكون القدرة فهم بقدرة الله

---

(١) البقرة: ١٦٥.
(٢) البقرة: ١٦٥.

قادرون فإذا كان للجبل قدرة على تثبيت الأرض وحفظها من الاضطراب، فهذه القدرة قدرة إلهية، وإذا كان للبحر قدرة، فهي قدرة إلهية، فهؤلاء مأمورين من قبله تعالى في ذلك وهذا المعنى واضح للمؤمنين وظاهر. وأما الكفار فإنه سيتضح ذلك لهم ويظهر عندما يرون العذاب، ولا يخفى هذا الوضوح والظهور للمؤمنين إنما هو بواسطة البرهان والاستدلال، نعم من كان منهم أرقى من هذا الحد، فإنه يدرك هذا المطلب بقلبه ويراه بوجدانه.

العزة فقط لله

عندما يطرح القرآن مسألة العزة، فتارة يقول **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾**[1] وأخرى يقول **﴿العزة لله جميعاً﴾**[2] لا أن المؤمن عزيز والله عزيز وعزة الله أشد من عزة المؤمن بل أن العزة الموجودة عند المؤمن هي عزة الله إلا أنها ظهرت في هذا الموضع. والعزة الموجودة في الأنبياء هي عين عزة الله تعالى إلا أنها تجلّت في هذا الموطن ـ عندما يرى الذين ظلموا العذاب يرون أنه لا قدرة هناك يمكنها أن تحول دون حلول العذاب.

جميع القدرات مرآة لقدرة الله

فإذا اعتمد الإنسان على شيء سوى الله فهو مشتبه لا محالة، لأنه لا يوجد هناك قدرة مسيطرة في العالم سوى قدرة الله.

لو فرضنا وجود قاعة كبيرة يتألف سقفها وجدرانها وأرضها وأبوابها من المرايا وكان في زاويتها شلال من الماء وكان هناك شخص عطشان في القاعة وهو يشاهد صور الشلال في المرايا، ويظن بأنه إذا توجه إلى أي واحد منها

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ١٣٩.

فسوف يروي عطشه مع أنه لا شيء من هذه الصور قادرة على أروائه، وإنما هي فقط تشير إلى ذلك الشلال الواقعي الموجود في الزاوية.

فعلى هذا الإنسان أن يتنبه إلى أن كلا من السقف والجدران والأبواب يرشده إلى ذلك الشلال الواقعي، ويشير إليه، وإلا فإنه لا ماء فيها حتى تقوم بإروائه أن جميع الوجودات في العالم التي هي آيات إلهية تشير إلى الله تعالى وليس لها شيء من نفسها. فإذا اعتمد الإنسان على نفسه أو على الأرض والسماء وسائر القدرات الظاهرية فإن حاله كحال ذلك العطشان الموجود في القاعة الذي يتوجه نحو الصور حتى يروي ظمأه، وواضح أنه إلى أي واحدة من هذه الصور توجه فإنها سوف ترشده إلى الشلال الواقعي الموجود في الخارج.

يوم القيامة يُنزع التابع من المتبوع

إذا كان للسماء والأرض قدرة، أو كانت الصحراء قادرة أو البحر، فإنها جميعاً مرايا لقدرة الله القادر، وهذا المعنى يفهمه المؤمن ويراه العارف، ويوم القيامة نرى جميعاً أنه حتى الاتكاء على النفس والاعتماد عليها نحو من أنحاء الشرك.

في ذلك اليوم ينتزع المتبوعين من الاتباع، والأتباع أيضاً الذين ساروا خلف متبوعيهم بلا تأمل ولا رويّة يُعزلوا عن متبوعيهم **﴿إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتبعوا﴾**[1] لقد كانوا قادرين في الدنيا على أن يجمعوا حولهم جماعة ويخدعوهم، أما في القيامة فليس كذلك. **﴿ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾**.

---

(١) البقرة: ١٦٦.

قانون العلية في القيامة

إذن هذه الوسائل والأسباب الظاهرية التي كانت تحت اختيارهم في الدنيا وكانوا يستطيعون إنجاز أي عمل بها، تتقطع يوم القيامة.

فليس هناك سبب أو وسيلة في يد الإنسان يتمكن بها من قول الكذب، ومن جمع جماعة حوله وخديعتهم، فهو لا يستطيع تهيأة قدرة كاذبة لتحصيل ذلك إذن فهكذا أسباب تكون مقطوعة يوم القيامة، لا كل سبب لا كل نظام علّية ومعلولية قائم بين أمرين. فإن الدخول إلى الجنة هناك له حساب، كما أن ورود النار هناك له حساب أيضاً، ولكل منهما نظام خاص، وقانون العلية حاكم هناك أيضاً والنتيجة أن الأسباب الظاهرية والدنيوية منقطعة في النظام الأخروي. أما الأنساب والقرابات والعهود والعلاقات فليس لها هي الأخرى دور هناك.

عندما ينفخ في الصور تنقطع الانساب

يقول القرآن الكريم أنه عندما ينفخ في الصور تتقطع الانساب والروابط وعندما ينفخ فيه مرة أخرى لإحياء الناس، فإنه لا يتولد الإبن آنذاك من الأب بل أن الإبن والأب كلا منهما ينهض ويقوم من التراب والقبر، فإذن ليس في المقام نسب، فمسألة الأبوة والبنوّة ليست مطروحة هَناك، وإنما الأبوة والبنوة من آثار النسب في عالم الدنيا، أما نظام الآخرة فهو نظام التساوي والجميع يقومون من التراب فليس هناك نسب في المقام، والقرابات التي كانت مؤثرة في الدنيا ليست مؤثرة في القيامة.

وعلى هذا فالأسباب الظاهرية متقطعة، والأنساب الدنيوية زائلة وإنما هناك الإنسان وعمله، فلا يستطيع إنجاز أي عمل بالنسب ولا بالسبب هو ضيف أبدي على عمله الذي قدمه في الدنيا.

يوم القيامة يوم الحسرة والتأسف

في هذه السورة ـ سورة البقرة ـ عندما يتعرض لذكر انقطاع الأسباب يقول بعد ذلك **﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات﴾** البقرة: ١٦٧ ـ في ذلك اليوم يدلّوهم على حسراتهم وتأسفاتهم ويُرُونهم إياها. وقال بعد جملة **﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا﴾**.

وهكذا يتمنون العودة إلى الحياة لكي يبرؤوا منهم، إذ انهم اتبعوهم بالدنيا طمعاً في الحصول على نفع أو مصلحة، ولكن عندما يرون كيف أنهم قد تبرأوا منهم يتمنون الرجوع حتى يتبرأوا منهم، وهكذا يريهم الله أعمالهم بنحو يكون عاملاً للحسرة في قلوبهم إن يوم القيامة سوف يكون لبعض الناس يوم حسرة وأسف، يرون فيه أعمالهم، في ذلك اليوم الأبدي سيجلسون إلى جانب سفرة عملهم الأبدية.

لايستطيعون القيام بعمل ولا تنفعهم قرابة أو نسب، وإنما يوجد الإنسان وأعمال الإنسان وخواطره، الإنسان ونياته وعزائمه، الإنسان ومعتقداته، وبالجملة كل ما كان في باطنه من هذه الأمور ونحوها سوف يبدو ويظهر **﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾** النساء: ٤٢ فكل شيء واضح ظاهر ولا شيء مكتوم هناك وسوف يكون الإنسان إلى الأبد ضيفاً على عقائده وأخلاقه، وأعماله.

إن الإنسان قادر في هذه الدنيا على السعي لتحقيق بعض أغراضه ومآربه وذلك أما بواسطة التفاعل مع الأسباب الظاهرية الموضوعة تحت اختياره، وأما بواسطة القرابة والنسب اللذان يربطانه بمن يمكنه رفع احتياجات هذا الإنسان، وأما بواسطة بعض الارتباطات أو الانتماءات المعينة التي تجر نفعاً للإنسان، ولكن القرآن الكريم يقرر أن هذه الوسائل إنما هي تؤثر في ظرف الدنيا فحسب، أما في الآخرة فلا أثر لواحد منهما إذ كل من النسب والسبب منقطع يوم القيامة وليس هناك إلا الإنسان وما قدمه. فإذا

حصلنا هذا المضمون بواسطة الاستدلال العلمي وصار له موقع في أذهاننا وشاهدنا هذا المعنى بعد ذلك في أعمالنا، فإنه سوف يظهر حينئذ في نفوسنا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه: لو أنكم تعلمون ما يوجد في القبور وما بعد الموت وما يجري على الأموات، ولو كنتم تعلمون ما في باطن هؤلاء الأشخاص الذين تدفنوهم، وما هي الأعمال التي يأخذوها معهم، لما دفنتم أكثرهم. ويقول في تعريف الجنة لو كنتم تعلمون ما في الجنة لما بقيتم في الدنيا طرفة عين، ولكنتم ذهبتم نحو المقابر - أي إلى ناحية العزلة والانزواء.

آيات المعاد إلى جانب آيات الجهاد

تقدم معنا سابقاً بأن من أهم عوامل تقوية ميادين الجهاد وتغذيتها تذكر المعاد واليوم الآخر، ولا يوجد عامل يؤثر بهذا المستوى الذي يؤثر فيه المعاد، وكلما يُتعرض لمسألة الجهاد يُتعرض إلى جنبها إلى مسألة المعاد والقيامة.

ففي ظلال تذكر الدار الآخرة يهب المجاهدون في سبيل الله وينطلقون إلى ميادين الجهاد، لأن الإنسان مستعد لبذل نفسه في سبيل الحصول على ماء الحياة، وهو يرى بأن ماء الحياة كامن في الشهادة، وبما أنه يريد الحصول عليها فإنه يترك هذا العالم الطبيعي لكي لا يموت فيه، وينطلق نحو ماء الحياة الكامن في الشهادة.

كل نفس ذائقة الموت

إن نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان والموت هي أن الإنسان يزيل الموت من الوجود لا أن الموت هو الذي يزيل الإنسان ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ آل عمران: ١٨٥ كل إنسان يذوق هذا الموت، إذا شرب الإنسان كوباً من الماء، فإن هذا الماء سوف يزول من الوجود، والمشروب هو الذي

يحل في الشارب وينهضم، لا أن الشارب يحل في المشروب ويندك فيه ويزول، وحينئذ لا يبقى هناك موت **﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾** الدخان: ٥٦ ـ وعلى كل حال فهناك موت واحد، ونحن علينا أن نميت هذا الموت، حتى لا يبقى هناك موت، لا حتى نبقى نحن، فنحن أبديون خالدون. يقول، أَمت هذا الموت حتى لا يبقى موت، ذق هذا الموت، إشرب هذا الكوب من الماء وفرّغه، منذ ستين أو سبعين سنة أو أكثر أو أقل وأنت تملأ هذا الكوب قطرة فقطرة، والآن يجب أن تتذوق هذا الكوب سواء كان حلواً أو مراً (إذا كان ما جنيته من الثمار شوكاً فأنت الذي زرعته، وإن كان حريراً فأنت الذي نسجته) إن الموت ألذّ شيء عند المؤمن وأثمنه، وليس للمؤمن لذة أرقى من لذة الموت، نحن نظن أن الشهيد الواقع في ميدان الجهاد، يتخبط بدمائه، أو أنه يتألم، مع أن الأمر ليس كذلك.

أحاسيس الشهداء ازاء السهام

سئل الإمام الباقر عليه السلام عما كان إحساس شهداء كربلاء تجاه السهام والسيوف والرماح، وكم كانوا يتألمون من ذلك ـ في زماننا الحاضر يمكن أن يموت الإنسان بلحظات بمجرد إطلاق رصاصة واحدة عليه ولكن في ذلك الزمان لم يكن الأمر كذلك، بل كان يبقون أوقاتاً وأوقاتاً يضحون ويصمدون تجاه السيوف والرماح حتى يموتون.

فقال عليه السلام ما معناه إن إحساس شهداء كربلاء تجاه السيوف والرماح والسهام التي كانت تنفذ في أجسادهم كإحساس أحدكم إذا ضغط بأصبعيه على بعض لحم ساعده. فليس للشهداء ألم أو وجع، أنه يذوق هذه الشربة.

لقد سعى عشرين سنة، وملأ هذا القدح الخالي قطرة قطرة من ألذّ أدوار حياته والآن هو يذوق نفس ذلك الكوب، لا بد من ذوق هذا الموت حتى لا يبقى هناك موت، لا أن الموت يذوقنا حتى لا نبقى نحن.

والإنسان إذا كان فاسداً، فإنه بعقيدته الفاسدة وخُلقه الفاسد وعمله الفاسد ذائب في ملأ كوبه قطرة قطرة من المرورة في عمله والمرورة في خلقه والمرورة في معتقداته، وعند الموت لا بد له من أن يذوق هذا السّم، وليس للفاسد ألم يكون أسوأ عليه من ألم الموت.

معنى الموت

ليس الموت بمعنى انتهاء الأمر والانعدام بل معناه الانتقال من الدنيا إلى عالم البرزخ، وللموت ضغط وشدّة، وهو يشق عليه أن يتذوقه لمرارته، ومرارة انسلاخ الروح وانفكاكها عن الجسد من أصعب الأمور عليه، وعلى أي كان فلا بد لهذا الإنسان الفاسد من أن يذوق هذا القدح ليميت الموت ولا يبقَى هناك موت وكذلك الإنسان الصالح فإن عليه أن يتناول هذا القدح أيضاً لكي لا يبقى موت فنحن الباقون والموت هو الزائل وقد قال تعالى إن كل إنسان هو الذي يذوق الموت لا أن الموت يذوق كل إنسان، فالموت هو المندك في الإنسان والمتلاشي فيه دون العكس هذه هي نظرة القرآن الكريم إلى الموت.

والخلاصة، أنه يوجد نحن وذهاب واحد، ذهاب إلى مكان لا موت فيه، فالموت يزول بأيدينا، والآن نحن منهمكين في الاسباب والأنساب، وفي حالة السير والحركة نحو مكان لا سبب فيه ولا نسب.

خلاصة الدرس السادس عشر

١ ـ في صورة الاعتقاد بيوم المعاد تصدر الأفعال من الإنسان على أساس الدقة والمراقبة والحذر، والشعور بالمسؤولية.

٢ ـ من الأمور المتعلقة بالمعاد والتي يجدر التنبّه لها، هو أن نظام

الآخرة متفاوت مع نظام الدنيا بمعنى أنه يمكن إنجاز بعض الأعمال في الدنيا بواسطة الأسباب والعلل الظاهرية، أو الأنساب والقرابات والمقررات الاعتبارية.

أما في الآخرة فإنه لا اعتبار لهذه الأسباب والأنساب.

٣ ـ لا شك في أن نظام العلية والمعلولية موجود في القيامة أيضاً، إلا أن الإنسان في ظرف وجوده في الدنيا يمكنه استخدام الوسائل المسخرة له في سبيل الغيّ والضلال الذي يسير عليه، كما يمكنه استخدامها في سبيل الرشد والهداية الذي يسلكه، أما في الآخرة فلما لم تكن هذه الأسباب في اختيار الإنسان وعلاقة التأثر وتأثيره بها منقطعة، فإنه لا يمكنه القيام بالعمل الصالح.

٤ ـ الناس السائرون في الدنيا على الطريق الباطل، متعلقون بمحبوب باطل وكاذب، والذين يسيرون على الطريق الحق، مرتبطون بمحبوب واقعي وحق أما أولئك ذوو الطريق الباطل فإن روابط الحب سوف تنقطع بينهم وبين محبوبهم الكاذب يوم القيامة، لأنه لا مكان في الجنة للكذب والمحبات الكاذبة، وهذا بخلاف القسم الآخر من الناس، فإن الذي يختار محبوباً واقعياً وحقاً فسوف يبقى ارتباطه وحبه موجوداً ومستقراً.

وذلك لأن الآخرة ظرف ظهور الحقائق والواقعيات.

٥ ـ كل معتمد ليس بحق كالقوم والقبيلة والعشيرة والأمّة ونحوها، فإن الاعتماد عليه شرك.

٦ ـ بين الإنسان العابد للهوى وبين محبوبه الذي هو هواه محبة وارتباط كاذبين أما المؤمنون فإنهم يتحلون بالمحبّة الحقيقية، وهي محبة الله، وهي أشد المحبّات.

٧ ـ عندما يرى الكفار العذاب يوم القيامة، يعرفون بأن القوة لله جميعاً

وكل ما يتمتع بشيء من القدرة فإنما هو موظف إلهي، أما المؤمنين فإن هذا المعنى يكون واضحاً لديهم في الدنيا.

٨ ـ إن العزة كلها لله جميعاً وكل من كان فيه شيء من العزة كالأنبياء والصالحين، فإنها لله وهي عزة الله التي تجلت فيهم.

٩ ـ الاعتماد على النفس بمعنى الإحساس بالاستقلالية نوع من الشرك.

١٠ ـ يوم القيامة يتبرأ التابع الباطل من متبوعه اللاحقّ، لأنه في ذلك اليوم تنقطع كل الأسباب ولا يبقى إلا الإنسان وعمله. وبعبارة أخرى في يوم القيامة يحل الإنسان ضيفاً على معتقداته وأخلاقه وأعماله.

١١ ـ في نظر القرآن أن الإنسان هو الذي يزيل الموت من الوجود لا العكس كما أن الإنسان الذي يشرب الماء يزيله من الوجود، لأن الإنسان هو ذائق الموت فهو إذاً لا ينعدم به.

١٢ ـ لا شيء عند المؤمن ألذّ وأغلى من الموت، كما أنه لا يوجد ألم أشد على المنحرف من ألم الموت، وهو عنده بمثابة تذوق السم.

١٣ ـ الموت هو انتقال من الدنيا إلى عالم البرزخ، وليس عبارة عن انتهاء الأمد والانعدام، والإنسان يتحرك نحو مكان لا أثر فيه للأسباب والأنساب.

سوف نتابع في البحث القادم مسألة تأثير تذكر الآخرة في بناء الإنسان.

الدرس السابع عشر

الانتقام الإلهي وكيفيته

اذا لم ير الانسان المعارف الالهية في الدنيا فسوف يحشر في القيامة اعمى

في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير كلها إلى هذه الحقيقة، وهي أن من أهم العوامل وأقواها تأثيراً في تحقيق أهداف الأنبياء، تذكر الآخرة فإذا انسلخ هذا الأمر من قلب الإنسان، فإنه لا يبقى هناك أي عامل لتحقيق هذه الأهداف. وبعض هذه الآيات تخاطب الإنسان بهذا النحو فتقول: بأن الإنسان إذا لم يدرك المعارف الإلهية في الدنيا ولم يعمل فيها فإنه سوف يحشر أعمى في عالم ما بعد الموت بحيث أنه لا يرى شيئاً.

فلا يبصر شيئاً في عالم الآخرة، ذلك العالم المملوء بالمعارف الإلهية وظهور آيات الله، ودلائل عظمته.

فما هو الشيء الموجود في عالم الآخرة الذي لا يتمكن الإنسان من رؤيته هناك وأي عين وأي نور ينبغي وجوده عند الإنسان حتى يتمكن من رؤية الموجودات الأخروية.

وما هو التناسب الموجود بين عدم رؤية الإنسان للمعارف الإلهية في الدنيا وبين عماه في يوم القيامة.

وما هو الارتباط القائم بين عدم العمل بأوامر الله وأحكامه وعدم الاعتقاد بالمعارف والآيات الحقة من جهة وبين حشره أعمى يوم القيامة من جهة أخرى.

انواع الإنتقام

يقول تعالى ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ السجدة: ٢٢ ـ والانتقام على أنواع الأول: انتقام المظلوم من الظالم بغرض التشفّي، حتى يستعيد حقه الذي اغتصب منه، وهذا انتقام شخصي، والله تعالى منزه عنه كما هو ظاهر الثاني انتقام المحكمة والمراجع القضائية من المجرم، وانتقام القاضي من المجرم في هذا المقام ليس انتقاماً شخصياً، وإنما هو بغرض إقامة النظام في المجتمع الثالث انتقام الطبيب من المريض الذي لا يتقيد بإرشاداته وتعاليمه.

فلو أعطى الطبيب لأحد مرضاه برنامج معالجة، ولم يتقيد المريض به، فإنه بالإضافة إلى عدم حصوله على الشفاء فإن مرضه سوف يزداد يوماً بعد يوم، وانتقام الطبيب منه معناه، إن هذا المريض على أثر عدم مراعاته لطريقة العلاج سوف يؤول مصيره إلى العذاب والموت.

وهذا النوع من الانتقام لا يعد انتقاماً شخصياً بغرض تشفّي الطبيب من المريض واسترداد حقه منه. كما أنه ليس انتقاماً اجتماعياً يهدف إلى حفظ النظام في الحياة الاجتماعية.

بل إن عدم اعتناء المريض بما وصفه له الطبيب من العلاج، وارتكابه خلاف ذلك، عمل المريض هذا تكون خاتمته وقوع المريض في الألم والعذاب الرابع انتقام الوليّ من المولّى عليه الجاهل، فلو قال الوليّ للصبي

مثلاً أن هذا الشريط البارز يحتوي على تيار كهربائي وهو يصدم اليد ويؤثر فيها الفلج، أو قال له لا تدن من تلك الحيّة الجذابة اللون، الليّنة المس، ولا تضع يدك عليها، أو قال له لا تقترب من تلك النار ولا تضع يدك فيها، فإن هذا الصبي الذي لا يعير أذناً لما سمعه، ويمد يده على ذلك الشريط البارز، أو يضع يده في النار، أو يدني يده من تلك الحية فإن في نفس مده ليده نحو هذه المذكورات، يكون متضرراً، ويصاب بالأذى لا أنه يرى الأذى والضرر فيما بعد، بل يصاب الآن بالأذى، إلا أنه لما كان متلهياً بأمور أخرى ومستغرق فيها فإنه لا يشعر بتلك الإصابة ولكن عندما يعود إلى نفسه ويلتفت إليها يرى نفسه متألماً وجِعاً إذ أن الإنسان الذي يكون منهمكاً بأعمال معينة وكان يؤديها بتمام الإنشراح والفرح أو بكمال الحزن والأسى، فإنه لا يلتفت إلى كثير من الأمور الجزئية فإذا كان الإنسان في احتفال ما وكان مشغولاً باستقبال الداخلين وتوديع الخارجين فإنه لو تعرض إلى أذية ما خلال تأديته لعمله الذي يقوم به بغاية النشاط والابتهاج، كما لو وطأ برجله مسماراً فنفذ في حذائه وجواربه ووصل إلى قدمه وأدماها، فإنه لا يلتفت إلى ذلك ما دام مستغرقاً بتأدية عمله المذكور.

ولكنه عند ذهاب الضيوف، ورجوعه إلى نفسه يشعر رويداً رويداً بحرقة ما في رجله وعندما يلقي نظره عليها يرى قدمه دامية وحذاءه وجواربه متمزق والدم قد استوعب مقداراً من نعله، وكل من الحادثة والألم كان حاصلاً قبيل ساعات ولكنه لم يكن شاعراً بذلك، وإنما يبدأ إحساسه وشعوره به من حين التوجه والالتفات إليه.

وهكذا الحال فيما لو كان الإنسان يقوم بعمل ما في حالة تأسف وحزن كما لو احترق مكان ما وشبت النيران فيه، فإنه عند اشتغاله بإطفائها لا يتوجه إلى الأمور الجزئية، فمن الممكن أن يطأ بحذائه مسماراً وينفذ إلى قدمه وتتدمى قدمه دون أن يشعر بذلك، ولكن بمجرد الفراغ من ذلك يبدأ شعوره بالألم قليلاً قليلاً، فرجله إنما أصيبت في ذلك الوقت، غايته أن إحساسه بالألم بدأ منذ الساعة.

وهكذا حال الذنب الذي يرتكبه الإنسان، فانه في نفس مواقعته للذنب يكون متضرراً مصاباً بالأذى، غاية الأمر بما أنه الآن منهمك بعالم الطبيعة والمادة فإنه لا يشعر بتلك الإصابة، لا أن إصابته بالأذى تحصل بعد ذلك، فبعد ذلك سيصاب بأذى وبلايا أخرى مستقلة غير الأذى الحاصل بممارسته للذنب يقول تعالى **﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾**[1] فهم الآن يأكلون النار، ويوم القيامة سيدخلون النار، هم الآن يأكلون النار ولكنهم لا يشعرون بذلك، وعندما يرجعون إلى نفوسهم يشعرون بذلك.

ويشهد لهذا المطلب قوله تعالى **﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾** ق ٢٢ حيث يقال للمجرمين يوم القيامة أن هذا العذاب الذي تشاهدوه قد كان معكم غايته أنه لم تكونوا شاعرين به، لا أن هناك عذاباً جديد أُتي به الآن، نعم لا شك في أنه هناك تعذيب جديد ومستقل، إلا أن هذا الذنب الذي هو عين العذاب قد كان مع الإنسان ولم يكن شاعراً به، وهذا هو النوع الرابع للانتقام.

يوم القيامة ظرف تجلي الحق

لقد قال تعالى بأن الذين يعرضون عن الآيات الإلهية فسوف يحشرون عمياً ولن يرون شيئاً، ومن هنا يعلم أنه لا يوجد في الآخرة سوى المعارف والآيات الإلهية هذه القوانين والمعارف والآيات الإلهية الموجودة في هذا العالم هي بعينها سوف تبدو وتظهر يوم القيامة، يوم القيامة ليس محلاً للأعمال الاعتبارية كالقرارات والاتفاقات ونحوها ليس محلاً للأعمال الباطلة، ليس محلاً لتغطية الأسرار وإخفائها، فإذا كان الأمر كذلك، وكان يوم القيامة يوم ظهور الحقائق والآيات، ولا يتجلى في ذلك اليوم شيء سوى

---

(١) النساء: ١٠.

الحق، فينبغي أن يحشر ذلك الإنسان الفاسد الذي لم يكن منقاداً للحق وكان معرضاً عنه، في حالة كونه أعمى، لأن باب القيامة وجدرانه إنما أنشئت وبُنيت بالحق.

وإذا كان هناك قصور وعسل وغير ذلك من النعم الإلهية الغير متناهية، فإنها نشأت جميعاً من الإيمان والعمل الصالح ووجدت على أثره.

فكل ما في القيامة من مأكل ومشرب وملبس وغيرها من اللذائذ المعنوية فهو حق إلا أن منشأ ذلك هو الاعتقادات الحقة، والأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة فإذا أعرض الإنسان عن الحق ولم يتقبله، ولم يكن معتقداً بالاعتقاد الحق ولم يكن متحلياً بالخلق الحق ولم يكن عامل بالعمل الصالح الحق، فأي شيء يمكنه مشاهدته يوم القيامة، لا شك أنه سوف لن يرى شيئاً، الكافر يدرك وجود شيء ما هناك ولكنه لا يرى، يريد أن يرى ولكنه لا يستطيع، له عين ولكن ليس له نور، وستكون عينه كريهة المنظر، زرقاء اللون فإذن العيون مفتحّة يوم القيامة ولكنها بلا نور وبأسوأ الألوان.

شدة وطأة القيامة

يقول تعالى في سورة طه ﴿**من أعرض عنه**﴾[1] من أعرضِ عن الحق ﴿**فإنه يحمل يوم القيامة وزرا * خالدين فيه**﴾ فسيحمل حملاً ثقيلاً، وسيبقى إلى الأبد تحت وطأة ذلك الحمل الثقيل، وهذا العبء على عاتقه، ﴿**خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً**﴾ ما يحمله الإنسان في باطنه يقال له حمل، وما يحمله على عاتقه يقال له حِمل وهذا الإنسان يحمل حمله على ظهره ﴿**يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً**﴾.

---

(١) طه: ١٠٠.

وذلك لأنه قال في هذه السورة ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾[1] فهو دائماً وأبداً في حالة ضيق وضنك في الدنيا وغيرها ولا يمكن أن يكون معرضاً عن الحق وهو في حالة رفاهية ورخاء، بل هو في حالة شدة على الدوام، ومثله كمثل طائر محبوس في قفص ذهبي، فإن كل شيء يهيئه الطير لنفسه في ذلك القفص فإن مكانه سيكون أضيقاً وسيكون في حالة أشد، والضنك ليس بمعنى الفقر بل بمعنى الضيق والشدة، فالإنسان الغني المتمول الغافل عن الله تعالى تكون حدوده التي هو محصور فيها أضيق لأن الضيق والشدة في حفظ ماله أثقل من ضيق غيره لكونه أكثر مالاً منه.

ومهما كان يملك فإنه بالإضافة إلى محافظته عليه يسعى بشتى الطرق إلى زيادته وعلى هذا لا يمكن لمن كان متمولاً وغافلاً عن الله تعالى أن يكون في حالة رخاء ويتلخص سعيه في المحافظة على الموجود وطلب المفقود وفقط، فهو يسعى في كل يوم في إضافة حلقة جديدة وقضيباً جديداً على حلقات وقضبان ذلك القفص وبالتالي في تضييقه أكثر فأكثر، ولا يعرف معنى للرخاء، وهذا الشخص يحشر في يوم القيامة أعمى، له عين ولكنها زرقاء وبلا نور، لأن ما في القيامة إنما صنع باليد الحقة وبالعقيدة الحقة وبالأخلاق والأعمال الحقة، وهذا الشخص لم يكن متحققاً بالحق فبناء عليه فإنه لا يرى شيئاً من أمور القيامة، له عين بلا نور لا يسمع كلمات الحق ﴿**ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة**﴾ آل عمران: ٧٧ وأيضاً لا يسمع كلام الحق.

---

(١) طه: ١٢٤.

الأبعاد الثلاثة للإنسان يوم القيامة

وعندئذ يتساءل ﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ فقد كنت أفهم شيئاً في الدنيا والآن لا أفهم شيء، أو ليس من المفروض أن يحيا الإنسان في الآخرة على ما كان عليه في الدنيا، فيقال له في الجواب، ههنا لا يوجد شيء سوى الحقائق، وهذه الحقائق كانت قد أتتك بصورة تعاليم ومعارف وآيات وأحكام، وأنت لم ترها ولم تقبلها، وهي بنفسها التي تظهر يوم القيامة.

قد أتيناك بمعارف حتى تعتقد بها، وبأخلاق كي تتخلق بها، وبأعمال لكي تقوم بها، هذه الأبعاد الثلاثة لم ترها، وهذه الأبعاد الثلاثة تظهر في يوم القيامة، وليس في القيامة شيء آخر، فالقيامة ليس موطناً للاتفاقات والعهود وليست موطناً لتشييد البناء، وليست موطناً لزراعة الأشجار، هذه المعارف والأخلاق والأعمال هي التي تظهر يوم القيامة. فإن كنت قد رأيتها في الدنيا فليس في القيامة غيرها.

السؤال في كمال الحرية والجواب في منتهى الوضوح، يقول رب لما حشرتني أعمى، يجيبه تعالى، أنت لم تر آياتنا الإلهية التي أنزلناها بواسطة الأنبياء واليوم أيضاً لا تراها، لأنه لا يوجد هذا اليوم شيء سواها، وأنت لم ترها في الدنيا، وما كنت تراه هو الدنيا وليس في الآخرة عين ولا أثر من الدنيا فهذا السؤال وهذا جوابه.

ولا شك في أنه لو كان هناك في القيامة شيء غير المعارف والأخلاق والأعمال الحقة، لكان لهذا السؤال مجال وهو قول الأعمى لماذا لا أرى، ولكن لما لم يكن في القيامة شيء سوى ظهور هذه الأبعاد الثلاثة المذكورة، فليس لهذا السؤال أي محل لأن الكافر لم ير هذه الأمور في الدنيا، والمنحرف الفاسد لم ير هذه الأبعاد الثلاثة، وإنما كان يرى أبواب الدنيا

وجدرانها والأشخاص ذوي الوجود المادي فيها فقط وليس هناك عين ولا أثر لهذه الأمور في الآخرة.

إذا كان في القيامة ﴿**جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ فإنما تبنى بالمعارف والأخلاق والأعمال الحقة، وإذا كان هناك غرف مبنيّة، فإنها تبنى بذلك أيضاً.

لا يوجد في الجنة شيء سوى ظهور هذه المعارف والأخلاق والأعمال، والإنسان المنحرف لم ير هذه الحقائق، لذا يقول تعالى ﴿**كذلك أتتك آياتنا فنسيتها**﴾ لقد أتاك من آياتنا ما يتعلق بالاعتقاد فلم تعتقد، وأتاك منها ما يتعلق بالأخلاق فلم تتخلق، وأتاك منها ما يتعلق بالعمل فلم تعمل، فإذن أنت لم تر آياتنا، وبما أن يوم القيامة يوم ظهور هذه الأمور فسوف لن تراها، أنت نسيت آياتنا ﴿**وكذلك اليوم تنسى**﴾ طه ١٢٦ فاليوم أنت أيضاً تُنس وتزول من بالنا، ولذا ليس لك نور.

ولا شك أن هذه الخاتمة ليست انتقاماً لأنه لم يسأل عن تعذيبه وإنما سأل عن عماه مع كونه بصيراً في الدنيا، وجوابه مستدلّ ومبرهن فيقول له تعالى لقد كنت في الدنيا أعمى أيضاً، وليس السؤال لماذا أنا أضرب بالعصى مثلاً حتى يقال له في الجواب لأنك فعلت الفعل الفلاني، بل أن السؤال لماذا أنا أعمى، والجواب إنك قد كنت أعمى، لم تر آياتنا، واليوم لا يوجد شيء سوى ظهور آيات الحق، ولذا فإنك لا ترى شيئاً.

الذي اتخذ دينه لعبا ولهوا

يقول تعالى في سورة الأعراف ﴿**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم**﴾ الأعراف: ٥١ ـ بمعنى أنه يسلب منه لطف الله وعنايته وإلا فإن الله تعالى لا ينسى ﴿**وما كان ربك نسيّا**﴾ مريم: ٦٤.

لا يمكن أن يعيش الإنسان بدون الدين، والدين هو مجموعة قوانين، يطبق الإنسان عليها أعماله وبرامجه، فإذا كانت مجموعة القوانين هذه من الله فالموافق لها يكون مؤمناً مسلماً.

وإن كان المنظم لهذه المجموعة من القوانين هو العقل البشري المحدود فدينه يكون لهواً ولعباً، والقرآن الكريم تارة يقول أن دين هؤلاء أهوائهم وأخرى يقول أن مجموعة قوانين ومقررات هؤلاء هي ألعوبة أيديهم، أي أنهم يجعلون ما يشاؤون قانوناً، وينظمون القانون على ما تقتضيه ميولهم فدينهم هو هواهم، ينظمون أعمالهم على وفق أهوائهم، هذه الدنيا الحقيرة خدعتهم، وبناء على ذلك **﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾**، والمراد من النسيان ما ذكرناه آنفاً.

إن الشخص الذي ينكر لقاء الله هو في الواقع لا يرى الحق، وبالطبع سوف يكون في القيامة أعمى، لأن القيامة يوم ظهور الحق، ولا يوجد شيء غير الحق، في عالم الدنيا كان الحق إلى جانب الباطل والقبح إلى جانب المحسن، والكافر لم يكن يرى سوى الباطل والقبح ونحو ذلك، فمن الطبيعي أن يكون في يوم القيامة يوم بروز الحق أعمى، وهذا ليس من قبيل مجازاة المتمرد وتأديبه فلو فرض مكان تُجرى فيه الامتحانات في مادة معينة، فإنه لو شارك في هذا الامتحان شخص ليس لديه أي اطلاع على هذه المادة فإنه سوف يكون مردوداً في الامتحان، وإن كان متبحراً في سائر العلوم، لأنه لا يجري امتحان هناك إلا في هذه المادة المخصوصة، وهذا الشخص لم يدرس تلك المادة فهو يقيناً مردود، وهذه النتيجة والخاتمة ليست من باب الانتقام من المجرم، بل أن عمى هذا الشخص ظهر وبدا في ذلك اليوم.

يقول تعالى في سورة الأعراف **﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾** ٥٢ ـ عال المضامين مؤيد بالبراهين أرسلناه بهدف الهداية والرحمة.

ليس في هذا الكتاب أي جزاف، لقد بُيّنت معارفه بشكل علمي متين،

فليس فيه محل للإبهام، وليس في مضامينه شيء من الإجمال، ومعانيه لم تصدر عن الظن والتخمين والحدس حتى يقال بأنه ليس كتاباً علمياً.

فهذا الكتاب الجامع لهذه الأوصاف قد أنكره هؤلاء وجلسوا بانتظار مستقبل، ﴿**هل ينظرون إلا تأويله**﴾ الأعراف: ٥٣.

يجب أن يعلم هؤلاء أن هذا الكتاب العلمي المفصل سيظهر في يوم ما، وظهور هذا الكتاب هو القيامة والجنة، وإذا أردنا أن نصيغ القيامة في صورة كتاب فسوف تكون هذه الآيات الإلهية فإذا لم ير الشخص هذه الآيات الإلهية ولم يعتقد بها، وليست القيامة سوى هذه الآيات الإلهية، فإن هذا الشخص يكون أعمى.

معنى التفسير والتأويل

التأويل من الأوّل وهو الرجوع، والتأويل في مقابل التفسير، والتفسير قسمان تفسير بالظاهر، وتفسير بالباطن.

والتأويل جزء من الحقائق، لا من المفاهيم، في اليوم الذي تصل فيه الآيات الإلهية إلى مرحلة العينيّة الخارجية، يقال لتلك العينية الخارجية تأويل فالله تعالى يقول، في يوم القيامة تصل هذه الآيات الإلهية إلى مرحلة العينيّة الخارجية وهذا الشخص الذي لم ير الآيات الإلهية في الدنيا، كيف يتوقع أنْ يرى تأويل تلك الآيات الإلهية يوم القيامة ﴿**يوم يأتي تأويله**﴾ فالآتي ذلك اليوم تأويله لا تفسيره، إذ أن تفسير القرآن يكون في الدنيا، سواء كان تفسيراً بالظاهر أو الباطن، فالتفسير إنما يكون شغله وعمله مع المفهوم، أما التأويل فهو يتحقق بالتعيّن الخارجي، في ذلك اليوم ﴿**يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ الأعراف: ٥٣ هؤلاء الذين نسوا هذا الكتاب في الدنيا يعرفون يوم القيامة أنه حق، ولكنهم لا يستطيعوا الإيمان.

ومن أشد العذاب على هؤلاء، أن يعرفوا حقانية هذا الكتاب يوم القيامة

ولا يقدروا على التصديق والإيمان به، لأن القيامة ليست محلاً للتلبس بالإيمان، فمثله مثل الإنسان الذي يعرف الطريق الأفضل الذي ينبغي أن يسار عليه، بعد ما يكون قد عجز عن السير والحركة، لأن رجليه مثلاً قد عطبتا نتيجة المشي على الطريق المنحرف، فالإنسان عندما يعرف ويفهم يوم القيامة، لا يكون ذلك الوقت وقتاً للسير والحركة (اليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل) نهج البلاغة الخطبة ٢٤.

وهذا الكلام هو الذي نقله أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ وقد ورد في نهج البلاغة.

طلب النجاة من طريقين

وحينئذ يطلب الكافرون النجاة من أحد طريقين، إما بأن يكون هناك من يشفع لهم ويأخذ بأيديهم، أو بأن يردوا إلى الدنيا ليسلكوا هذا الطريق الذي عرفوا حقانيته. ﴿**فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا**﴾ فهل هناك من يشفع لنا، ـ الأنبياء والأئمة عليهم السلام شفعاء القيامة بلا شك، ولكنهم لا يشفعوا إلا بعد أن يأذن الله تعالى، ولا يشفعون إلا لمن كان مرضيّاً لله تعالى، فهم إذ لايشفعون لهؤلاء ـ ﴿**أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل**﴾ وهذا هو الطريق الثاني، والجواب.

خسارة الإنسان يوم القيامة

﴿**قد خسروا أنفسهم**﴾ أنكم قد خسرتم أنفسكم التي هي بمثابة رأس مالكم فبأي شيء تريدون أن تعملوا، قد يكون الإنسان صاحب رصيد مالي، ثم يتعرض بعد ذلك للخسارة، ولكن لما كان حيّا وقادر على السعي والعمل، فإن بإمكانه تهيأة رصيد آخر، وأما إذا خسر عمره الذي هو رصيد فبأي شيء يمكنه التكسب. يقول تعالى قد ﴿**خسروا أنفسهم**﴾.

وحينئذ كيف يمكن القيام بهذا التجارة العظيمة بدون رصيد، تلك التجارة التي يقول عنها تعالى **﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله﴾** الصف ١٠ ـ ١١ فإذن هؤلاء قد خسروا أنفسهم **﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾** الأعراف: ٥٣ ـ تلك الافتراءات والتهم والأباطيل التي كانت سراباً قد ضاعت فلا يوجد منها عين ولا أثر الإنسان الذي يسعى خلف السراب عندما يستيقظ يرى أنه لا وجود للماء ولا فائدة له من سعيه الذي سعاه، لقد ذهبت جهوده ومساعيه وضلّت وضاعت، وخرجت من يده، وبناء على ما تقدم يعلم بأن الانتقام الإلهي هو من قبيل انتقام الولي من المولّى عليه الجاهل، يعني أنه يقول للإنسان أنظر المعارف الإلهية حتى تكون بصيراً في الغد، لأنه لا ظهور لشيء غداً سوى الحق ويقول تعالى في تتمة بحث سورة طه **﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾** طه: ١٢٧.

خلاصة الدرس السابع عشر

١ ـ إذا لم يعرف الإنسان المعارف الإلهية، ولم يتصف بالصفات الحسنة ولم يعمل بالأحكام الإلهية، فسوف يحشر في القيامة أعمى، وأما العلاقة والارتباط بين عدم الاعتقاد بالحق وبين حشره أعمى يوم القيامة، فمعرفة ذلك تتوقف على معرفة أنواع الانتقام.

٢ ـ الانتقام على أقسام أربعة:

أ ـ انتقام المظلوم من الظالم بغرض التشفّي واسترداد الحق.

ب ـ الانتقام الاجتماعي كانتقام القاضي من المجرم، وهو ليس بقصد التشفّي بل بهدف إقامة النظام في الحياة الاجتماعية.

ج ـ انتقام الطبيب من المريض، بمعنى أن شدة المرض والموت نتيجة عدم جريان المريض على طبق إرشادات الطبيب، فعدم قبوله لما ذكره له من العلاج معناه تضرر المريض وتألّمه.

د ـ انتقام الوليّ من المولّى عليه الجاهل.

٣ ـ الانتقام الإلهي ـ نظير النوع الرابع بمعنى أن الله تعالى قد جعل المعارف والأوامر والنواهي تحت اختيار الإنسان، وقال له بأن هذه الأمور حقه فأدركها جيداً وانظرها حتى تكون في القيامة بصيراً لأنه لا ظهور لغير الحق يوم القيامة.

٤ ـ إن الذي لا يتوجه نحو المعارف الإلهية ولا يعمل بأحكام الله، ويتلبس بالمعاصي، فإنه بعين تلبسه المعصية يتلبس بالنار، ولكنه بسبب الانهماك في الدنيا لا يشعر بتلك النار، ولكن عند ارتفاع حجاب الغفلة يظهر العذاب والألم، ولذا فإن الإنسان الفاسد المنحرف الذي لم ير الحق في الدنيا ولم ينقد له فإنه في يوم القيامة الذي هو يوم تجلي الحق يحشر أعمى.

٥ ـ الإنسان الذي يعرض عن ذكر الله تكون حياته حياة ضنكاً.

٦ ـ إن ما في القيامة يُبنى بالأعمال والأخلاق والعقائد الحقة ولهذا فإن الإنسان الذي لم يأت بالحق، لا يرى الحق، ولا يسمع كلمات الحق ونعم الجنة أيضاً تُبنى بواسطة المعارف والعقائد والأخلاق والأعمال الحقة والإنسان المفتون بالدنيا الغافل عن الله تعالى، ينساه الله يوم القيامة ويُحرم من نظر الله ولطفه وعنايته.

٧ ـ الذي ينكر لقاء الله تعالى، بما أنه لا يرى الحق، فسوف يحشر في القيامة أعمى.

٨ ـ التفسير هو رفع الستار عن المفاهيم الظاهرية والباطنية، والتأويل معناه ظهور العينية الخارجية، والقيامة يوم تأويل الآيات الإلهية وتحققها العيني.

٩ ـ إن أشد العذاب يوم القيامة أن يرى الإنسان حقانيّة الآيات الإلهية ولكنه لا يستطيع الإيمان والتصديق بها، لأن القيامة ليست مكان التلبس بالإيمان وإنما هي مكان حساب.

١٠ ـ الإنسان المنحرف يطلب النجاة يوم القيامة من طريقين، إما أن يكون هناك من يشفع له ويحميه، وإما أن يرد إلى الدنيا، ولكن جوابه هو أنك قد أضعت رصيدك ورأس مالك وهي النفس وحسرتها، وبدون الرصيد لا يمكن الاتّجار.

١١ ـ عذاب الآخرة من حيث الكيفية أشد ومن حيث الكمية أبقى سوف نتابع هذا البحث في الدرس الثامن عشر.

الدرس الثامن عشر

دور المراقبة والمحاسبة في ظل ذكرى المعاد

قد علم من خلال البحوث المتقدمة ما هو هدف الأنبياء، وقد ذكرنا هناك أن ذكر الآخرة من أهم العوامل في حفظ هذه الأهداف وتحقيقها، فلا يكفي مجرد الإيمان بالله في تحقيق أهدافهم عليهم السلام.

الإنسان يتلخص في أبعاده الثلاثة، البعد الاعتقادي والبعد الأخلاقي والبعد العملي، يعتقد بمطلب، يتخلق بخلق، ويقوم بعمل.

الإنسان له أبعاد ثلاثة

مهما تفحصنا في أطوار الإنسان، فإنا نراه بأنه لا يخرج عن أبعاد ثلاثة، فإما أن يعود إلى عقيدته، أو إلى أوصافه وأخلاقه، أو إلى أفعاله.

فإذا كان الإنسان يعتقد بأن كل ما يصدر منه حيّ ثابت محفوظ، وأنه مسؤول عنه، وأن هناك يوم ينظر فيه بما قدمه الإنسان من اعتقاد أو خلق أو عمل. فإنه سوف يكون على جانب كبير من الحذر، لأنه يشعر وكأنه ماثل أمام المحكمة وهي مطلعة على كل أعماله وحينئذ فسيكون مراقباً لكل

أعماله، ومحاسباً لها على ذلك، فالمراقبة هي التأمل بالنفس والتوجه إليها لمعرفة مايصدر منها.

معنى الرقيب

الرقبة معروفة، والمراقب هو الذي يمدّ عنقه ليرى ماذا يجري وأي شيء يحدث في قاعات الامتحانات مثلاً يقال للأشخاص الذين يمدون أعناقهم لكي يروا إن كان هناك من يخالف مثلاً، مراقبون، وهو مأخوذ من مدّ الرقبة.

لقد أمرنا بمدّ أعناقنا لمتابعة أنفسنا ومراقبة ما يصدر منها من الأعمال، لأن لكل إنسان رقيب يراقب أعماله وتحركاته، فعلينا نحن أن نكون مراقبين أيضاً فإذا كنا مراقبين أمكننا أن نكون محاسبين لأنفسنا وإلا فكيف يمكن ذلك.

فالوظيفة الأولى التي ينبغي القيام بها هي المراقبة، فإذ كانت كل أفعالنا تحت نظرنا ومتابعتنا أمكننا حينئذ أن نقوم بدور المحاسبة، وعند ذلك فإن كانت أعمال الإنسان السيئة أكثر من الحسنة، فيستغفر الله على ذلك، وإن كانت العكس شكر الله على ذلك وعلى هذا فالمراقبة أولاً ثم المحاسبة ثانياً، وهذا الأمر يمنح الإنسان حضوراً دائماً ويجعله دائم التوجه والالتفات ويرفع عنه الغفلة. كنا قد قلنا في البحوث السابقة أن الإنسان يتمكن في الدنيا من الحصول على هدفه بأساليب مختلفة، بالأسباب، أو الأنساب، أو القرابات والارتباطات.

الإسباب والعمل في الدنيا

إذا صادف الإنسان في حياته الدنيوية حادث، فإنه يسعى إلى رفعه والتخلص منه، أما بواسطة العلل والأسباب الظاهرية، وإما بأن يعالجه

بنفسه، وإما أن يلجأ إلى أنسابه كأقاربه وعشيرته وقومه، وإن لم يتم ذلك فإنه يلجأ إلى أصدقائه ومعارفه ومن له معهم ارتباط لوحدة هدف أو عمل أو طرح أو نحو ذلك. وعلى هذا فإن وسائل تحقيق الأغراض في القيامة، إما أن يكون السبب، أو النسب، أو الارتباطات والصداقات ونحوها، والله تعالى يقول في ثلاثة مواضع في القرآن أن في يوم القيامة، ليس هناك علل مجعولة تحت اختيار الإنسان، ولا دور لأقارب الإنسان وقومه وقبيلته، كما أنه لا أثر لصداقته وأصدقائه ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ الزخرف: ٦٧.

الصداقة مع غير الإتقياء تظهر يوم القيامة بصورة عداوة

فهذا المعنى موجود في القرآن، وهؤلاء الذين لا يكون محور ارتباطهم تقوى الله تعالى تكون صداقتهم من عوامل وجود المعاصي وتحققها لأنه لا واحد منهم يتحلى بالتقوى، وبناء عليه فكل منهما يطلب من الآخر الأعمال السيئة، وبذلك يتحقق التعاون على الإثم، فيكون هناك أمران طلب المعصية، والتعاون على الإثم، ولذا فإن القرآن يقول بأن الذين لا تكون صداقتهم قائمة على أساس التقوى، فسيكونوا أعداءً لبعضهم يوم القيامة، لأنهم يقعون في الخصومة هناك فواحد يقول أنت الذي كنت السبب، وآخر يقول أنت الذي طلبت مني، وثالث يقول أنت الذي أعنت على ذلك، وذلك يقول أنت الذي رغبت إلي في ذلك، فالصداقة التي لا يكون محورها التقوى هي عين العداوة، غايته أن هذه العداوة إنما تظهر يوم القيامة، لا أنهم يوم القيامة يصيروا أعداء.

وقد وصلت بنا بحوث المعاد السابقة إلى أن الأعمال التي يقوم بها الإنسان لها بواطن، وهذه البواطن تظهر يوم القيامة، فالباطن موجود في الحال إلا أنه إنما يظهر يوم القيامة، لا أن الباطن ينوجد في القيامة.

الدنيا كالأفعى

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لبعض ولاته (الدنيا كالأفعى ليّن مسها قاتل سمها)[1] يهوي إليها الصبيّ الجاهل، يضع يده على ظهرها اللين ويراه ملائماً في نعومته ليده، ففي نفس الوقت الذي يمدّ يده إليها يحصل له التسمم، تسممه عين مده ليده، لا أنه بعد ذلك يتسمم، نعم تسممه إنما يظهر فيما بعد، لا أنه يحدث كذلك، فالشخصان المتصادقان على غير أساس التقوى هم في الواقع عدوان، لأن كل واحد منهما يطلب السمّ من الآخر، والآخر يهيىء له مقدمات تناول السمّ، وهذا يطلب النار منه، وذاك يهيىء له مقدمات النار والتلبس بها، ولكن هذا الباطن إنما يبدو ويظهر يوم القيامة، وهذا ما قاله تعالى بأنه لا سبب في القيامة ولا نسب ولا ارتباط ولا خلّة.

اذا لم تكن الصداقة على أساس التقوى فإنها تؤدي بالطرفين الى جهنم

عقيب هذه البحوث يتعرض القرآن الكريم لذكر مطلبين، أحدهما أن هؤلاء الذين كانت صداقتهم على غير أساس التقوى، يدخلون إلى جهنم ويكون كل منهم عدواً للآخر، والآخر أن أهل الجنة، وهم الذين أسسوا علاقاتهم وصداقاتهم على أساس تقوى من الله، فإنهم عند دخولهم إلى الجنة ينزع من صدورهم كل غلْ وحقد فلا حقد بينهم، لأن الجنة منزهة عن ذلك، بخلاف النار التي هي مملوءة من العدوان والأحقاد وغيرها، عندما يكونوا هناك، فإن كلا منهم يسيء القول للآخر كل منهم يلعن الآخر، كل منهم يقول أنت السبب، والاتباع يلقون اللوم على عاتق متبوعيهم ويقول تعالى كل منكما مقصر، كلاكما ينبغي أن يذوق العذاب الذي ساهم في إيجاد مقدمات

---

(١) نهج البلاغة ١٤٧.

الذنب، والذي كان تابعاً لهذا الإنسان المنحرف، **﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾**[1] كلما دخل فوج إلى جهنم لعن نظيره، يلعنه على أنه هو السبب فيما ابتلى به من خلال مصاحبتهم ومعاشرتهم وصداقتهم، فكلما دخلت أمة تلعن أختها، والأخت يعني المثل، عندما يقال في كتب النحو ـ كان وأخواتها مثلاً ـ فإن المراد كان وأمثالها، وليس المراد كان وشقيقاتها.

مشاجرة التابع والمتبوع في جهنم

﴿حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً﴾، الاتباع والمتبوعون، **﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا﴾** هؤلاء المتبوعون كانوا السبب في ضلالنا، مشوا أمامنا ومشينا خلفهم، فآتهم ضعفاً من العذاب، لتلبسهم بفعل المعاصي، ولتمهيدهم السبيل للآخرين للوقوع فيها، فهذان جرمان.

الطواغيت وأئمة الكفر عندهم جرمان، وقوعهم في المعصية، وجرّهم لطبقة من الناس خلفهم، ولهذا يطلب التابعين مضاعفة العذاب للمتبوعين، ويأتي الجواب، بأنكم أنتم لكم جرمان أيضاً، وعلى هذا فلكل منكما ضعف من العذاب.

كل من الظالم والمتظلم له ضعف من العذاب

الأول هو وقوعكم في المعصية، والثاني ارتضائكم لهم بعنوان قائد لكم فلماذا أخذتم بكلامهم، فأضعاف العذاب ليس مختصاً بالطواغيت والقادة إذ أن المظلوم ـ المتظلم ـ أي الذي كان يقبل الظلم، ويقوي شوكة الطاغوت ويرتضيه قائداً، هو الآخر يضاعف له العذاب، لما تقدم، ولهذا يقول تعالى **﴿لكل ضعف﴾** فالجميع يضاعف له العذاب الظالم والمتظلم،

---

(١) الأعراف: ٣٨.

وعلى هذا فإن المظلوم الذي يخضع للظلم ويرتضي الظالم بعنوان قائد وسائس للأمور، ويقع في المعاصي في ظل ظلمه وطغيانه، فإنه كالطاغوت يضاعف يوم القيامة عذابه، وهذا بخلاف المستضعف فإن له شأناً آخر، والمستضعف هو الذي يقدم ما يستطيع عليه، ولكنه لم يقدر على التقدم.

فالقرآن الكريم يخاطب هؤلاء المتظلمين الذين انقادوا للظلم، أنكم لا تدركون هذا المطلب بالنظر الظاهري ولكنكم إذا دقّقتم بالأمر فسترون أنكم كنتم، مقوّين لهذا الظالم، شادّين في عضده، **﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾** فالوحي من عند الله كان موجوداً وعقولكم كانت في اختياركم، فكيف واجهتم كلامنا بالقبول وكلام الأنبياء بالرد، وأعرضتم عن كلام عقولكم وأقبلتم على كلامنا **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾** الأعراف: ٣٩ ـ وهذا باطن الطغيان الذي يظهر بهذه الصورة يوم القيامة، فهذه القيادة في الدنيا قيادة جهنم، وتلك التبعية فيها تبعية للنار، ولهذا يقول تعالى في بعض المواضع **﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾** هود: ٩٨ ـ وفي موضع آخر **﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾** ففرعون الذي كان متقدماً على قومه في الدنيا يتقدمهم يوم القيامة إلى النار، أي أنهم كانوا في الدنيا يسلكون طريق جهنم، وإنما يظهر هذا المعنى في القيامة، ولا يكون مشهوداً لهم في الدنيا.

المؤمن والجنة

وبعد عدة آيات يتعرض لذكر المطلب الثاني المتعلق بالمؤمنين فيقول **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾** الأعراف: ٤٢.

عندما يتعرض القرآن الكريم لذكر الذنب، يثبت للذنب جزاء معيناً على نحو الإطلاق أي سواء كان صادراً من الكافر أو المؤمن.

ولكنه عندما يصل إلى ذكر العمل الصالح فإنه يشترط في ترتب الثواب عليه أن يكون صادراً من المؤمن لا مطلقاً.

فعلى هذا لا يترتب على العمل الصالح الدخول إلى الجنة، إلا إذا كان صادراً من الصالح ومن هنا لا يكون إنشاء المنافع العامة كالمستشفيات ونحوها، الذي يقوم به الكافر موصلاً له إلى الجنة، وما يترتب على عمله هذا هو بعض المنافع التي يحصل عليها في الدنيا، أو تخفيف العذاب عنه في الآخرة وأمثال ذلك.

لا نكلف نفساً إلا وسعاً، فهؤلاء الصالحين، ذوي الأعمال الصالحة **﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** الأعراف: ٤٢ ـ ففي الجنة سعادة أبدية، وشاهدنا في المقام قوله تعالى **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾** الأعراف: ٤٣.

اوصاف الجنة

لا يوجد في الجنة أيّ حقد، قد يحقد الإنسان على شخص دون أن يظهر ذلك له، وقد لا يبدي له ذلك في الكلام، ولكنه يتصرف معه تصرف حاقد (غضب العاقل في فعله وغضب الجاهل في قوله) الذي يحقد على شخص ويكون عقله الدنيوي فعالاً، فإنه يبدي غضبه في فعله، بخلاف الجاهل الذي يظهر غضبه في قوله.

هذا الغضب والحقد الموجود في الدنيا وحتى قد يكون ذلك بين المؤمنين أيضاً، لا مكان له في الجنة بعد تطهير المؤمنين وإزالة تلوّثاتهم، فالجنة مقرّ السلامة، فليس هناك حقد أو حسد أو عداوة أو خيانة في قلوب أهلها.

وهذا بخلاف الجهنميين الذين تزخر قلوبهم بالعداوة والبغضاء إزاء بعضهم لا أن كل واحد منهم مشغول بعذابه فحسب، فالكل ينازع الكل ويحاربه ويعاديه، لأن كلا منهم قد تناول السمّ من يد الآخر.

بناء على هذا فالمؤمنون الصالحون مستقرون في الجنة متنعمون

بقصورها التي تجري من تحتها الأنهار، مطهرون من الحقد والغلّ والحسد، كما بُيِّن ذلك في سورة محمد ﷺ وفي سور أخرى.

أنهار من عسل، أنهار من الخمر والشراب، من الماء والحليب، لكن لا من ذلك الخمر الذي يزيل العقل، ولا من ذلك العسل الذي يتولد من النحل، وإنما تكون هذه الألطاف والنعم الإلهية من بركات الإيمان والعمل الصالح **﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله﴾**[1] يشكرونه تعالى على هدايته لهم إلى هذه النعم، وإلا فلو وكلهم إلى أنفسهم لكانوا أسراء الأهواء والشهوات والغضب لو لم يكن هناك وحي وإرشاد وهداية من قبل الله تعالى لما وصل الإنسان إلى هذه السعادة الأبدية ولغاته كل ذلك، فالإنسان العاقل الطالب للّذة لا ينبغي له أن يكون أسيراً للدنيا، وكذلك إذا كان في مستوى معين من الناس والمؤمنين فإن هؤلاء لا يشتغلون بأنفسهم وبالقصور والحور ونحوها من النعم، فضلاً عن الدنيا وزينتها، كأمثال علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، الذي يقول (وجدتك أهلاً للعبادة) لا طمعاً في الجنة ولا فراراً من العذاب، أو كما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ما معناه. إنما نعبد الله حباً له لا طمعاً في الجنة. لا شك أن الله تعالى يهب الجنة للمؤمن، إلا أن الإنسان الكامل لا يتاجر الله في عبادته حتى يكسب الجنة في هذه المعاملة، عبادته عبادة الأحرار، ليس منهمكاً في التفكير بنفسه حتى يتوصل إلى الملذات عن طريق العبادة، نعم الله تعالى يفيض نعمه ويغدق ألطافه على عباده المؤمنين الصالحين، إلا أنه ليس من شروط الإنسانية أن يغرق الإنسان بهذه النعم، ومن ثمّ يقول لله تعالى إنما أعبدك للوصول إلى الجنة، إذ أن هذه العبادة عبادة تجارية **﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾**.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

الإرث الحقيقي

هؤلاء يعترفون بأحقية ما أتى به الأنبياء عليهم السلام، واستمعوا للحق وأطاعوه، وفي هذه الحالة تناديهم ملائكة الله **﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾** هي ميراث أعمالكم.

(كن كالبحر الذي تكون ثروته فيه ومنه، وليكن انتفاعك واستفادتك من أملاك نفسك وإمكانيتك) ما أجمل بالإنسان وازين له أن يكون وارثاً لنفسه لا آكلاً لميراث الغير، يرث نفسه بنفسه، أن يعمل بنفسه عملاً يصل نفعه لنفسه، فنظر القرآن الكريم أن على الإنسان أن يكون وارث نفسه، لا أن يكون كالمتحف الذي توضع فيه الأمور الأثرية العتيقة حتى يستفاد منها، بل ينبغي أن يكون الإنسان كالبحر الذي يولد الجواهر الثمينة وينمّيها، فالبحر لا تلقى فيه الجواهر ولا توضع فيه، وإنما تتولد منه، والإنسان يمتلك هذا المستوى وهذه الأهلية.

فالملائكة تقول لهم هذا ميراثكم الذي خلفتموه، وها أنتم الآن قد وصلتم إليه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام إذا مات الإنسان قال الناس شيء وقالت الملائكة شيئاً آخر (قال الناس ما ترك، وقالت الملائكة ما قدّم)[1] الإنسان وارث لما بعث به من اعتقاد وأخلاق وعمل **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾** البقرة: ١١٠ فنداء الملائكة للإنسان أنه عليك أن تكون وارثاً لنفسك، لا آكلاً لميراث الغير، حتى لا تكون آكلاً للميتة كالحيوانات الآكلة للجيف.

---

(١) نهج البلاغة ١٠١.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه (إن ما بين أيديكم من البيوت التي تسكنوها والأرض التي تسيرون عليها، وحياتكم التي تحيونها، وما تملكونه من البساتين وغيرها)[1] إنما هو بمثابة الغذاء المتخلف في أسنان الجيل الماضي، إذ أكل الإنسان طعاماً فإنه يعلق بعض الغذاء بين أسنانه، وهذا المتخلف بين الإنسان يقال له ـ لماظة ـ فهذا الجيل الحاضر يأكل هذا الطعام المتخلف بين أسنان الجيل السابق. فإذن هذا أكل ميتة وليس إرثاً فيا أيها الإنسان كن وارثاً للجنة، كن آكلاً لميراث نفسك، كن مورث نفسك وكن أنت الوارث أيضاً، وأنه وإن قال تعالى بأنهم يرثون الجنة **﴿الذين يرثون الفردوس﴾**[2] **إلا أن قوله تعالى ﴿بما كنتم تعملون﴾**[3] يدل على أن الإنسان إنما يرث الجنة الخالدة بالعمل لا بشيء آخر، وعلى حد تعبير الدكتور بهشتي إنما يعطون الجنة بالثمن لا باختلاق الأعذار والحجج.

خلاصة الدرس الثامن عشر

١ ـ بما أن الإنسان ثلاثي الأبعاد، فكل ما يصدر منه، أو يعتقد به، أو يتصف به، لا يكون خارجاً عن هذه الأبعاد الثلاثة، أي أن ما يعتقد به يرجع إلى بعده الاعتقادي، وما يتصف به يعود إلى بعده الأخلاقي، وما يقوم به من عمل يرجع إلى بعده العملي.

٢ ـ كل ما يصدر من الإنسان فهو حيّ، والإنسان مسؤول تجاهه، والإنسان الذي يرى نفسه مسؤولاً، وماثلاً أمام محكمة القضاء، فسيكون مراقباً لأعماله محاسباً لنفسه.

---

(١) نهج البلاغة الكلمات القصار ٤٥٦.

(٢) المؤمنون: ١١.

(٣) الأعراف: ٤٣.

٣ ـ كما أنه قد جعل للإنسان رقيب يراقب ما يصدر منه، فكذلك يجب على الإنسان أن يكون:

أولاً: مراقباً لجميع أعماله.

وثانياً: محاسباً لنفسه على كل ما صدر منها، فإن كان الصادر منها قبيحاً استغفر الله وإن كان حسناً حمد الله على ذلك.

٤ ـ وسائل القيام بالأعمال في الدنيا، الأسباب والأنساب، والقرابات والصداقات، أما في القيامة فليست العلل والأسباب تحت اختيار الإنسان كما أنه لا دور هناك للأقارب والقوم والقبيلة والارتباطات والصداقات.

٥ ـ الصداقة القائمة بين الناس إن لم تكن قائمة على أساس التقوى فستظهر بصورة عداوة يوم القيامة.

٦ ـ الدنيا كالأفعى ليّن مسها، وفي باطنها السمّ القاتل.

٧ ـ الأصدقاء الذين تقوم صداقتهم على أساس التقوى عندما يدخلون الجنة، لا يكون في صدورهم غل ولا حقد تجاه بعضهم بعضاً، لأن الجنة ليس محلاً للحقد والغل، وقلوب أهلها منزهة عن ذلك.

٨ ـ عندما لا تكون الصداقة قائمة على أساس التقوى فإن كلاً من طرفيها يدخل النار وكل منهما يضع الذنب في عنق الآخر، ولكن الله يلقيهما في العذاب معاً.

٩ ـ عندما يرد التابع والمتبوع النار، يقع التشاجر والتنازع بينهم، ولكن الله تعالى يقول بأن كلا من التابع والمتبوع مقصر ومذنب لأن التابع:

أولاً: تلبس بالمعصية والمخالفة، وثانياً إنقاد للطاغوت ورضيه قائداً وسائساً وكذلك المتبوع فإن له ذنبان أيضاً، الأول ارتكابه للمعاصي والثاني كونه سبباً في ضلال اتباعه وانحرافهم، فعذاب كل منهما مضاعف عن عذاب الشخص العادي.

١٠ ـ المستضعفين الذين قد بذلوا وسعهم في محاربة الظلم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتقدموا، لا يبتلون بالعذاب المضاعف.

١١ ـ العمل الصالح إنما يكون مثمراً إذا كان صادراً من الإنسان الصالح، أي إذا انضم الحسن الفاعلي إلى الحسن الفعلي.

١٢ ـ إذا وكل الله تعالى، الإنسان إلى نفسه، ولم يسدده بالوحي والهداية والإرشاد فسوف يقع أسير للشهوات والأهواء والغضب، وستفوته السعادة الأبدية.

١٣ ـ العبادة ثلاثة أقسام ١ ـ عبادة التجار. ٢ ـ عبادة العبيد. ٣ ـ عبادة الأحرار والمحبين، والإنسان الذي يعبد الله حباً له، لا لأجل الوصول إلى لذائذه النفسية ومن أجل لقاء الله لا من أجل الحصول على الجنة، يصل إلى ذلك الهدف العالي.

وبما أن الله تعالى فياض، ولا يبخل بإفاضة النعم واغداق الألطاف على عبيده المؤمنين، فلذا يمنح هذا النوع من الصالحين ـ الذين يعبدونه حباً له ـ جميع النعم.

١٤ ـ في نظر القرآن الكريم أن على الإنسان أن يكون وارثاً لنفسه، وأن يكون كالبحر مولداً للجواهر الثمينة ومنشأ لها، وبما أن الإنسان وارث لما يبعث به ويرسله إلى الآخرة من اعتقاد وأخلاق وعمل، فإن الملائكة تقول له كن وارثاً لأعمالك الصالحة.

١٥ ـ كل ما بين يدي الإنسان في هذه الدنيا من أرض وبيت وبستان ونحوها من الإمكانيات المادية، هو لماظة، والغذاء المتخلف في أسنان الجيل الماضي، وهو الذي يصل إلى الآخرين بعنوان الإرث، وفي الحقيقة أن هذا ليس إرثاً، وإنما هو أكل ميتة.

الفهرس

الموضوع		الصفحة
المقدمة		٥
الدرس الأول	الأخلاق في القرآن الكريم	٢١
الدرس الثاني	الحياة الطيبة	٣١
الدرس الثالث	الحياة الطيبة وآثارها	٤٣
الدرس الرابع	المحبة وتحصيل المحبوب من إحدى آثار الحياة الطيبة	٥٥
الدرس الخامس	دور المحبة والصداقة	٦٥
الدرس السادس	دور تذكريوم القيامة في خلاص الانسان	٧٣
الدرس السابع	دور تذكر المعاد في الجهاد	٨٣
الدرس الثامن	دور ذكر المعاد في بناء الانسان	٩٥
الدرس التاسع	ساحة القيامة وحضور الأعمال	١٠٩
الدرس العاشر	سلامة المراحل الثلاثة للانسان وأوصاف القيامة	١١٧
الدرس الحادي عشر	موانع تذكر يوم القيامة	١٣٣
الدرس الثاني عشر	عبادة الهوى منشأ نسيان يوم القيامة	١٤٥
الدرس الثالث عشر	دفع شبهات المنكرين للمعاد	١٥١
الدرس الرابع عشر	كتابة الأعمال وكيفيتها	١٦١

الموضوع	الصفحة

الدرس الخامس عشر: تقسيم الانسان في نظر القرآن ١٧٥
الدرس السادس عشر: التفاوت بين نظامي الدنيا والآخرة ١٨٥
الدرس السابع عشر : الانتقام الالهي وكيفيته ١٩٧
الدرس الثامن عشر : دور المراقبة والمحاسبة في ظل ذكرى المعاد . ٢١١
الفهرس: ٢٢٣